المهاجرون الليبيون

بالبلاد التونسية

(1911 - 1957)

د. ابراهيم أحمد أبو القاسم



مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع

المهاجرون الليبيون

بالبلاد التونسية

(1911 - 1957)

د. ابراهيم أحمد أبو القاسم

نشر وتوزيع مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله
تونس

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (105)

سورة التوبة



الإهداء

إلى الذين يؤمنون بأن الأرض العربيّة
أرض لكل العرب.

التوطئة

على الرغم من الأهمية التاريخية لموضوع الهجرة المتبادلة بين الشعبين الليبي والتونسي، لم يحظ هذا الموضوع بالدرس من قبل الباحثين، ولم يتطرّق أي باحث من قَبلي إلى دراسة هذا الجانب المهم من تاريخ القطرين الشقيقين.

وقد ظلّت الهجرة الدعامة القويّة التي تشدّ الشعبين إلى بعضهما بعضا، برغم تقلّب العلاقات السياسية في بعض الفترات، فالقرابة، وصلة الرحم كانتا في كل الظروف تتجاوزان الخلافات السياسية، ونقاط الحدود.

لقد تركز اهتمامي على دراسة موضوع الهجرة لاقتناعي بما لها من أهمية في الترابط التاريخي بين الشعوب، وخلق نسيج اجتماعي من شأنه تدعيم وتجذير أواصر القربى، وربط جسور التقارب والتعاون المشترك. والكشف عن عمق الروابط التاريخيّة التي جمعت بين شعبين شقيقين تقاسما المحن والنضالات ضدّ الاستعمار الأجنبي.

إنّ هذه الدّراسة لا تدعي الشمول، ولا الكمال، باعتبار أن الكمال غاية تنشد ولا تدرك، ولكنها محاولة بذلت فيها أقصى الجهد، وتجشمت من أجلها مشاق السفر إلى العديد من المناطق النائية التي كان بعضها في داخل الصحراء، وذلك لدراسة المسالك التي عبرها المهاجرون في أثناء هجرتهم إلى تونس والجزائر، ولدراسة المناطق التي استقرّوا بها مثل منطقة المناجم بالجنوب التونسي (المتلوي، الرديّف، المضيلّة، أم العرائس)، وقد تكون هذه الدراسة منطلقا وحافزا للعديد من الدراسات والبحوث التي تتناول جوانب أخرى من هذا الموضوع.

إن الصعوبة التي واجهتني في إعداد هذه الأطروحة تتمثّل في قلّة المصادر والمراجع، وحتى الوثائق التي لها صلة بالموضوع فهي متناثرة، ومشتّتة في ملفّات، وسلسلات مختلفة، وللوصول إلى وثيقة واحدة لها علاقة بالموضوع يتطلّب الأمر المزيد من العناء والصبر.

ومن الصعوبات أيضا التي واجهتني في إعداد هذه الأطروحة، اللّغة الفرنسيّة، حيث كنت مضطرّا في كثير من الأحيان لترجمة العديد من الوثائق المكتوبة باللغة الفرنسيّة، وقد استعنت بمترجمين، نظرا لعدم إلمامي الجيّد باللّغة الفرنسيّة، وقد تطلب ذلك إضاعة الكثير من الوقت، إضافة إلى سقوط المترجمين في أخطاء في الترجمة أحيانا.

ومن أجل إثراء مادّة البحث كانت لي العديد من الجلسات التي جمعتني مع الكثير من المهاجرين، ومع الذين ارتبطوا بالمهاجرين عن طريق الجوار والمصاهرة، ومن السلبيّات المسجّلة في هذا الجانب تحفظ البعض على إعطاء المعلومات، والبيانات، وخاصّة أولئك الذين ما يزالون بالمهجر، اعتقادا منهم أن طلبي لتلك المعلومات له علاقة بالادارة الحكومية التي لهم معها مخلفات، ومركّبات نقص، ورثوها عن حقب الاستعمار الغابرة.

ونودّ أن نتوجه بالشكر والتقدير للاستاذ الدكتور عبد الجليل التميمي، الذي تفضّل عليّ بقبوله الاشراف على إعداد هذه الأطروحة، والذي كان لملاحظاته القيّمة، وتوجيهاته السديدة الأثر الطيّب في إنجاز هذا العمل.

كما أتوجّه بالشكر إلى العاملين بالأرشيف الوطني التونسي، ومركز دراسة جهاد الليبيّين ضدّ الغزو الإيطالي على ما قدّموه لي من التسهيلات التي مكّنتني من الاطلاع على الوثائق والمصادر التي لها صلة بهذه الأطروحة، ولا يفوتني أن أشكر كلّ الذين أجريت معهم مقابلات شخصيّة، والذين ورد ذكرهم في هذه الأطروحة.

وأخصّ بالذكر : الأستاذ الباهي الأدغم، الوزير الأوّل السابق في الحكومة التونسية، والأستاذ الصادق المقدّم رئيس مجلس النوّاب سابقا في تونس، والدكتور أحمد بن ميلاد، الطبيب، والمؤرّخ، والأديب الذي فتح لي صدره، وأمدّني بمعلومات مهمّة برغم تقدّمه في السن، وظروفه الصحّية.

كما أشكر الأستاذ أحمد زارم، الكاتب العام لجمعية الدفاع الطرابلسيّة البرقاوية في تونس — أمدّ الله في أنفاسه — والذي وجدت لديه المعلومات الوافية حول نشاط المهاجرين الليبيّين السياسي في تونس، ودورهم في مقاومة الاستعمار الفرنسي والايطالي.

وإلى إبني خالد الذي رافقني في رحلاتي إلى المناطق الصحراوية النائية لجمع الرواية الشفوية، أخلص دعواتي له بالنجاح، والتوفيق في حياته.

مقـدّمـــة

إنّ التواصل بين الشعبين الليبي والتونسي لم ينقطع عبر مختلف عصور التاريخ، فالوحدة الجغرافيّة واللغة، والدين، وصلة الرحم، إضافة إلى عمق الصلات الحضاريّة والفكرية الموغلة في أعماق التاريخ، كلّها عوامل ساعدت على تقارب الشعبين إلى بعضهما، وفي العديد من الفترات التاريخيّة شكّل القطران وحدة واحدة، تارة في شكلها الكلّي، وتارة في شكل جزئي، بيد أن الهجرة المكثّفة التي تمّت خلال القرنين التاسع عشر والعشرين بين البلدين شكلت حدثا بارزا ومهمّا في تاريخ المنطقة، ومثلما كانت ليبيا ملجأ وملاذا للعديد من القبائل التونسية والمجاهدين التونسيّين سنة **1881** على إثر انتصاب الاستعمار الفرنسي بالأراضي التونسية، كانت تونس سنة **1911** خلال الغزو الايطالي لليبيا الملجأ والملاذ للآلاف من المهاجرين الليبيّين.

إن دراسة الهجرة الليبيّة تزداد أهمية بعد سنة **1911**، باعتبارها إحدى نتائج الأسلوب الوحشي الذي مارسته إيطاليا ضد المواطنين الليبيّين، والذي يفتقر إلى أبسط القيم الانسانية، ويتمثّل في نفي وتهجير المواطنين، وهدم بيوتهم، وهتك الحرمات وهو ما أجبر السكان على اتخاذ قرار الهجرة هروبا بدينهم وكرامتهم.

ولدراسة أبعاد هذه الهجرة، ودور المهاجرين السياسي والاجتماعي والثقافي، كانت هذه الأطروحة، التي هي محاولة متواضعة لنفض الغبار عن هذا الموضوع الذي ظلّ بكرا برغم أهميته. وينقسم هذا العمل إلى ستة فصول، تناولت في الفصل الأوّل : خلفيات الهجرة، والتي تركزت على أن الهجرة لم تكن غاية في حدّ ذاتها لكنها كانت الوسيلة الوحيدة التي لجأ إليها المواطنون نتيجة الأوضاع السيّئة التي أصبحت عليها البلاد من جراء الاستعمار الايطالي، وقد قسمت أسباب الهجرة إلى العوامل الآتية : أ — العامل السياسي، ب — العامل الاقتصادي، ج — العامل الاجتماعي، ثمّ تطرّقت في هذا الفصل إلى المناطق التي استقرّ بها المهاجرون بعد وصولهم إلى التراب التونسي، وكانت منطقة الجنوب أولى المناطق التي استقبلت أعدادا هائلة من المهاجرين الذين استقرّ أغلبهم في منطقة المناجم بقفصة.

وفي الفصل الثاني : تناولت الحياة الادارية للمهاجرين، وقد استأثر الجانب الديموغرافي للجالية، وتوزيع المهاجرين على المشيخات باهتمام في هذا الفصل، وتطرّقت في

هذا الفصل إلى بعض العائلات الليبيّة التي استطاع بعض أفرادها تبوأ بعض المراكز القياديّة المهمّة في البلاد التونسيّة.

وخصّصت الفصل الثالث لاستعراض نشاط المهاجرين الثقافي والعلمي، وركزت فيه على دور المهاجرين في مجال الكتابة الصحفيّة، والعمل الاذاعي، وفي مجال الفنون الشعبية ونشاط الطلبة الليبيّين بجامع الزيتونة، ودور الفقهاء الليبيّين في نشر تعليم القرآن الكريم.

وفي الفصل الرابع تناولت الدور السياسي للمهاجرين، من خلال التركيز على دور اللجنة التنفيذيّة للجاليات الطرابلسيّة البرقاوية التي كانت تمثّل العمل الوطني السياسي للمهاجرين الليبيّين بتونس، وكانت نشاطاتها تتلخّص في تنظيم صفوف المهاجرين لمقاومة الاستعمار الايطالي، والتصدّي للدّعاية الفاشية التي كانت تستهدف المواطنين الليبيّين.

وتناولت في الفصل الخامس، الحياة الاقتصادية والاجتماعيّة للمهاجرين، ففي الحياة الاقتصاديّة أوضحت ارتباط المهاجرين بالفلاحة، وعمل المناجم، والتجارة.

أمّا الجانب الاجتماعي فيتطرّق إلى وحدة العادات والتقاليد بين المهاجرين الليبيّين وسكّان البلاد التونسيّة وعلاقات المصاهرة، ثمّ عادات المهاجرين التي تركت بصماتها داخل المجتمع التونسي.

وخصّصت الفصل السادس لدراسة دور المهاجرين في مقاومة الاستعمار الفرنسي والايطالي، من خلال مشاركتهم في معركة الزلّاج بتاريخ 1911/11/7، وانتفاضة الجنوب التونسي سنة 1915 بقيادة خليفة بن عسكر.

ثم تطرقت إلى مساهمة المهاجرين في الدور النضالي للإتّحاد العام التونسي للشغل، والانخراط في صفوف الحزب الحر الدستوري التونسي.

هذه مجمل الخطوط العريضة التي يتناولها هذا الكتاب والتي تتمحور حول معالجة الاشكاليات الآتية :

1) هل كان للهجرة الليبية مساهمة في دعم أسس الترابط التاريخي الليبي التونسي؟.

2) هل كان للمهاجرين الليبيّين دور في حركة المقاومة الشعبية ضد الاستعمار الفرنسي بتونس وما هو دورهم في تغذية روح المقاومة الوطنية داخل ليبيا ضد الاستعمار الايطالي؟

3) هل كان للمهاجرين الليبيّين إشعاع ثقافي وسياسي واجتماعي بالبلاد التونسية أم أنهم عاشوا في خانة المهمشين؟.

إشكاليّة المصادر

الوثائق :

من الملاحظات التي تجدر الاشارة إليها، ورود كلمة، (الطرابلسيون) و(طرابلس) عوضا عن (الليبيّون) و (ليبيا) في جل الوثائق وفي الدراسة حاولت وضع الكلمة في موقعها الصحيح، والمتعارف عليه، وهي ان طرابلس كانت تعني كل ليبيا، والطرابلسيّون هم الليبيّون، وليس سكان مدينة طرابلس حسب المفهوم المتداول في الوقت الحاضر.

الأرشيف الوطني التونسي :

تمثل وثائق الأرشيف الوطني التونسي المادّة الأساسيّة لهذه الأطروحة، حيث كان البحث منصبا في الأرشيف على السلسلات الآتية : (A.E.D) وفي السلسلة .A خصّص الصندوق 280 لليبيّين (TRIPOLITAINS)، وممّا لاحظته على الوثائق المحفوظة بهذا الصندوق أنّها لم تصنّف بطريقة علمية، بل أنّها موزّعة على مجموعة من الملفّات بطريقة غير نظاميّة.

وتنصبّ معظم الوثائق على معالجة الجانب الاداري، ولا ترقى إلى تناول الحياة السياسيّة والاجتماعيّة للمهاجرين، وتمثل الوثائق المتعلّقة بطلبات تأشيرات الدخول إلى الأراضي التونسيّة نسبة 50٪ من الوثائق.

وقد يتبادر للباحث منذ الوهلة الأولى ومن خلال الفهارس المتوفّرة بالأرشيف الوطني التونسي أن ما يتعلّق بالمهاجرين الليبيّين محصور في الصندوق 280 بالسلسلة (A)، بيد أنّني لاحظت من خلال البحث المتواصل أن الكثير من الوثائق موجودة، ومشتّتة في صناديق وسلسلات أخرى وعلى سبيل المثال توجد بعض الوثائق بالصندوق رقم (6) الخاص بمشيخة المدينة وتخصّ هذه الوثائق (الغدامسيّة) و (الفزازنة) ومشيخة (الطرابلسيّة) بمدينة تونس، كما توجد الكثير من الملفّات لبعض الليبيّين، وفي مقدّمتهم الشيخ سليمان الباروني، بالسلسلة الخاصّة (بالمشبوهين)، وفي هذه الملفّات تقارير للبوليس الفرنسي حول تتبّع تلك الشخصيّات.

وحول وثائق الزيتونة بحثت في السلسلة (د) ص 35 و 36 وتنصب وثائق هذه السلسلة على تناول موضوعات عامّة، كمعالجة الوضع التعليمي بالزيتونة، والاضرابات، والملاحظ على القوائم التي تتناول أسماء الطلبة بالزيتونة أنّها لا تشير إلى جنسية الطالب، وهو ما يجعل تحديد عدد الطلبة الليبيّين بجامع الزيتونة وفروعه من الصعوبة بمكان. ومن خلال مراجعة بعض الاساتذة الزيتونيّين القدماء، أفادوني بأن أرشيف الزيتونة مشتّت، مبعثر في عدّة أماكن منها الأرشيف الوطني، ومبنى ادارة التجهيز بمقرين، والكلية الزيتونية، وفي أماكن أخرى، وهو ما يجعل البحث عسيرا أمام الباحث في هذا الجانب.

أرشيف المركز الجـامعي :

يحتوي أرشيف المركز الجامعي على وثائق كثيرة، إلّا أنّ جلها يرتكز على متابعة أخبار الحرب الايطالية الجارية في طرابلس، باعتبار أن فرنسا كانت تراقب الموقف الجاري في الأراضي الليبيّة عن قرب.

أمّا ما يتعلّق بالمهاجرين الليبيّين فإنّه ينحصر في السلسلة (32) وهي عبارة عن متابعة الاجراءات الحدوديّة للقوافل الواردة من ليبيا، والمهاجرين القادمين من طرابلس.

كما يتضمّن أرشيف المركز الجامعي أحداث انتفاضة الجنوب التونسي سنة 1915، ومن الصعوبات التي واجهتني في هذا الأرشيف أن كل التقارير مكتوبة باللغة الفرنسيّة.

مركـز جهاد الليبيّين ضد الغزو الايطالي :

نظرا لكثرة المنشورات التي أصدرها مركز الجهاد، فقد ركزت في أثناء البحث للاطّلاع على المنشورات التي لها صلة بالموضوع، والملاحظ أن مركز الجهاد لا يزال يفتقر إلى الدراسات التي تتناول جهاد الليبيّين بالخارج، إذ ان جلّ الدراسات التي أصدرها المركز حتى الوقت الحاضر تتركز على جهاد الليبيّين بالداخل، وقد يعزى السبب لعدم توفر الدراسات في هذا الجانب.

أمّا الوثائق المتعلّقة بالمهاجرين الليبيّين فإنّها محدودة جدّا، وما هو موجود منها هو عبارة عن نسخ مصورة وليست الأصل، وهو ما يجعل أمر تصويرها لا يؤدّي الغرض المطلوب.

مركز التوثيق القومي التونسي

يضمّ مركز التوثيق القومي جملة من المراجع المهمّة المتعلّقة بتاريخ ليبيا، أمّا من حيث الوثائق المتوفّرة بالمركز فإنّها عبارة عن قصاصات من الصحف، والمجلّات، وفي هذا الجانب تمّ الاطلاع على مسيرة الاتحاد العام التونسي للشغل، والحزب الحر الدستوري.

الرواية الشفويـة ـ الذاكـرة الشعبيّـة

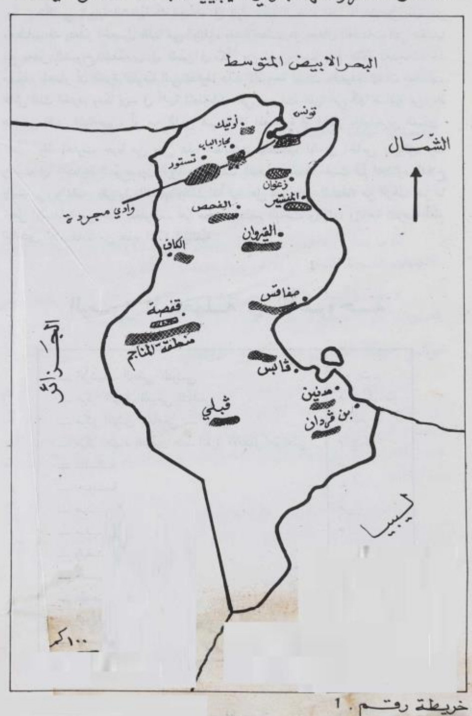
تكتسي الرواية الشفويّة أهمية بالغة في إثراء مادّة البحث نظرا لما تشتمل عليه من معطيات قد يتعذّر الحصول عليها من الوثيقة، وقد لاحظت من خلال الجلسات التي عقدتها مع بعض الشيوخ المتقدّمين في السّن في كلّ من تونس وليبيا إلمام هؤلاء بمعلومات جدّ مهمّة، باعتبار أن الفترة التاريخيّة التي تتناولها هذه الأطروحة ليست بالبعيدة، إذ ان معظمهم عاش تلك الفترة، وممّا يزيد في أهمية المعلومات التي حصلت عليها هي أنّها صادرة عن رواة هم من نفس المهاجرين، أو من الذين لهم علاقة المصاهرة أو الجوار بالمهاجرين الليبيّين.

وقد اخترت جزءا من نص هذه المقابلات ليتضمّنها الملحق الخاص بالوثائق، وقد راعيت في اختيارها التنوّع بين الرواة من حيث التجربة والمهنة، حيث تمّ اختيار، الفلاح والسياسي، والفقيه، والزيتوني القديم، وذلك للتأكيد على المعلومات المستقاة من الرواة، وهو ما يجعل الاستفادة من هذه المعلومات أمرًا مناسبًا لتطعيم البحث وإثرائه، وإتاحة الفرصة أمام الباحثين للاستفادة من هذه المادّة الوثائقيّة.

الرمـوز المستعملـة في الأطـروحـة

ـ الأرشيف الوطني التونسي	أ.و.ت.
ـ مركز التوثيق القومي التونسي	م.ت.ق.ت.
ـ مركز التوثيق الجامعي ـ تونس	م.ت.ج.
ـ مركز جهاد الليبيّين ضدّ الغزو الايطالي/طرابلس	م.ج.ل.
ـ سلسلة	س
ـ خزنة	خ
ـ صندوق	ص
ـ ملف	م
ـ وثيقة	و
ـ جزء	ج
ـ طبعة	ط
ـ الرواية الشفويّة	ر.ش.
ـ عدد	ع

مناطق استقرار المهاجرين الليبيين بالبلاد التونسية



خريطة رقم 1

البحر الابيض المتوسط

الشمال

تونس

الجزائر

غدامس

سبها

فزان

المناطق التي ينحدر منها المهاجرون الليبيون

خريطة رقم 2

الفَصْــل الأول

خَــلفيات الهجْرة اللّيــــبيّة

الفصـــــل الأوّل

خلفيّــات الهجـرة الليبيّـــة

لم تكن الهجرة غاية في حدّ ذاتها، لكنّها كانت الوسيلة الوحيدة التي لجأ إليها المواطنون نتيجة الأوضاع السيّئة التي أصبحت عليها البلاد، وظروف القهر التي سلكها المستعمر الايطالي في المدن والأرياف الليبيّة، والتي أصبحت في ضوئها الحياة، والتعايش مع قوات الاحتلال الايطالي ضربا من المستحيل، وهو ما حدا بالعديد من الأسر والعائلات إلى الهجرة.

ان الهجرة ظاهرة اجتماعيّة عرفتها البشريّة منذ ظهور الانسان الأوّل في عصور ما قبل التاريخ إذ كانت الهجرة ملازمة للانسان أملتها ظروف بيئيّة وجغرافيّة، فكانت الجماعات البشريّة تهجر بيئتها وتتنقّل إلى أماكن أخرى، كلّما ضاقت بها سبل العيش بحثا عن المكان الذي تتوفّر فيه المياه وظروف الحياة المناسبة، فكان الماء ـــ الذي هو سرّ الحياة ـــ الدّعامة الأساسية لظهور واستقرار التجمّعات البشريّة، ويعد وادي النيل في مصر، ونهرَي دجلة والفرات في العراق من الأمثلة البارزة على ظهور الحضارات القديمة على ضفاف تلك الأنهار، والتي شدّت إليها القبائل والتجمّعات البشريّة في المناطق المجاورة، والتي كانت تلجأ إلى الهجرة إلى تلك المناطق لأسباب اقتصاديّة محضة.

ان الهجرة ظاهرة اجتماعيّة لها ارتباط مباشر بعلم السكّان (الديموغرافية) وتعرف في اللغة اللاتينيّة بـ **MIGRARE** أي انتقال الانسان من مكان إقامته إلى بيئة اجتماعيّة أخرى ويعرف (دافيد سيلي) الهجرة بأنّها «حركة انتقال الأشخاص عبر مسافة طويلة إلى غير موطنهم الذي نشأوا فيه»[1] وتنقسم الهجرة إلى قسمين :

أ ـــ الهجرة الداخلية، وهي الهجرة التي تتمّ داخل القطر الواحد، مثل الهجرة من الريف إلى المدينة، وهنا تبرز حقيقة مهمّة وهي التغييرات التي تفرزها الظروف البيئيّة الجديدة في حياة المهاجر، فحياة البيئة الريفيّة تختلف عن حياة المدينة، وهو ما يلزم المهاجر إلى الاندماج والتكيّف مع ظروف البيئة الجديدة.

---

(1) DAVID, SILIS MIGRATION, The International Encyclopédia Of The Social Sciences Vol. 9 New York, London Macmilan (01981) P. 285

ب ــ الهجرة الخارجيّة، وهي انتقال الأفراد من قطر إلى آخر، وهو ما يعرف في مصطلح القاموس السياسي بالهجرة الدولية، وتتمّ الهجرة في شكل مجموعات وأفراد حسب عوامل وظروف الهجرة.

والهجرة العادية أو الاختيارية عادة ما تتمّ وفق اختيارات المهاجر، وتدخل فيها حسابات المهاجر بالنسبة لاختيار الزمان والمكان المناسبين.

أمّا الهجرة القسرية أو الالزاميّة، فإنّها تتمّ نتيجة ضغوط وعوامل عسكريّة واجتماعيّة وسياسيّة، كتلك التي حدثت في ليبيا على إثر دخول القوات الايطالية إلى ليبيا في 3 أكتوبر سنة 1911 والتي بموجبها تمّ تهجير ونفي الآلاف من المواطنين الليبيّين إلى خارج بلادهم (وفي يوم 26 من أكتوبر 1911 تمّت أوّل عمليّة نفي تضمّ 595 مواطنا إلى الجزر الايطاليّة)[2] أي أنّه بعد مضي ثلاثة وعشرين يوما فقط من بداية الغزو الايطالي لليبيا بدأت عملية التهجير الجماعي إلى خارج الحدود الليبيّة.

ولم تقف ايطاليا عند هذا الحد بل استمرّت في سياسة القمع والارهاب سالكة في ذلك شتى الأساليب التي بعثت في نفس المواطن الليبي الحقد.والكراهية والسخط على هذه السياسة التي أرست دعائمها الحكومة الايطالية فوق الأرض الليبيّة وقد خرجت فصائل المقاومة تقارع القوات الايطالية بلا هوادة، وقد سقط الآلاف من المقاتلين الليبيّين في معارك الجهاد التي بدأت منذ أكتوبر 1911، وقد تكبّدت إيطاليا خسائر كبيرة في بعض هذه المعارك، ممّا أجبرها على اتباع سياسة العقاب الجماعي وذلك بمصادرة أملاك وأراضي المواطنين وفتح المعتقلات في العديد من المناطق، وتهجير السكّان.

وكانت الهجرة الخيار الوحيد أمام العديد من الأهالي الذين فقدوا ارزاقهم بعد أن سدّت في وجوههم كلّ فرص الحياة، وفرص المقاومة ضدّ المستعمر.

والهجرة في حد ذاتها كانت شاقّة وعسيرة اذ تكتنفها العديد من المخاطر، ويصف أحد المهاجرين مدى المعاناة التي يعيشها المهاجر[3] (لم تكن الهجرة ميسورة وسهلة بل كانت مغامرة تحفّها الكثير من المخاطر في مقدّمتها التغلّب على مشاق السفر قبل معاناة الجوع والعطش والدخول في معارك مع جنود الدوريّات).

ويمكن اجمال العوامل المسبّبة للهجرة، وفق العناصر التي تمّ تصنيفها على الوجه الآتي :

(2) **المنفيّون اللّيبيّون إلى سجون الجزر الايطاليّة** منشورات مركز دراسة جهاد اللّيبيّين ضدّ الغزو الايطالي ــ الجماهيريّة العربية اللّيبيّة 1989

(3) بوشعالة سعد محمد «المجاهد عبد الرّزاق العوامي ودوره في حركة الجهاد» في **مجلّة البحوث التاريخيّة** السّنة الحادية عشرة العدد الثاني منشورات مركز الجهاد ــ طرابلس يوليو 1989 ص 22.

1 ــ العامــل السيــاســي.

2 ــ العامــل الاقتصــادي.

3 ــ العامــل الاجتمــاعي.

1ــ العــامــل السيــاســي

كان لضعف الدولة العثمانية، وسياسة التتريك التي إنتهجتها جماعة تركيا الفتاة، والتي اعتمدت أساسا على تعميق المشاعر القومية السياسية آثارها المباشرة على الولايات العثمانية.

وكانت ليبيا آخر الولايات التي فقدتها الدولة العثمانية بعد أن أفل نجمها، وقد يكون ذلك سببا في أن ليبيا التي عايشت لسنوات طويلة ضعف الدولة العثمانية والذي شمل الجوانب الاقتصادية والسياسية والمعرفية، قد أفقدها القدرة عن اللحاق بركب الولايات الأخرى التي أعادت بناء نفسها من جديد، وقد شجّع ذلك إيطاليا التي كانت تتابع الأوضاع والظروف التي تمر بها ليبيا عن كثب، وكانت لديها كل المعلومات عن القوات المسلّحة العثمانية بليبيا، والتي لم تكن في وضع يمكنها من التصدّي لردّ أي عدوان أجنبي .. جاء في مذكرات (جوليتي)[4] (ان الحاميات التركية في طرابلس ودرنة وبنغازي وطبرق ومصراتة، قليلة بشكل لا يسمح لها باعتراض عمليات نزول جنودنا على الشاطىء. ان الجنود النظاميّين من النقط الرئيسيّة في طرابلس وبرقة لا تزيد على ثلاثة أو أربعة آلاف)[5].

ان ضعف الدولة العثمانية قد يكون في مقدّمة الأسباب التي شجّعت ايطاليا على تحقيق غزوها لليبيا، الّا أنّ هناك جملة من الأسباب الأخرى التي كانت محركة للغزو الايطالي منها العامل الاقتصادي والعامل التجاري، والعامل الاستيطاني، وأهمّها الظروف الدولية التي كان يعيشها العالم (ولقد انطلق الغزو الايطالي لولاية طرابلس في ظلّ بيئة دولية تقبل فكرة الغزو)[6].

كانت الأمور مهيأة أمام إيطاليا لغزو ليبيا، سواء فيما يتعلّق بالدولة العثمانية المنهوكة القوى، أو الظروف العالمية التي ساد فيها صوت الأقوياء في وقت غابت فيه الشرعيّة الدوليّة، والقانون الدولي الذي يردع المعتدين. فإنّ موقف الشعب الليبي كان موقف التصدّي للغزو رغم امكانياته الضعيفة وأسلحته المتواضعة، ونتيجة الموقف الذي اتخذه الأهالي ضدّ القوات

(4) جوليتي هو أحد الشّخصيّات السياسيّة الايطاليّة، تولّى رئاسة الحكومة الايطاليّة لعدّة مرّات، ولقد عاصر الغزو الايطالي لليبيا سنة 1911.

(5) بروشين . ن . أ **تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969**، ترجمة الدّكتور عماد حاتم منشورات مركز الجهاد ــ طرابلس 1988 ص ــ 105.

(6) البوري عبد المنصف حافظ، **الغزو الايطالي لليبيا دراسة في العلاقات الدولية** الدار العربيّة للكتاب 1983 ــ ص 362.

الايطالية وهو انتهاج أسلوب المقاومة الشعبية، رأت الدولة العثمانية تهدئة الخواطر، وإطفاء نار الحرب، حيث أرسل (أمر سلطاني) بتاريخ 16 أكتوبر 1912 جاء فيه (أرسل أمري العظيم لأهالي وأعضاء مجلس الشيوخ وشرفاء ووجهاء طرابلس الغرب وبنغازي :

تحاول الحكومة انهاء الحرب التي سينتج الضرر لكم ولعائلاتكم وللدولة، ومن جهة أخرى أن الحكومة لا تملك الامكانيات لترسل لكم الامدادات التي تحتاجونها للدفاع عن البلاد)[7].

كان ذلك شبه اعلام رسمي عن تخلي الدولة العثمانية عن الشعب الليبي، وهو الأمر الذي دعا بعض القيادات والزعامات الليبيّة إلى تحمل مسؤولياتها في الدفاع عن الوطن، وان كانت هذه القيادات غير منظمة، وغير مؤطّرة بشكل يمكنها من العمل في شكل جماعي، فقد استطاع الشيخ سليمان الباروني[8] تكوين جبهة مقاومة قويّة بمنطقة الجبل الغربي[9] بينما شكل أحمد الشريف السنوسي[10] قوّة مقاومة في المناطق الشرقية من ليبيا وقد ارسلت الدولة العثمانية أنور باشا وزير الحربية إلى أحمد الشريف السنوسي يسلّمه (فرمانا) بتعيينه نائبا للسلطان، وكان ذلك يعني (أنّ الدولة العثمانية قد نفضت يدها تماما من أمر ليبيا)[11].

لقد كان لانسحاب الدولة العثمانية، وتخلّيها عن ليبيا آثاره في نفوس المواطنين الليبيّين، ولم يجد الليبيّون العذر للدولة العثمانية بتنازلها عن ليبيا وتوقيع معاهدة الصلح مع ايطاليا سنة 1912، والتي بموجبها أصبحت ايطاليا صاحبة السيادة في ليبيا[12] وأصبح الليبيّون بأسلحتهم المتواضعة وحدهم في مواجهة دولة تمتلك الطائرات والأسلحة المتطوّرة التي لم يألفها الليبيّون آنذاك.

ومن السياسة التي اتبعتها ايطاليا في ليبيا، محاولة إيهام الأهالي عن طريق الدعاية والنشرات بأنّها ما جاءت إلى ليبيا الّا لغرض خدمة البلاد ورفاهية المواطن، وكان القصد من وراء ذلك إخماد لهيب نار المقاومة المشتعلة في كل شبر من الأراضي الليبيّة، جاء في رسالة محمد بن حسن المشاي أحد زعماء المهاجرين الليبيين بتونس (أخذ الايطاليون ينشرون النشرات ويعلنون بأنّهم ما جاءوا إلى تلك البلاد إلّا لترفيهها ونشر المدنية فيها مع المحافظة على

---

(7) **تاريخ القوات المسلّحة التركيّة ــ الدور العثماني ــ الحرب العثمانية الايطالية** ترجمة محمد الاسطى ود. علي اعزازي ــ منشورات مركز ــ طرابلس 1988 ص 565.

(8) الشيخ سليمان الباروني كان أحد أعضاء (مجلس المبعوثان) بالاستانة.

(9) بروشيـن ن. أ. **نفس المصـدر** ص 129.

(10) أحمد الشريف السنوسي هو أحد قادة الجهاد في ليبيا، وينحدر من العائلة السنوسيّة، وهو حفيد محمد بن علي السنوسي مؤسّس الدّعوة السنوسيّة ولد بالجغبوب سنة 1873، وقد تولّى مهام الدّعوة بعد وفاة عمّه المهدي وكان للسنوسيّة مواقف نضاليّة ضدّ الفرنسيّين في النّيجر وتشاد ومالي وجنوب الجزائر.

(11) عارف جميل **مذكّرات عبد الرحمٰن عزام** ــ المكتب المصري الحديث ص 31.

(12) أ.و.ت س.أ. صندوق 280. ملف 1

التقاليد الأهلية والتعاليم الدينيّة فهدأت الحالة مدّة وجيزة رجعت الطمأنينة للنّفوس بعد الخوف الذي ملأ جوانحها، وصغت للراحة، ولكن عندما دخل جيشهم في داخل البلاد قلبت للأهالي ظهر العجب، وأخذوا يسومونهم سوء العذاب، ولا يبالون بقتل الأبرياء من الشيوخ والأطفال والنساء)[13].

وفي هذا الخضم الذي كانت فيه الساحة الليبية تشتعل نارا بين المقاومة الشعبية والقوات الايطالية الغازية، كانت الدول العربية غائبة، وغير قادرة عن مساندة الشعب الليبي بسبب وقوعها تحت الاستعمار الأجنبي، فالدول العربية المجاورة لليبيا وهي تونس والجزائر ومصر والسودان كانت تخضع للسيطرة الفرنسية والانجليزية، وبالتالي لم تسمح ظروفها بالمشاركة في الحرب لمناصرة الليبيّين، إلّا أنّ شعوبها كانت حاضرة بقلوبها مع المقاومة في ليبيا، وتقدّم الكثير من المتطوّعين لمساندة المقاومة في ليبيا بالاضافة إلى تقديم المعونات المادية[14].

تلك كانت الظرفية التاريخيّة على المستوى العربي، أمّا على المستوى العالمي فإن البيئة الدولية كانت خالية من المؤسسات الدولية التي تحافظ على الشرعية الدولية وكان التنافس على أشدّه بين الأقوياء لتحقيق ما يمكن تحقيقه من مستعمرات في مناطق مختلفة من العالم في غياب القانون الدولي.

وإزاء تلك الوضعية التي كان يعيشها العالم، أصبح الجانب السياسي له أبعاد كبيرة، فالمقاومة وحدها قد لا تفي بالغرض إذا لم تكن هناك قوّة سياسية تدعمها لذلك قرّر الزعماء الليبيّون الاعلان عن مولد الجمهورية الطرابلسية[15] في 16 نوفمبر 1918[16] ومن الأهداف التي جاءت في بيان إعلان الجمهورية : (تفخر الأمّة الطرابلسيّة بتتويج إستقلالها بإعلان الحكم الجمهوري وانتخاب نواب عنها من كافة انحائها لمجلسي الحكومة والشورى ولا هدف لها الّا ضمان وحدتها وحريتها داخل حدودها الأساسية المعروفة كما أنّها لا تقصد الّا أن تعيش عيشة هنية مسالمة لجميع الأمم التي لا تحاول غصب حقوقها)[17].

ان قيام الجمهورية الطرابلسية لم يدم طويلا، إذ لم يكتب لها النجاح بسبب الخلاف بين الزعماء السياسيّين، والموقف الايطالي المتصلّب، وكان ذلك احباطا لنفوس المواطنين الليبيّين، لا سيّما وأن ايطاليا صعدت بعد الحرب العالمية الأولى من ممارستها القمعيّة ضدّ الأهالي، ومنذ سنة 1922 بدأت تسلب الأراضي والعقارات من الأهالي بالقوّة، وكان من نتائج

---

(13) أ.و.ت. س.أ. صندوق 280. ملف 1

(14) عـارف جميـل **نفـس المصـدر** ص 35.

(15) إعلان الجمهوريّة الطرابلسيّة الذي تمّ في 1918/11/16 يعتبر أوّل إعلان جمهورية في الوطن العربي، وكانت رئاسة الجمهوريّة تتكوّن من سليمان الباروني، أحمد المريض، رمضان الشتيوي، عبد النبي بالخير.

(16) المرزوقي محمد **عبد النبي بالخير داهية السياسة وفارس الجهاد** الدار العربيّة للكتاب 1978 ص 103.

(17) عـارف جميـل **نفـس المصـدر ص** 215.

ذلك، انخرام الأمن الذي انعكس على حياة المواطن اليومية، إضافة إلى ما سلطته السلطات العسكرية الايطالية على أهل البلد من صنوف القهر، والظلم، والقتل والاستيلاء على مقاليد السلطة بالبلاد، يشير أحد المهاجرين الليبيّين[18] بالبلاد التونسيّة في رسالة بعث بها إلى (أحمد باشا باي) يشرح فيها الظروف القاسية التي عاشها المواطن في ليبيا من جراء سياسة الاستعمار الايطالي : (..حيث أنّي أحد مهاجري طرابلس الغرب ومنكوبيها الذين ضاع دمنا هدرا وحالنا وما يكتسب فتركنا كلّ ما لدينا وهو ملك لنا فصار ملك غيرنا وفيه يتمتّعون ونحن فضلنا الهجرة على البقاء)[19].

ومع احتدام هذا الصراع، أصبحت الأبواب مؤصدة أمام الشعب الليبي في الدفاع عن قضيّته وإيصال صوته إلى شعوب العالم وذلك نتيجة الهيمنة الايطالية، وسيطرتها على كافة مقاليد الأمور بالبلاد، والتي أصبح في ضوئها ايصال صوت الشعب الليبي إلى الخارج لكشف الاعتداءات والممارسات الايطالية داخل ليبيا أمرًا في غاية الصعوبة، ومن هنا كانت الهجرة إحدى الوسائل المهمّة في خدمة القضيّة الليبيّة سياسيا واعلاميّا بالخارج.

لقد شملت هجرة الليبيّين إلى مصر وسوريا وتونس وتركيا العديد من العناصر الاعلامية من صحفيين وكتاب[20] بالاضافة إلى بعض القيادات السياسية مثل بشير السعداوي وسليمان الباروني وأحمد المريض، وكانت هذه العناصر مؤهلة للقيام بنشاط سياسي مفيد يخدم القضية الليبيّة، وكان بشير السعداوي[21] من العناصر المتحركة سياسيا، حيث أهاب في منشور وزعه على كافة الأقطار التي يتواجد بها مهاجرون ليبيّون إلى تحمّل مسؤوليّاتهم في الدفاع عن قضية بلادهم[22] (وغني عن البيان أن الجدال اليوم أصبح لا يقوم بالسيف وحده بل لا بد له من أقلام تعززه وأراء تؤيّده، ولذلك فإنّ اللجنة التنفيذيّة منذ تألّفت أخذت على عاتقها الدفاع عن حقوق الأمّة الطرابلسيّة البرقاوية).

(18) أحمد راسم كعبار بك ابن الحاج علي بك الطّرابلسي الغرياني، هو أحد وجهاء منطقة الجبل الغربي (غريان) وقد هاجر إلى تونس، واستقرّ بمنطقة (حاجب العيون) بعد أن سلبت منه السّلطات الايطاليّة أملاكه، وجرّدته من كل شيء (عدد المزارع المصادرة منه 5 مزارع).

(19) أ.و.ت س.أ. صندوق 280. ملف 1.

(20) بن موسى تيسير **كفاح اللّيبيّين السّياسي في بلاد الشّام 1935 - 1950** منشورات مركز الجهاد — ط. أولى 1983 — ص 28.

(21) بشير السعداوي، أحد المهاجرين اللّيبيّين بدمشق، تولّى رئاسة اللّجنة التّنفيذيّة للجاليات الطّرابلسيّة البرقاويّة بالشّام، ومن مؤسّسيها الأوائل، كما أنّه ساهم في انشاء الفروع للجمعيّة المذكورة بأقطار عربيّة أخرى ومن بينها الفرع الذي أسّس في تونس، وتولّى السعداوي رئاسة حزب المؤتمر الذي هو عبارة عن ائتلاف مجموعة من الأحزاب في ليبيا.

(22) صحيفة الصّواب التونسيّة عدد 596 بتاريخ 18 أكتوبر 1929.

ومن نشاط المهاجرين السياسيّين بالخارج المشاركة في المؤتمر الاسلامي الذي عقد بمدينة القدس في شهر ديسمبر 1931[23] وكان بشير السعداوي قد ترأس وفد المهاجرين الليبيّين الذي قدم تقريرا لاطلاع الدول والشعوب الاسلامية على الجرائم التي ترتكبها ايطاليا ضد الشعب الليبي المسلم.

2 — العامل الاقتصادي

كان من نتائج السياسة الايطالية على الحياة الاقتصادية في ليبيا، تدهور الوضع الاقتصادي بصفة عامّة، حيث تقلصت التجارة، وتأثرت الزراعة من خلال طرد الليبيّين من الأراضي الخصبة وتحويلهم إلى خانة العمال العاديّين[24] وقد أملت سياسة الاستعمار الايطالي الفاشي إلى اجبار طاقات هائلة من العمّال الذين كانوا يعملون في الفلاحة إلى التوجه إلى ممارسة حرف أخرى تخدم أهداف سياسة المستعمر، كأعمال البناء، وشق الطرق، والخدمة العسكرية[25] وكان الأجر في هذه المهن زهيدا جدّا لا يفي حتى بتغطية نفقات المواطن ضروريّة.

وقد انعكس كلّ ذلك على الحياة اليومية للمواطن، إذ انعدم توفر الحاجات الضروريّة للمواطن، والتي كانت الزراعة تشكل أهم مصادرها، فقوت أهل البلد يعتمد على القمح والشعير، وفي إهمال الزراعة يعني خلق مشكلة مصيرية للمواطن وهو الغذاء اليومي الذي سيجبره حتما للبحث عن مناطق بديلة يتاح فيها للمواطن توفير لقمة العيش، وبالتالي كانت الهجرة الخيار الوحيد أمام المواطن وهي السياسة التي يخطط لها المستعمر، ويعمل من أجل تحقيقها.

وكانت السلطات الايطالية قد عمدت إلى ابعاد المواطنين عن مزارعهم الأمر الذي أدّى إلى تكوين مجمعات للأكواخ حول المدن، ومن أهمها مجمع (التوكول)[26] بباب تاجوراء من ضواحي طرابلس، وتصور تلك التجمّعات للأكواخ الفقر المدقع الذي أصبح عليه الأهالي.

لقد مسّت سياسة التفقير والتجويع التي انتهجتها ايطاليا كافة شرائح المجتمع الليبي، إذ لم يسلم منها الأغنياء، وأصحاب الوظائف الكبيرة على حدّ سواء، جاء في المذكّرة التي بعث

(23) بن موسى تيسير **نفس المصدر** ص 51.

(24) بروشين ن.أ **نفس المصدر** ص 218.

(25) **الاستعمار الاستيطاني الايطالي في ليبيا سنة 1911 - 1970** (أعمال الندوة العلمية التي عقدها مركز دراسة جهاد اللّيبيّين ضدّ الغزو الايطالي بمناسبة عيد الثأر في السابع من أكتوبر سنة 1983) تحرير الدكتور إدريس صالح الحرير ص 113.

(26) **نفس المصدر** ص 103.

بها محمد فكيني[27] إلى أحمد باشا باي سنة 1931 (...بينت ما وقع لي من الحزب الطلياني وزبطوا أموالي المقدّرة بثلاثة ملايين وأملاكي بمركز مدينة طرابلس وخارجها)[28].

ان سياسة ايطاليا في استلاب الأرض من أصحابها الأصليّين، كانت قد مرّت بعدّة مراحل زمنيّة، كان الهدف من ورائها تحويل الأراضي الخصبة إلى مزارع تكون على ذمّة المزارعين الايطاليّين القادمين من إيطاليا.

كانت المرحلة الأولى التي سبقت1922 ترتكز أساسا على سياسة التفقير والتجويع لاجبار الأهالي على ترك أراضيهم، وإلحاقهم بأعمال تخدم الوجود الايطالي.

أمّا المرحلة الثانية التي بدأت منذ سنة 1922 فهي سياسة اغتصاب الأراضي بالقوّة من أصحابها، وخاصّة الأراضي الزراعيّة الخصبة.

وفي سنة 1928 بدأت السياسة الجديدة للاستعمار الاستيطاني الايطالي، والتي تهدف أساسا إلى منح عدد كبير من المهاجرين الايطاليين مزارع مجهزة بكافة المرافق، وقد تمّ توزيع تلك المزارع التي أصبحت في حكم المزارع التي تملكها حكومة ايطاليا على الفلاحين الايطاليّين القادمين من ايطاليا، وذلك بموجب عقود تضمن للفلّاح الايطالي، كافّة الحقوق والضمانات التي نص عليها المرسوم الملكي رقم 1955 بتاريخ 1928/6/7[29].

ونتيجة لسياسة تهجير المواطنين عن مقار اقامتهم الأصلية والزج بهم في المعتقلات التي أقامتها القوات الايطالية، فقد الحق ذلك ضررا فادحا بالثروة الحيوانيّة التي أصابها الاهمال، فلا راعيا يرعاها، ولا أنيسا يوفر لها مواطن الكلأ، وقد بلغ عدد الحيوانات بمنطقة الجبل الأخضر وحدها التي كانت على ذمّة المهجرين 600.000 رأس من الضأن والماعز والبقر[30].

إنّ العامل الاقتصادي الذي يعد من أبرز العوامل التي أثرت في حركة الهجرة الليبيّة، كان يقع تحت ضغط، وتأثير عاملين هامين :

---

(27) الحاج محمد بن خليفة فكيني ينحدر من بلدة الرجبان بمنطقة الجبل الغربي بليبيا شارك في الجهاد اللّيبي منذ سنة 1911 إلى 1923، تحوّل إلى فزّان على إثر الزحف الايطالي المكثّف، وفي سنة 1929 هاجر إلى الجزائر ضمن آلاف المهاجرين عن طريق الصحراء الكبرى، ثمّ انتقل إلى الجنوب التونسي، حيث مكث فترة بالمتلوّي، انتقل بعدها إلى قابس، وبقي هناك إلى أن انتقل إلى جوار ربّه سنة 1950، ومن ابنائه الدّكتور محي الدّين فكيني الذي تولّى رئاسة مجلس الوزراء في ليبيا سنة 1963.

(28) أ.و.ت س.أ. صندوق 280. ملف 1.

(29) الشركسي محمد مصطفى **لمحات عن الأوضاع الاقتصاديّة في ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني** ــ الدار العربيّة للكتاب، 1976 ــ ص 70.

(30) سانتاريللي وآخرون **عمر المختار وإعادة الاحتلال الفاشي لليبيا** ــ ترجمة عبد الرّحمان العجيلي ــ منشورات مركز الجهاد ــ طرابلس 1988 ــ ص 152.

أوّلا : السياسة الاقتصادية المسلطة من قبل الحكومة الايطالية، والتي تمّ تطبيقها فوق الأرض الليبيّة، رغم ارادة الشعب الليبي.

ثانيــا : الظروف الطبيعيّة، وانحباس المطر في بعض السنوات، والتي كان لها انعكاس مأساوي على حياة أغلب السكان.

إنّ للظروف المناخيّة والطبيعية دورها في إجبار العديد من الأهالي إلى الهجرة، ولا سيّما أولئك الذين يعيشون في مناطق تنعدم فيها المياه الجوفية مثل منطقة الجفارة والجبل الغربي.

لقد كانت سنة 1947 قاسية على المواطن في ليبيا[31] إذ عمّ الجفاف، واجدبت الأرض، واقترن ذلك بارتفاع شديد في درجات الحرارة لم تألفها البلاد من قبل، والمعروف مناخيّا أن أغلب المناطق في ليبيا تعتمد في مجملها اعتمادا كليا على مياه الأمطار سواء بالنسبة لزراعة الحبوب أو تربية الحيوانات.

ولم يكن تأثير مشكلة الجفاف على الليبيّين وحدهم، بل كانت آثار ذلك قد مسّت المزارعين الايطاليين في ليبيا الذين كانوا يملكون أخصب الأراضي الزراعيّة، وقد تدنّى مردود محاصيل الحبوب إلى النصف في سنة 1947 نتيجة الجفاف[32] وهلاك الثروة الحيوانية.

كما كانت الحرب العالمية الثانية قد خلفت وراءها أوضاعا سيئة في ليبيا إذ تقلّصت السوق المحلّية، كما أنّ التجارة مع ايطاليا التي كانت تمثل السوق الوحيد لليبيا أصبحت في حكم العدم بالاضافة إلى ما خلفته الحرب من أضرار على المناطق الزراعيّة وهلاك العديد من المزارع، كما أنّ زراعة الألغام شملت العديد من المناطق في ليبيا، الأمر الذي أصبح يشكل خطرا على حياة المواطن، وعلى الثروة الحيوانية.

ومن آثار الأوضاع الاقتصادية الحادّة التي أرست دعائمها سياسة إيطاليا القمعيّة في ليبيا، والتي اقترنت في بعض الفترات بسنوات الجفاف والجدب، ممّا أجبر بعض العائلات في سبيل توفير لقمة العيش لأبنائها إلى الالتجاء إلى عملية (الرهن) أو البيع لجزء من أراضيها بأبخس الأثمان لمواجهة الظروف المعاشية الصعبة والتي جعلت الأهالي يعجزون عن توفير قوتهم اليومي.

وفي منطقة الجبل الغربي حيث الزراعة (بعلية) واعتمادها الكلّي على مياه الأمطار، قامت إحدى العائلات التي قرّرت الهجرة إلى تونس، بيع (ربع هكتار) مشجرة بأشجار التين

---

(31) رواية الحاج بلقاسم محمد الواعر أحد المهاجرين اللّيبيّين الذين هاجروا من منطقة الجبل الغربي سنة 1947 ويصف الحالة التي أصبحت عليها البلاد نتيجة إنحباس المطر بأنّها أسوأ السنوات التي عاشتها ليبيا.

(32) سيجري كلوديو **الشاطىء الرابع الاستيطان الزراعي في ليبيا** ترجمة د. عبد القادر المحيشي، مركز دراسة جهاد اللّيبيّين ضدّ الغزو الايطالي سنة 1987 ــ ص 239.

والزيتون[33] بثمن قدره (رأس من الضأن و3 مرطات من الشعير)[34] تلك عينة لعمليات الرهن والبيع التي أصبحت مألوفة في ذلك الوقت، نتيجة أن العائلات لم يعد أمامها مورد رزق سوى الالتجاء إلى بيع جزء من أراضيها لبعض (الانتهازيين) الذين هادنوا سياسة الاستعمار الايطالي، والذين حاولوا توسيع أملاكهم على حساب الفقراء والمعوزين، ولقد خلق هذا الوضع إشكالية بعد عودة المهاجرين من تونس، منذ سنة **1957** تاريخ بداية العودة المكثفة للمهاجرين إلى ليبيا، حيث طرحت العديد من القضايا أمام المحاكم[35] للنظر في تلك الأراضي التي تمّ بيعها بطرق غير شرعيّة باعتبار أن جلّ الأراضي القبلية تخضع لملكية مجموعة من (الورثة)، وكان من حق هؤلاء الورثة الذين لم يحضروا عملية البيع أن (يشفعوا) في استرداد أرضهم بعد إعادة القيمة التعويضيّة للمشترى السابق للأرض.

كانت قضايا استرداد الأرض وموضوع (الارث) من أدق القضايا التي تنظر فيها المحاكم باعتبارها تأخذ فترة طويلة من الوقت في التمحيص والتدقيق، نظرا لعدم تسجيل الأراضي بدائرة التسجيل العقاري التي تضمن الملكية العقارية، إضافة إلى ذلك فإن الفريقين المتنازعين في موضوع (الارث) غالبا ما يكون الأمر بينهما مفرط الحساسية، فكثيرا ما تنشب عملية الاعتداء داخل قاعة المحاكم لتصل في بعض الأحيان إلى جريمة القتل[36] وهو ما حدث لبعض المهاجرين في غريان، والزاوية، وترهونة.

3 ــ العامـــل الاجتمـــاعـي

منذ اندلاع الحرب في مطلع شهر اكتوبر سنة **1911**، كان للأسلوب الوحشي البربري الذي تبنته السلطات العسكرية الايطالية آثاره الاجتماعيّة السيّئة على المواطنين، والذي يهدف إلى تطبيق سياسة الهجرة القسرية التي ترمي اليها السلطات الايطالية بتهجير ما يمكن تهجيره من المواطنين الليبيّين خارج وطنهم، فهدم بيوت المواطنين ومصادرة أرزاقهم[37] واستباحة الحرمات وتشتيت العائلات هي سياسات رمت من ورائها السلطات الايطالية لاجبار الأهالي، وإرغامهم على الهجرة خارج ليبيا حتى تتمكّن السلطات الايطالية من الانفراد بحكم البلاد والهيمنة على كافّة مقدراتها.

---

(33) ورد ذلك في المقابلة التي أجريتها مع الحاج علي أوحيدة البالغ من العمر (95 سنة) بمنطقة الاصابعة ــ الجبل الغربي ــ بتاريخ 1988/8/21، وأفاد بأنّ 80 % من أفراد قبيلته قد هاجرت إلى تونس، جزء هاجر سنة 1913، والجزء الآخر هاجر سنة 1947، وقد فضّل هو البقاء في ليبيا رغم الظروف القاسيّة، وذلك لرعاية أرضه، وما تبقّى له من حيوانات التي ضاع أغلبها بسبب العطش وجدب الأرض.

(34) (المرطه) من الحبوب تقدر بمقدار (15) كيلوغرام وفقا لما هو متعارف عليه في ليبيا.

(35) وثائق أرشيف محكمة غريان الشرعية.

(36) نفس المصـــدر.

(37) أ.و.ت س.أ. صندوق 280. ملف 1.

وتبين الوثيقة التالية مدى الجور الذي لحق بالمواطنين الليبيّين، من جراء سياسة ايطاليا وهي رسالة موجهة إلى أحمد باشا باي تونس بتاريخ **1936/7/21** من قبل المواطن الليبي عمر بن الحاج خليفة بن الحاج عمر بن مؤمن الطرابلسي[38]، وقد جاء فيها : (...أنّه رجل من أهالي طرابلس وقد طوحت به الطوائح إلى أن استقرّ بمملكتكم السعيدة منذ عشرة أعوام وهو كبير السن إذ قد زادت سنه عن الخمسة والسبعين عاما ولا عائل له ولا أهل وليس في مقدوره تعاطي الأشغال البدنية فبقي على حال العجز. الله أعلم بحقيقتها وشدّتها ولهذا آتي إلى بابكم الكريم مسترحما طالبا المعونة إمّا بتسيير نصيب له وإمّا بتسهيل توجيهه إلى بلاد مصر حيث يوجد هناك بعض أقاربه ومعارفه من الطرابلسيّين)[39].

ويوضح تقرير أعدّه (جوتبرج) وهو صحفي ألماني، ومراسل لصحيفة ألمانيّة تسمّى (مخبر برلين) مدى الأسلوب الوحشي الذي مارسته القوات الايطالية مع المواطنين الليبيّين، وقد أتيحت الفرصة لهذا الصحفي أن يعيش أحداث المعارك التي عاشتها طرابلس خلال شهرَي أكتوبر ونوفمبر **1911**، وقد أعدّ تقريرا أوضح فيه ما شاهده، وما عاشه على أرض الواقع، يقول التقرير : (كانت زمرة من الجنود تسوق أمامها رجالا، ونساء وأطفالا عربا وكان هؤلاء يدفعون بالأقدام وأعقاب البنادق ــ ظلال لصورة الحرب، غير أنّه ليس ما لا يغتفر ولا خطئة الموت تتناقض مع التعاليم المقدّسة الصريحة للجنديّة. وتخلفت فتاة عمرها بين **17** و **18** سنة عن الجمع فأدركنا أنّها مريضة وأنّها تشكو من قدمها المتورّمة الكعب، وعندما استلقت احدى الباكيات تشكو من فرط الألم واليأس أرضا أمسك بها جنديّان من قدمها والقيا بتلك النائمة فوق الرمال بعد جرها، والتفّت ملابسها على رأسها، كانت الفتاة المسكينة عارية لتجلب المسرّة للجنود الضاحكين)[40] لم يخجل الجنود والضباط الايطاليّون من انتهاك أعراض المواطنين بالقوّة، وقد استخدموا في ذلك السلاح لاجبار بعض الزوجات، والفتيات البريئات لمواقعتهنّ بالقـوّة، نذكر على سبيـل المثـال الرائـد (ماديـا) **MADIA**، الرقيـب كوميرساتو **COMIRSATO**، النقيب الليسي **ALLISI**[41].

لقد تعدّدت أعمال الايطاليين وسلوكياتهم التي تنال بصورة مباشرة من شرف الأسرة الليبيّة، ففي بلدتي كاباو ونالوت قامت القوات الايطالية بتسجيل **40** فتاة من (كاباو) و**30**

---

(38) هو أحد المهاجرين اللّيبيّين، ينحدر من أولاد الشيخ عبد السلام الأسمر (ساحل الاحامد) بزليطن، ونظرا لعدم وجود من يعوله في تونس من أقاربه ولكبر سنّه، فقد إستقرّ به المقام في تونس عند الشيخ محمد الشريف (بمرسى بلاج).

(39) أ.و.ت س.أ. صندوق 280. ملف 1.

(40) الشريف سالم ابراهيم «مشاهدات صحفي ألماني بطرابلس»، في **مجلّة البحوث التاريخيّة**، س1. ع.1. طرابلس 1986.

(41) عزام عبد الرّحمنْ «كفاح الشعب اللّيبي في سبيل الحرية» في **مجلّة الوثائق والمخطوطات** ترجمة د. عماد الدين غانم، منشورات مركز الجهاد، طرابلس السّنة الأولى، العدد الأوّل 1986 ص 50.

فتاة من (نالوت) لغرض ترحيلهن مع القوات الايطالية، ولاستخدامهن في أغراض غير إنسانيّة[42] وقد أثارت هذه الحادثة ثائرة المجاهدين بمنطقة الجبل بقيادة خليفة بن عسكر، حيث دخلوا في معارك شرسة مع القوات الايطالية.

وكان أحد الضباط الايطاليّين المسؤولين على القوات الايطالية بمنطقة نالوت قد طلب (زواجه) من فتاة مسلمة، وطلب ذلك رسميّا من عميد بلدية نالوت (عمرو بن عسكر)[43] وقائمقام نالوت اتمام اجراءات زواجه من تلك الفتاة. وقد كان رد المسلمين بتلك المنطقة عنيفا واعتبروا ذلك تحدّيا وتعدّيا على دينهم وشرفهم، ويصف محمد حسن المشاي أحد زعماء المهاجرين الليبيّين بتونس أعمال الايطاليّين ضدّ الشعب الليبي بأنّها أعمال لا تعرف للانسانيّة قدرا من خلال قتل النفوس البريئة وارتكاب أبخس الأعمال التي (تحمر لها وجوه الانسانية)[44].

ولم تسلم كافة المناطق في ليبيا التي وطأتها أقدام الجنود الايطاليّين من توجيه الاهانة للأهالي، ومس كرامة المواطنين، وقد تعدّدت الأوجه والأساليب، فمن الاعتداء المباشر على الكرامة، أو الكلام البذيء، إلى التصرّفات اللاأخلاقيّة، والتي كانت توجه لأفراد الأسر والعائلات الليبيّة، وهي أسباب كان الناس مجبرين أمامها إمّا بقبول الأمر الواقع، والرضا بسياسة الخنوع والذل، أو فتح المواجهة مع الأعداء، وهذا كان أمرا مكلفا، وفي غير إمكان جل العائلات التي كانت عزلاء من السلاح، وفي حالة اقتصادية واجتماعية سيئة، وفي ضوء هذه الأسباب كانت العائلات مجبرة على اختيار طريق الهجرة هروبا بالنفس، وحماية للدين والشرف[45].

لقد خلقت المعتقلات جوّا مخيفا ولد الرعب في نفسية المواطن الليبي، باعتبار أن المعتقلات أصبحت السجن الذي ينتظر كلّ أسرة، وقد كان لذلك انعكاسه على نفسية أحد الشعراء الشعبيّين الذي سجّل ذلك في ملحمة شعرية، وقد عرفت هذه القصيدة بعنوان (ما بي مرض غير دار العقيلة)[46].

---

(42) القشاط محمد سعيد **خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام** دار المسيرة — بيروت 1978، ص 31.

(43) عمرو بن عسكر هو الشقيق الأكبر لخليفة بن عسكر، قائد انتفاضة الجنوب التونسي سنة 1915 ضدّ فرنسا وإيطاليا وقد عاش عمرو بالجنوب التونسي رفقة شقيقه خليفة بن عسكر.

(44) أ.و.ت س.أ. صندوق 280. ملف 1.

(45) ورد ذلك في المقابلة التي أجريتها مع الحاج امقام أحميد عبد الله، (73 سنة)، وهو أحد المهاجرين الليبيّين (بمرناق)، عاد إلى ليبيا سنة 1958، ويعمل الآن فلّاحا بمنطقة الزهراء غرب طرابلس. أجريت معه المقابلة يوم 1988/3/26.

(46) كانت العقيلة التي تقع على الشريط الساحلي إحدى المناطق التي أقيم بها معتقل عُرِفَ بمعتقل العقيلة، وقد زجّ فيه 10.900 من المواطنين الليبيّين.

تقول القصيدة[47] :

ما بي مرض غير دار العقيلة وحبس القبيلة وبعد الجبا من ابلاد الوصيلة، ثم يضيف شاعر آخر في نفس الوزن وفي نفس القصيدة.

ما بي مرض غير فقد الرجال وفنيت المال وحبست نساوينا والعيال

ان المعتقلات الفاشستية بليبيا كانت عاملا آخر من العوامل التي أجبرت المواطن الليبي على الهجرة هروبا من الشبح المخيف الذي صنعته المعتقلات الفاشستية فوق الأرض الليبيّة، والذي بات يهدد كلّ أفراد الشعب الليبي.

وفي تقرير أعدّه غراتسياني[48] نفسه سنة 1931 حول المواطنين الليبيّين الذين زج بهم في المعتقلات الفاشستية[49] حيث كانت الجملة كالآتي :

— الأبيار	3.123
— سلوق	20.123
— سيدي أحمد المقرون	13.050
— العقيلة	10900
— إجدابيا	10.000

والملاحظ على تقرير غراتسياني أنّه غض النظر عن ذكر بعض المعتقلات الأخرى الصغيرة، وهو ما يجعل الحصيلة العامة لعدد من أدخلوا المعتقلات في غير حجمه الصحيح بيد أن الدكتور (جورجو روشا) GIORGIO ROCHAT[50] يرجح أن عدد المعتقلين يصل إلى 100.000 معتقل[51].

---

(47) القصيدة منشورة بالملحق رقم (9) من كتاب المعتقلات الفاشستية بليبيا، تأليف يوسف البرغثي.

(48) غراتسياني من مواليد 1882، في نفسه تأصّلت روح الاستعمار، ومنذ شبابه كان مغرما بالمستعمرات حيث عاش في ارتريا من سنة 1907، وفي مقدونيا سنة 1919 وفي سبتمبر سنة 1921، التحق بطرابلس، وقد بدأ منذ ذلك التاريخ في ممارسة هوايته في القمع والارهاب، وقد اكتسب خبرة في هذا العمل ممّا حدا بالسلطات الايطاليّة لاختياره على رأس قيادة العمليات العسكرية في المنطقة الشرقية من ليبيا للقضاء على حركة الجهاد التي استمرّت حتى أواخر 1931.

(49) سانتاريلي اينزو وآخرون **نفس المصدر** ص155.

(50) جورج روشا GIORGIO ROCHAT أستاذ التاريخ المعاصر في جامعة تورينو، من اهتماماته الكتابة حول التاريخ الايطالي العسكري والاستعماري، من أهم مؤلّفاته :
— عسكريّون ومدنيّون في إعداد الحملة على أثيوبيا
— الاستعمار الايطالي
— مناهضة الروح العسكرية اليوم في ايطاليا.
— شارك في إعداد كتاب عمر المختار واعاده الاحتلال الفاشي لليبيا.

(51) سانتاريلي اينزو وآخرون **نفس المصدر** ص 155.

ومن الطرق التي اختارتها ايطاليا لاضطهاد الشعب الليبي إعلان التجنيد الاجباري لليبيّين لخدمة مصالحها فبعد أن وضعت ايطاليا يدها على ليبيا، أرادت أن تزجّ بالشباب الليبي في معارك خارج حدود ليبيا لتحقيق عدّة أهداف منها :

1 ــ توسيع رقعة ايطاليا الفاشستية بضم أراضي جديدة في افريقيا.

2 ــ الزج بالشباب الليبي القادر على حمل السلاح في معارك خارج حدود بلاده، ويعتبر ذلك حكما بالاعدام على أولئك الشباب.

وقد استطاعت ايطاليا إجبار الآلاف من المواطنين الليبيّين لتجنيدهم، وإرسالهم إلى المشاركة في حربها بالحبشة[52] وقد نجح البعض في الفرار من التجنيد، واختاروا طريق الهجرة كأحسن وسيلة للنجاة من ذلك الطوق المميت، ولقد أكلت حرب الحبشة الآلاف من الليبيّين، وفقدت الكثير من الأسر رجالها الذين زج بهم في تلك الحرب[53].

بالاضافة إلى سياسة التجنيد التي فرضتها ايطاليا، عمدت إلى تشتيت العائلات، وتهجيرهم من ديارهم وأراضيهم، والزج بهم في العديد من المعتقلات التي أقامتها في العديد من الأراضي الليبيّة، وقد خلفت هذه الظروف وضعا مأساويّا لكل الذين أدخلوا المعتقلات من النساء، والأطفال أو الشيوخ حيث كان معدّل الوفيات داخل المعتقلات 17 شخصا يوميّا[54] نتيجة الجوع، وتفشّي الأمراض داخل المعتقلات.

لقد خلفت الهجرة آثارا إجتماعيّة بالغة الخطورة على حياة المجتمع اللّيبي الذي كان يشكّل نسيجا اجتماعيّا واحدا، فالعائلة الليبيّة عرفت بالمحافظة على محيطها الاجتماعي، والتشبّث بأرضها، وبموقعها الأصلي، ولا تغادر موطنها الّا بسبب ظروف قاهرة، ومؤقّتة مثل أيّام الجفاف والجدب، حيث تهاجر إلى منطقة أخرى قريبة، لكنّها سرعان ما تعود إلى موطنها بمجرّ تحسن الظروف البيئية. بيد أنّ الهجرة التي تمّت في ظروف الاحتلال الايطالي كانت مغايرة تماما إذ خلقت شرخا عميقا في جسد المجتمع الليبي من ذلك أن الكثير من العائلات تفرقت حيث بقي بعضها في ليبيا والباقي هاجر إلى تونس أو مصر وسوريا وتشاد وتركيا ويعود سبب انقسام العائلات إلى وجود بعض أفراد تلك العائلات الذين يعانون من بعض الأمراض التي لا تمكّنهم من تحمّل مشاق السفر الطويل، وهناك بعض العائلات كانت مضطرّة لتترك بعض أفرادها في ليبيا لرعاية مصالحها[55] وفي الجملة كانت الهجرة عامل تشتّت وتفرق في

(52) **موسوعة رواية الجهاد** جمع خليفة محمد الدريبي ع 3 منشورات مركز الجهاد 1985 ص 85 و 261.

(53) ورد هذا المعطى في رواية محمد أبو غنم، فلاح بمنطقة الاصابعة ــ الجبل الغربي، كان ضمن المهاجرين في تونس، وقد عاد إلى ليبيا سنة 1957، كان والده الفقي محمد أبو غنم ضمن اللّيبيّين الذين أرسلتهم ايطاليا إلى حرب الحبشة، وقد نجا بأعجوبة من الموت.

(54) البرغثي يوسف سالم **المعتقلات الفاشستية بليبيا دراسة تاريخيّة** منشورات مركز الجهاد. طرابلس، 1985. ص 120.

(55) ورد هذا المعطى في رواية محمد أحمد سانو الغدامسي، في المقابلة التي أجريتها معه بتاريخ 1990/1/19!.

كيان المجتمع الليبي ولا تزال آثار ذلك حتى يومنا هذا، فالكثير من العائلات لا تعرف شيئا عن مهاجريها، وقد وصل البعض إلى درجة اليأس والقنوط نظرا لطول المدّة، وعدم وجود اتصال أو معرفة بمصيرهم، وقد أصبح أمرهم في عالم المجهول، أمّا البعض الآخر من المهاجرين الذين ظلّوا على اتصال بأهلهم في ليبيا، والذين فضلوا العيش في ديار الهجرة، فإنّهم استمرّوا في المحافظة على الترابط والتواصل بذويهم في ليبيا، ويشاركون بعضهم في السرّاء والضرّاء مثل مناسبات الزواج، وحالات الوفاة[56] انطلاقا من مناطق استقرارهم بالبلاد التونسيّة.

منــاطق استقــرار المهــاجريــن

لم يقتصر استقرار المهاجرين على منطقة بعينها داخل البلاد التونسية، بل كان تفرّقهم في شتّى المناطق بدءا من الجنوب حتّى الشّمال تبعا لحجم المواسم الفلاحيّة، وكان المهاجرون في بداية الهجرة شبه رحل، يتنقّلون من مكان إلى آخر بحثا عن المكان المناسب للاستقرار والعيش، وكانت منطقة الجنوب أكثر المناطق في تونس ارتباطا بالمهاجرين الليبيّين.

استقــرار المهاجريــن بمنطقة الجنــوب :

منطقة الجنوب التونسي هي أهمّ المناطق التي ارتبطت بكل مراحل الهجرة الليبيّة، اذ انها كانت منطقة العبور لكافة المهاجرين الليبيّين الذين هاجروا إلى تونس، وان لم يشهد الجنوب التونسي خلال القرن التاسع عشر استقرارا للمهاجرين هناك نتيجة الظروف المناخية الصعبة وندرة المياه وعدم توفر فرص الشغل، لذلك لم يستقر هناك سوى اعداد بسيطة فضلت البقاء في منطقتي جرجيس وجربة للعمل في خدمة الزوايا وأعمال الحراسة[57] بينما الأغلبية واصلت سيرها نحو الشمال لتستقرّ على ضفاف (مجردة) حيث الأراضي الزراعيّة الخصبة، الّا أن الصورة كانت مغايرة بعد سنة 1911، اذ أنّ الجنوب التونسي شهد خلال بداية هذا القرن حركية اقتصاديّة مهمّة تمثّلت في الشركات المنجميّة في كل من أم العرائس، المتلوّي، الرديّف، المضيلّة، وقد ربطت شركة صفاقس ــ قفصة المنجمية بميناء صفاقس بواسطة السكة الحديديّة[58] وقد بعث ذلك حركية في هذه المنطقة، واتاح فرص الشغل

(56) يؤكّد عبد السلام مصباح العريفي أحد المهاجرين اللّيبيّين بحمام بنت الجديدي (حتوس) بأنّه لا يتخلّف إطلاقا عن حضور المناسبات التي يقيمها أقاربه في طرابلس سواء كانت مناسبات فرح أو وفاة وهكذا شأن الكثير من المهاجرين الذين لهم ارتباط وثيق بذويهم في ليبيا.

(57) LUCETTE, VALANSI : **FELLAHS TUNISIENS : L'Economic RURALE ET LA VIE DES COMPAGNES 18 et 19. P 24.**

(58) بحيرة سعيد **الاضرابات العماليّة بتونس من خلال الصحافة 52 - 55** شهادة الكفاءة في البحث 1983 ــ كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ــ تونس.

للمهاجرين الليبيّين والجزائريّين وسكان المنطقة الذين تحوّل بعضهم من مهنة الفلاحة إلى العمل بالمناجم، (وفي المدن المنجميّة بالجنوب فإن الأرياف التي كانت تحيط بها تغمرها بسيل لا ينقطع من مزارعين اصبحوا مأجورين حديثا)[59].

ظـروف العمـل بالمنـاجـم :

وإذا كانت المناجم قد ادخلت حركية اقتصاديّة في تلك المناطق الصحراويّة، فهل يعني هذا أنها قد استوعبت كل الأيدي العاملة؟ وهل أزاحت البؤس والحياة الضنكة عن كل من انخرط في العمل بالمناجم؟.

ان هذه الشركات كانت تدار من قبل شركات خلقها الاستعمار، فهي أساسا مبنيّة على الجانب الاحتكاري، وخلق الهوة الشاسعة بين الأوروبي العامل بالمناجم وبين نظيره العامل المسلم، ولقد لاحظ محمد علي الحامي سنة 1924 في أثناء زيارته للمناطق المنجميّة بالجنوب الوضعية المزرية التي يعيشها عمّال المناجم، ومما جاء في خطابه في عمّال المناجم (اعتبروا ايها الاخوان بأنفسكم وقولوا لي، ما هي حياتكم التي تقضونها في هذا المنجم تحت أخطار السقوط والموت حرقا بالمواد الملتهبة، أو ربّما تحت الأدماس ثم ما هي حياة السالم منكم غير معاش ابتر، واجر أقصر)[60].

ثم يضيف في خطابه قائلا : (إني أراكم أمامي الآن في يوم راحتكم فلا أرى غير وجوه منقبضة من البؤس، وأطمار مرقّعة على الأجساد).

ونتيجة هذه الأوضاع السيئة، والظروف الصعبة التي كان يعيشها عمال المناجم في كل من المتلوي والرديف وأم العرائس والمضيلّة، كانت اذانهم صاغية، ونفوسهم متلهّفة للتغيير وللصوت المنادي بحقوق العمّال، لذلك كان تأثرهم بنداءات محمد علي الحامي تلقائية باعتبارها معبّرة عن أحاسيسهم وفي سنة 1936 دخل عمال المناجم في اضرابات حادّة شكلت خطرا على الأوروبيّين في منطقة المناجم بسبب تأثّرهم بالحزب الحر الدستوري الجديد، وبالمنظمة العالمية (س.ج.ت)[61]، وكان الصراع شديدا بين العمّال، والمسؤولين الفرنسيّين بالمناجم، وقد طلب العمّال الأوروبيّون من المقيم العام لفرنسا بتونس التدخّل لحرمان

(59) بن حميدة عبد السلام **تاريخ الحركة النقابية الوطنية للشغيلة بتونس 1924 - 1956** دار علي الحامي — صفاقس — تونس 1984 ص 24.

(60) الحداد الطاهر **العمال التونسيّون وظهور الحركة النقابية** — دار بوسلامة للطّباعة والنشر والتّوزيع — تونس — ص 145.

(61) **KRAEIM MOSTAPHA, LE MOUVEMENT SOCIAL EN TUNISIE DANS LES ANNEES TRENTE,** Ceres Tunis, 1984. Page 154.

العمّال العرب من جميع حقوقهم النقابيّة[62] حتى ينفردوا وحدهم بالمزايا والضمانات التي يوفرها قانون النقابة العالمي، إضافة إلى رعاية سلطات الحماية لهم.

والعمل في المناجم لم يستوعب كل الأيدي العاملة الموجودة بالمنطقة، نظرا إلى توافد أعداد كبيرة من المهاجرين من كل من ليبيا، والجزائر، اضافة إلى السكّان أصيلي المنطقة.

وفي سنة 1936 كانت نسبة العمّال الليبيّين الذين يشتغلون في المناجم بمنطقة الجنوب 50 ٪ بينما الجزائريون 10 ٪ و 40 ٪ من التونسيّين[63].

ونظرا للطابع الريفي لهذه المنطقة، فقد انعكس ذلك على حياة العمال إذ أصبح الجانب العشائري له دوره في تحديد العلاقة بين العمال[64] ولكل مجموعة حيز تسكنه، فهذا تجمع الطرابلسيين، وذاك تجمع الجزائريين، ثم تجمعات التونسيين، ونرجح أن الاستعمار الفرنسي كان وراء هذه الفكرة حتى يحول دون تقوية اللحمة بين السكان العرب المسلمين وهو ما يجسد فكرة (فرق تسد) التي يسعى لتكريسها كل استعمار يسعى لتحقيق أطماعه الاستيطانية، إلا أنّه رغم ذلك لم يفلح الاستعمار في تعميق الهوة بين السكان الأشقاء العرب، ولم تنجح السياسة العشائرية، وقد تجسد ذلك في وقوف العمال العرب صفا واحدا في الاضرابات، ومعاضدة الحركة النقابية التونسية والتفاعل مع برنامج الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد.

ولم يسلم عمال المناجم من بعض المظاهر التي عادة ما تكون في المدن بحكم الكثافة السكانية، وتنوع الحياة، ومستويات المعيشة في المدينة، ذلك أن ظاهرة السكر ولعب القمار التي عاشها عمال المناجم[65] كانت نادرة الوجود في الأرياف والبوادي ولم يألفها هؤلاء العمّال من قبل باعتبار أن جلّهم ينحدر من المناطق الريفية، ويبدو أن سياسة الاستعمار شجعت على تفشي هذه الظاهرة في أوساط عمال المناجم، حتى يتم تخديرهم ويصبح أجر العامل ينفق جله في لعب القمار والسكر، وهو ما يجعل العامل في ضائقة ماليّة، الأمر الذي يجعله مجبرا على قبول العمل بأي أجر، ومهما كانت نوعية ومشاق العمل.

لم يقتصر النشاط المهني للمهاجرين الليبيين بمنطقة الجنوب على العمل في المناجم فحسب لكن تعددت أوجه نشاطاتهم بحكم تعدد نشاطهم الحرفي والمهني فمنهم العامل والتاجر والفلاح والمدرس.

(62) **نفس المصدر** ص 155.

(63) KRAEIM MOSTAPHA Page 153.

(64) بن حميدة عبد السلام **نفس المصدر ص** 25

(65) الحداد الطاهر **نفس المصدر ص** 141.

وفي تقرير بعثت به الاقامة العامة الفرنسية بمنطقة صفاقس بتاريخ 13 سبتمبر 1944 إلى المقيم العام لفرنسا بتونس جاء فيه :

(هناك ما يقرب من 5000 [66] طرابلسي يسكنون حاليا منطقة قفصة المدينة، وهم موزعون في كامل الجنوب بين المناطق العسكرية ومنطقة قابس[67] .

وتصنف الادارة الفرنسية المهاجرين الليبيين بمنطقة الجنوب إلى فئتين :

(1) المدنيون، وهم التّجار وعمّال المناجم، الذين ارتحلوا للاستقرار بتونس، لعَدم تحمّلهم سياسة الاستعمار الايطالي التعسّفية.

(2) الرّحّل، وهم سكّان البدو الذين يعملون في الفلاحة وتربية الحيوانات، وقد نزحوا إلى الجنوب التونسي بين 1928 و 1930، إثر الاحتلال الايطالي المكثف لفزان وطرابلس الجنوبية وقد التحق الكثير من هؤلاء بالعمل في المناجم[68].

القبائل الليبية التي سكنت الجنوب :

من أهم القبائل الليبية التي استقرت بالجنوب التونسي :

أ — ورفلّة[69].

ب — أولاد بوسيف[70].

ج — الجعافرة.

د — المشاشية[71].

هـ — مصراتة.

---

(66) في إحصاء سنة 1936 أشير إلى أنّ عدد المهاجرين اللّيبيّين بمنطقة الجنوب يبلغ 8000 مهاجر بينما نجد في سنة 1944 قد انحدر هذا العدد إلى 5000 مهاجر، وهو ما يؤكّد أن اندلاع الحرب العالميّة الثّانية في سنة 1939 قد سهّل عودة الكثير من المهاجرين إلى ليبيا.

(67) أ.و.ت. س.أ. صندوق 280. ملف 1.

(68) أ.و.ت نفس الملف.

(69) قبيلة ورفلة من القبائل اللّيبيّة التي هاجر بعض عائلاتها خلال القرن التاسع عشر، ثم تكرّرت الهجرة بعد 1911، ويمكن الرجوع إلى أطروحتنا — المهاجرون اللّيبيّون بالايالة التونسيّة 1861 - 1881.

(70) أولاد بوسيف، يسكنون منطقة مزدة جنوب طرابلس، وهم من المرابطين.

(71) كان زعيم (المشاشة) الشيخ محمد بن الحاج حسن المشاي أحد قادة الجهاد في ليبيا وقائد معركة (خرمة ابوغرة) التي جرت أحداثها على مرحلتين الأولى سنة 1915 والثانية سنة 1928 وقد كان محمد حسن المشاي هو القائد لهاتين المعركتين يقول غراتسياني (أن اسم هذا لمكان يرتبط بذكرى غير مجيدة اذ تعرّضت احدى فرقنا الوطنية في هذا المكان للتدمير التام وكان محمد بن الحاج حسن هو المحرّك لهذا العمل العربي الذي أفاده شهرة وامتيازا حربيا).

أما المعركة الثانية التي جرت يوم 1928/6/12 فقد قاد فيها محمد بن الحاج حسن 600 مسلّح لمواجهة الايطاليّين وقد اعترف غراتسياني بصعوبة الموقف الذي شكله المجاهدون اللّيبيّون، يقول الجنرال غراتسياني (ان هذا اليوم كان داميا بالنسبة لنا ولقد تحمّل العدو بدوره خسائر فادحة، ولكنها لم تكن كافية لحمل

كانت تلك أهم القبائل الليبية من حيث الوزن العددي التي سكنت منطقة الجنوب، لكن إضافة إلى ذلك كانت هناك بعض الأعداد البسيطة الأخرى التي تنتمي إلى قبائل أخرى، ولم يكن لها مشائخ، بل كانت تنضوي تحت مشيخة القبائل الأخرى، نذكر من ذلك الزنتان، ككله، زليطن العجيلات، النوايل، الصيعان.[72]

مناطق استقرار المهاجرين بالوسط والشمال

كانت منطقة الشمال أهم المناطق التي استقطبت أنظار المهاجرين نظرا لصبغتها الزراعية وشهرتها في إنتاج الحبوب بسبب توفر المياه، وخصوبة الأرض، ومن أهم العروش التي سكنت تلك المنطقة خلال القرن التاسع عشر[73]، ترهونة ، ورفله، العجيلات، فرجان، الخاميد، العلاونة، ورشفانة، الزنتان، الأصابعة، ككلة، أولاد شبل، غريان، الرحيبات، القواليش، الرجبان.

أمّا الهجرة التي تمت بعد سنة 1911 فقد شملت وسطا سكانيّا أكبر، إذ عاشت جل المناطق في ليبيا ظروف الهجرة[74] وكانت تونس أول الدول التي توجهت إليها أعداد هائلة من المهاجرين نتيجة سياسة الاستعمار الايطالي الفاشي، ونظرا لما يمثله قرب تونس من أهميّة بالنسبة للمهاجرين الذين يضعون في حساباتهم بعد أو قرب المسافة، باعتبار أن وسيلتهم في التنقل الجمال أو السير على الأقدام، وهو أمر يشكل معضلة للعائلات التي تتكون من النساء والأطفال والشيوخ، إلا أن هذه المعضلة سرعان ما تخف حدتها بمجرد التوغل داخل الأراضي التونسيّة. حيث يصبح التنقّل بطيئا، وفي مجموعات أقلّ نظرًا لتوزيع المهاجرين حسب اختياراتهم للمناطق التي يرغبونها، وكانت المناطق الزّراعيّة أكثر استقطابا للمهاجرين من غيرها باعتبار أن أغلب المهاجرين ينحدرون من الأرياف والبوادي[75].

ومن أهم المناطق التي استقر بها المهاجرون[76] القيروان، صفاقس، سوسة، نابل، قليبية، قرنبالية، حنقة الحجاج[77]، زغوان، وادي الرمل، الفحص، بئر مشارقة، المحمدية، تونس، بنزرت، مجاز الباب، باجة، الكاف.

محمد بن الحاج حسن على التّخلّي عن الضغط الذي ضربه على مزدة وغريان ولم تدفعه إلى الهروب تلك المناورة التي قامت بها القوّة غير النظاميّة نحو القريات، — عن معجم معارك الجهاد اللّيبي للاستاذ خليفة خليفة التليسي.

(72) أ.و.ت. نفس الملف.

(73) ينظر اطروحتنا (المهاجرون اللّيبيّون بالايالة التونسية 1861 - 1881).

(74) موسوعة رواية الجهاد العدد 3 ص 194.

(75) رواية الحاج امحمد محمد البنيني أحد المهاجرين اللّيبيّين بحنقة الحجاج، عاد إلى ليبيا سنة 1958.

(76) **NOMENCLATURE ET REPARTITION DES TRIBUS DE TUNIS — Imprimerie Française et orientale E. BERTRAND - 1900**

(77) في مقابلة مع محمد أحمد بالشيخ (55 سنة) مقيم بحنقة الحجاج (بن عياش) أفادني بأن حنقة الحجاج التي هي عبارة عن مزارع كروم كانت ملك على ذمّة مجموعة من المعمّرين الفرنسيّين، وكان أغلب

تلك أهمّ المناطق التي وُجِدَ بها المهاجرون اللّيبيّون، وأغلب تلك المناطق تمتاز بنشاطها الفلاحي الذي كان يدار بواسطة (المزارعين) الفرنسيين، وكانت تتطلب تلك المزارع أيدي عاملة كبيرة خاصة في المواسم الفلاحية عند جني الثمار، وليست تلك المناطق الوحيدة التي كان للمهاجرين وجودٌ فيها، لكن المهاجرين كانوا موجودين (طياش) بأغلب المناطق بالبلاد التونسيّة.

إن استقرار المهاجرين الليبيين بالبلاد التونسية، قد اتخذ شكل تجمعات سواء حول المدن أو في الأرياف، وقد ساعدتهم هذه التجمعات على المحافظة على طابعهم الاجتماعي وعلى نمط الحياة التي اعتادوها في ليبيا، وتختلف تجمعات المهاجرين بالمدن عن مثيلاتها في الريف، فالتجمع في الريف عادة يحتوي على مجموعة عائلات ذات نسب واحد بينما التجمعات حول المدن تضم مجموعات مختلفة تنحدر من العديد من المناطق في ليبيا.

ومن خلال دراسة ميدانية قمت بها للعديد من المناطق بالوسط والشمال، باعتبار أن منطقة الجنوب كانت منطقة عبور واستقرار لكافة المهاجرين الليبيين، إضافة إلى أن المناطق التي استقر بها المهاجرون في الجنوب تكاد تنحصر في المنطقة المنجمية، الرديف، أم العرايس، المتلوي، المضيلة ومدينتي قفصة وقابس وجزيرة جربة.

لقد اتّضح من الدّراسة أنّ منطقتَيْ الوسط والشّمال كانتا أكثر المناطق استقطابا للمهاجرين لوجود فرص أكبر للمعيشة سواء من حيث النشاط الفلاحي أو العمل الحرفي، ولا تزال الكثير من المناطق والأحياء تعرف بأسماء ليبيّة من ذلك : حي الطّرابلسيّة بحمام الأنف، الذي ينحدر من سفح جبل بوقرنين ويخترقه مجرى الوادي الذي يعرف هو الآخر بوادي الطرابلسية، والذي يتجه شمالا ناحية البحر، وقد وقع مشروع لادخال التجديد العمراني[78] على هذا الحي خلال سنة 1989.

حي الطرابلسية بمدينة المنستير وهذه الأحياء تعتبر أمثلة لأحياء الطرابلسية الموجودة في أغلب المدن التونسية.

وهنا أشير إلى بعض القبائل الليبية، ومناطق استقرارها بتونس، والتي لاتزال بتونس حتى يومنا هذا وقد سمّيت بعض تلك المناطق بأسماء القبائل التي تسكنها :

ورفلة : بالسلوقية — معتمدية تستور

ترهونة : الفحص

العمّال بهذه المنطقة طرابلسيّة اي انهم يمثّلون 60 % من سكّان المنطقة، وقد بدؤوا في العودة إلى ليبيا منذ 1957، ولم يبق أحد منهم، إلّا أنّه لا زالت تربط بعضهم علاقات المصاهرة مع سكّان هذه المنطقة.

(78) جريدة الصباح التونسية — العدد 13286 السنة 39 — 1 نوفمبر 1989.

الرقيعات : الفحص

الأمساك : طريق الصيادي صفاقس، وهم ينحدرون من قبيلة مسكة بالجبل الغربي.

الحوامد : القيروان

الزوائد : صفاقس

الغرياني : صفاقس

قماطة : مرناق والقيروان

العجيلات : سليمان

المحاميد : مجاز الباب

ترهونة — أولاد المنصر : مجاز الباب

ترهونة : وادي الرمل — بوفيشة

المحابرة : السبيخة — القيروان

المثانين : القيروان

النوايل : بوثدي — نابل

الصيعان : تاكلسة — نابل

السعفات : مساكن ومنزل بورقيبة

الغدامسيون : تونس

نالوت : منزل بوزلفة

العمائم : العمائم دوار الحجاج — الفحص

الأصابعة : الدبدابة — قابس

ذلك وجود المهاجرين في بعض المناطق على المستوى الجماعي، أمّا وجود المهاجرين على المستوى الفردي، فإنه وجود يكاد يغطي كافة المدن والمناطق للبلاد التونسية، وهو ما يؤكد حقيقة تاريخية أن أي مدينة، أو منطقة في تونس لا تخلو من أسرة ذات نسب ليبي[79].

وظلت منطقتا الوسط والجنوب تمثلان أكثر المناطق التونسية تجمعا للمهاجرين الليبيين.

---

(79) ورد ذلك في مداخلة الدكتور محي الدين حضري مدير مركز الدراسات المغربيّة في الندوة التي أقامتها الاذاعة المرئيّة في تونس وليبيا يوم 1990/04/23. بمناسبة الاحتفال باحياء ذكرى معركة القرضابية.

الفصل الثاني

الحياة الادارية للمهاجرين الليبيين

الفصــــل الثـــانـــي

الحيــاة الاداريّة للمهــاجريـــن الليبيّيـــن

الـوزن العـددي للمهـاجريـن الليبيّـــن :

ظل الجانب الاحصائي لعدد الليبيّين الذين هاجروا إلى الخارج يكتنفه شيء من الغموض وعدم الدّقة، بسبب الظروف المأساوية التي خلقتها الادارة العسكرية الايطالية وتعمدها غض الطرف عن معرفة العدد الحقيقي لليبيّين الذين اضطرّوا واجبروا على مغادرة بلادهم، باعتبار أن ذلك يخلق قضية تشوّه سمعة ايطاليا، لذلك فإنّه لا تتوفّر ايّة احصائيات دقيقة لعدد من هاجر من الليبيّين إلى الخارج، واذا القينا نظرة على بعض الاحصاءات التي وردت في كتابات بعض المؤرّخين امثال الشيخ الطاهر الزاوي، جورجو روشا، وجان ديبوا، وحسن علي خشيم، محمود الشنيطي، نجد الأرقام تختلف وتتباين بصورة مذهلة، ففي الوقت الذي نجد فيه جان ديبوا يقدّر عدد من هاجر من الليبيّين إلى الخارج بربع مليون مواطن[1] نجد حسن خشيم يحدد الرقم بعدد 140 ألف مهاجر، وهكذا نجد التفاوت بين الأرقام مما يعطي انطباعا على عدم دقتها وعدم استنادها على معطيات فعلية.

أما تقديرات احصاء عام 1921 فقد اشتملت على اقليمي طرابلس وفزان وكان اجمالي السكان العرب بها 570 ألف نسمة، بينما نجده في احصاء عام 1931 انحدر إلى 512 ألف بنقص قدره 58 ألف نسمة[2] ويعزى سبب النقص إلى الهجرة وضحايا الحرب.

ومن الدراسات الحديثة حول المهاجرين الليبيّين، الدراسة التي أعدّها مركز دراسة جهاد الليبيّين ضدّ الغزو الايطالي تحت عنوان (المهجرون والمنفيّون والأسرى الذين لم يعودوا

---

(1) مدلل أحمد «المنفيّون الليبيّون وقضيّة حرب الابادة» في **مجلّة البحوث التاريخيّة** — ع 1 يناير 1989 ص 21.

(2) ديبوا جان **الاستعمار الايطالي في ليبيا طرقه ومشاكله** ترجمة هاشم حيدر — دار بنغازي 1967 — ص 67.

لأرض الوطن)، والتي أشير فيها إلى عدد من هاجر من الليبيّين إلى الخارج ومن بينها تونس التي هاجر إليها 4607 مواطن[3] وقد اعدّ المركز هذه الدراسة من خلال مسح شامل لجميع المناطق في ليبيا، ومن خلال الرواية الشفوية التي نعتقد أنّها لا يمكن أن تعطي أرقاما دقيقة لا سيما وأن الدراسة اعتمدت على مقر الاقامة الأصلي للمواطن؛ ومن المعروف أن السكان البدو كانوا غير مستقرّين، فهم في حركية دائمة، يرحلون بحثا عن مواطن الكلأ، وحيثما توفرت فرص العيش.

ونرجح أن عدد منْ هاجر من الليبيّين إلى تونس نتيجة الحرب الايطالية ولم يعودوا إلى بلادهم أكبر من الرقم الذي أوردته دراسة مركز الجهاد بكثير، وللتدليل على ذلك نذكر فيما يتعلّق بالغدامسيّين أن التقرير أشار إلى عدد من هاجر من الغدامسيين ثمانية أشخاص فقط، والذين لم يعودوا إلى بلادهم، في الوقت الذي نجد فيه رفقاء أحمد سانو الغدامسي الذي ورد ذكره في الدراسة فقط يفوق العشرة اشخاص لم يعودوا إلى ليبيا منهم من توفّاه الله بتونس، ومنهم من لا يزال على قيد الحياة من ذلك اسرة الطيب أحمد الغدامسي مقيم (بباب سويقة) وأسرة علي أحمد واو الغدامسي (بباب العسل) بتونس العاصمة.

وقد اهتمت السلطات الفرنسية بعملية احصاء سكان البلاد التونسية، حيث جاء في تقرير اعدته الادارة العامّة لشؤون التجمّعات المحلية بتاريخ 1939/8/10، وموجه إلى المقيم العام الفرنسي بتونس (ان ادارة الحماية تقوم حاليا خلال عام 1940 بعمليّات الاحصاء الدولي للسكان الموجودين في الايالة، وعليها أن تتغلّب على المشاكل المتمثّلة في الحوادث التي تجعل مهمتها صعبة بصورة استثنائية)[4].

وقد أشار التقرير إلى أن عدد المهاجرين الليبيّين يبلغ 25.700 نسمة وفقا لاحصاء عام 1936، كما يوجد بين 6 و 8 آلاف مهاجر بالجنوب (يهيمون دون قاعدة ولا وضعية قانونية خاصّة على مشارف الأراضي العسكرية والمراقبات المدنية لكل من توزر وقفصة)[5].

في حين جاء في تقرير اخر صادر عن الاقامة العامّة بمنطقة صفاقس، وموجه إلى المقيم العام الفرنسي بتاريخ 13 سبتمبر 1944 أن (هناك ما يقرب عن 5000 طرابلسي يسكنون حاليا منطقة قفصة المدينة، وهم موزّعون في كامل الجنوب بين المناطق العسكرية ومنطقة قابس)[6].

---

(3) المحروق عطيه محمد واخرون ــ **المهجرون والمنفيّون والأسرى الذين لم يعودوا لأرض الوطن** ــ منشورات مركز الجهاد ــ طرابلس 1988 ص 421.
(4) آ.و.ت.س.أ. صندوق 280. ملف 1.
(5) نفس الملف.
(6) نفس الملف.

وفي تقرير بعث به المقيم العام الفرنسي بتونس إلى (جورج بونات) وزير الشؤون الخارجية الفرنسية بباريس بتاريخ 1938/11/17 تحت عنوان (الجالية الطرابلسية بتونس) جاء فيه : (وهكذا فإن عدد الطرابلسية المقيمين بالايالة التونسية بلغ ما يناهز 28000 نسمة)[7] وقد اعتبر هذا التقرير عدد المهاجرين 24000 مضافا إليهم 4000 من اللاجئين السياسيين المقيمين بالجنوب في كل من قفصة وقبلي.

ان احصاء عام 1936 جاء بمعطيات جديدة، من ذلك أن المتعارف عليه في كتابات المؤرخين حول عدد الجالية الايطالية بتونس هو 120.000 نسمة، بينما يحدد احصاء عام 1936 عدد الجالية الايطالية بـ94.289 نسمة[8].

لقد أكّدت ادارة الحماية الفرنسية عن الصعوبة التي تواجهها في عملية الاحصاء خاصّة لدى سكان الأرياف والبوادي، وتمسك رؤساء العائلات عن عدم الادلاء بحقيقة عدد أفراد عائلاتهم تجنّبا للخدمة العسكرية، وكان الأمر أكثر تعقيدا بالنسبة لاحصاء المهاجرين الليبيّين نتيجة الأسباب الاتية :

1 ــ عدم إمكانية تحديد الهجرة الليبية بفترة زمنية معيّنة، نتيجة التنقل المستمر للمهاجرين بين طرابلس وتونس.

2 ــ تدفّق المهاجرين عبر مسالك بعيدة عن انظار مراقبة الحدود، ودون جوازات سفر[9].

وقد أوضحت احصائيات سنتي 1931 و 1936 التوزيع العددي للمهاجرين في المناطق التونسيّة، وفقا للآتي :[10]

---

(7) نفس الملف.
(8) نفس الملف
(9) في مقابلة مع الحاج امقام احميد عبد الله احد المهاجرين اللّيبيّين من منطقة الاصابعة بالجبل الغربي يبلغ من العمر (75 سنة) ذكر بأن أسرته هاجرت إلى تونس مرّتين الأولى سنة 1913 والثانية سنة 1947 وتكرّرت زيارته هو شخصيًا إلى ليبيا أكثر من مرّة، وكان كل ذلك يتمّ بدون جوازات سفر، وذكر بأنّه كان يعتبر الأرض التونسيّة واللّيبيّة امتدادا لبعضهما بالرغم من وجود قوّات اجنبيّة في كلا البلدين، وقال لقد رجعت إلى ليبيا رجوعا نهائيًا في عهد الاستقلال سنة 1957 بوثيقة سفر، صرفت لنا من القنصلية اللّيبيّة بتونس، وعندها شعرت بوجود الحدود.
(10) Statistique general de la tunisie année 1934, 1937

اسم المنطقة	احصاء 1931	احصاء 1936	اسم المنطقة	احصاء 1931	احصاء 1936
باجة	124	128	صفاقس	7781	7784
بنزرت	1034	1231	سوق الاربعاء	86	149
جربة	—	167	سوسة	1562	863
قابس	346	445	طبرقة	18	—
قفصة	6021	3094	تالة	284	308
قرنبالية	2333	1000	تبرسق	255	162
القيروان	1006	828	توزر	12	36
الكاف	588	498	تونس	3588	4307
مكثر	245	157	زغوان	1413	1321
مجاز الباب	201	110	المناطق العسكرية	1260	1259

وفي ضوء هذه النتائج، وما أوضحته تقارير الاقامة العامّة الفرنسية، اضافة إلى ما أورده كل من الطاهر الزاوي[11] وحسن علي خشيم، من أن عدد المهاجرين الليبيّين في تونس يبلغ 20000 نسمة فإنّنا نستطيع القول إنّ عدد المهاجرين الليبيّين حتى سنة 1944 لم يتجاوز 30000 نسمة، بينما نرجح أن هذا الرقم قد ازداد خلال عام 1947 نتيجة ظروف الجفاف الحاد والجدب الذي أصاب البلاد.

وكنت قد توصّلت في أطروحتي التي اعددتها حول (المهاجرون الليبيّون بالايالة التونسية1861 - 1881) إلى تحديد عدد المهاجرين الليبيّين في تلك الفترة والذي قدّر بعدد 22000 نسمة [12] وذلك استنادا على عدّة معطيات أهمّها :

1 ـــ الدفاتر الجبائيّة، ومراسلات القياد.

2 ـــ احصاء سكان الايالة التونسية سنة 1860، والذي قام به (جون قانياج)

ومن هذا المنطلق تبرز الاشكالية الآتية : هل يمكن اعتبار هذا العدد ضمن المهاجرين الليبيّين الذين تضمنتهم هذه الدراسة؟

ان جملة من الاعتبارات تجعل من هذا العدد من المهاجرين خارج الاطار الذي تتناوله هذه الرسالة من ذلك :

أ ـــ أن الدراسة محددة بفترة زمنية معينة تبدأ بسنة 1911، ولا يمكن أن تحدث تراجعا لتناول احداث مضى عليها ما يقارب الخمسين سنة.

---

(11) الزاوي الطاهر **جهاد الأبطال في ديار الهجرة** دار الفرجاني / طرابلس 1976 ص 30

(12) أبو القاسم ابراهيـــم **نفـس المصــــدر** ص 51.

ب ـــ من خلال دراسة ميدانية قمت بها[13] تبيّن أن أولئك المهاجرين الذين هاجروا ـل القرن التاسع عشر وما قبل، قد اصبحوا بحكم التقادم والمصاهرة في حكم سكان لاد الأصليّين، وإن استمر نسبهم إلى الأصل الليبي.

ان الاشارة إلى عدد المهاجرين الليبيّين خلال القرن التاسع عشر شيء جدير بالملاحظة والتذكير عند دراسة الجانب الاحصائي للمهاجرين الليبيّين بالبلاد التونسيّة، وان لم يدخل ذلك العدد في الفترة التي تتناولها هذه الدراسة، الا أنّها تبرز بعض الجوانب المهمّة منها.

1 ـــ مدى عمق الترابط التاريخي بين الشعبين الليبي والتونسي من خلال الاتصال والحركية المستمرّة بين القطرين.

2 ـــ من خلال الأرقام التي توضح عدد المهاجرين في كل فترة، يمكن للباحثين دراسة أسباب الهجرة ودوافعها بصورة معمّقة.

العمل بتأشيـرة الدخـــول :

لم يتعوّد السكان في كلا القطرين تونس وليبيا قبل انتصاب الاستعمار الفرنسي في تونس والايطالي في ليبيا على الاجراءات الادارية المتعلّقة بجوازات ووثائق السفر، وتأشيرات الدخول ووضع القيود الصارمة على المناطق الحدودية ومسالك العبور، اذ كان التنقّل يتمّ بأيسر السبل بين البلدين، وكثيرا ما كان المواطن خاوي الوفاض من أي اثبات لهويته.

ومنذ توقيع الاتفاقية الايطالية بتاريخ 1914/6/25[14] ـــالتي اعتبرت رعايا إيطاليّين كل من هاجر من الليبيّين بعد 1912/10/28 ـــأصبحت التأشيرة ضرورة للدخول إلى الأراضي التونسية، اضافة إلى تصديق الجوازات الايطالية من طرف القنصليّة الفرنسية في حالة طلب الاقامة.

وكانت السلطات الفرنسية حريصة على عدم منح تأشيرة الدخول للمواطنين الليبيّين للبلاد التونسية إلّا بعد اجراء التحريات، والتدقيق في معرفة هوية صاحب الطلب، والغرض من الزيارة، ولا تعطى الموافقة على منح التأشيرة، الا بعد أن يمرّ الطلب بعدّة مراحل، ويكون أمر الموافقة النهائية من صلاحيات المقيم العام للحكومة الفرنسية بتونس، بعد أخذ رأي الحاكم

---

(13) قمت بالدراسة الميدانية في شهر مارس 1988 بمنطقة تستور التي تعتبر من أهم المناطق في الشّمال التي شهدت هجرة مكثّفة للمهاجرين اللّيبيّين خلال القرن التاسع عشر نظرا لوجود نهر مجردة والتربة الخصبة بتلك المنطقة، وشملت الدّراسة كلّ من (السلوقيّة) و(ورفله) وتبين أن الكثير من العائلات اللّيبيّة لازالت تعيش هناك منذ القرن التاسع عشر، وأصبحت ضمن سكّان البلاد الأصليّين، يمتلكون الأرض والعقارات ويساهمون في خدمة المنطقة شأنهم في ذلك شأن كافّة بقية المواطنين.

(14) أ.و.ت س.أ. صندوق 280. ملف 1.

العسكري للمنطقة، ولمزيد من الايضاح والالمام بالمراحل الاجرائية التي كان يتمّ بها الحصول على التأشيرة، نستعرض عينة من جملة عدد كبير من الوثائق[15] المتعلّقة بموضوع تأشيرة الدخول من طرابلس إلى تونس.

الوثيقة مرسلة من الحاكم العسكري بمنطقة مدنين بتاريخ 1918/7/30 إلى المقيم العام للحكومة الفرنسية بتونس، وهي عبارة عن رد عن طلب المقيم العام من الحاكم العسكري بمنطقة مدنين، تقول الوثيقة :

المقيم العام للحكومة الفرنسية — تونس

(جوابا على رسالتكم رقم 54 بتاريخ 1918/7/24

نتشرّف بإحاطتكم علما بأن البيانات التي قدّمها المدعو شرميط محمد بن محمد فيما يخص موضوع طلبه تأشيرة جواز سفره المرفقة هي صحيحة، واني لا أرى مانعا لاقامته في مدنين مدّة 15 يوما).

وتشمل وثائق طلبات الحصول على التأشيرة مجموعة تخصّ الجالية اليهودية في طرابلس، وهو ما يؤكّد وجود نشاط لهذه الجالية بين كل من تونس وليبيا، وقد تعرضت الجالية اليهودية إلى هجرة مكثّفة من طرابلس إلى تونس سنة 1942 نتيجة ظروف الحرب العالمية الثانية[16].

وقد بلغ مجموع اليهود سنة 1942 في اقليم طرابلس 24.184 موزعين على المناطق التالية طرابلس، غريان، نالوت، سوق الجمعة، الزاوية زوارة، ترهونة، ويضاف إليهم عدد اليهود الذين رحلوا من برقة، ووضعوا في معسكر جادو حوالي 3000 يهودي[17].

وقد هاجر عدد من هؤلاء اليهود إلى تونس، حيث وجدوا معاملة قاسية من بني جنسهم الجالية اليهودية بتونس، وأرسلوا في هذا الشأن مذكّرة إلى (محمد المنصف باشا باي) يشرحون فيها الظروف التي واجهتهم في تونس وظروف هجرتهم من ليبيا وما تعرّضوا له من قبل دول المحور، ومما جاء في هذه المذكّرة بتاريخ 1942/8/31[18] (وقد تركنا ارزاقنا المتكوّنة من العقارات، والأصول التجارية في برقة (سيرنايكا)، وقد اجبرونا على وضع أموالنا في بنك ايطاليا في طرابلس).

---

(15) أ.و.ت نفس الملف

(16) وثائق دار المحفوظات التاريخيّة طرابلس — ملف الجالية اليهوديّة — رقم الوثيقة 217.

(17) نفس المصدر.

(18) أ.و.ت. س.أ. صندوق 280. ملف .

توزيع المهاجرين الليبيّين على المشيخات

كان النظام الاداري المتّبع بالنسبة للمهاجرين الليبيّين خلال فترة ما قبل الحماية هو تخصيص (عامل) من قبل الباي يتولّى كلّ شؤون المهاجرين الليبيّين في مختلف الايالة التونسية، ويخضع لاشرافه سائر مشائخ (العروش) التي ينحدر منها المهاجرون[19].

وكان آخر عامل على المهاجرين الليبيّين هو (أمير اللواء محمد الرؤوف)[20] ومنذ بداية تاريخ الاستعمار الفرنسي في تونس سنة 1881، لم يعد للمهاجرين عاملهم الخاص بهم، بل اصبحوا يخضعون لهيمنة المراقب المدني الفرنسي ولعامل المنطقة، واصبح تعيين المشائخ وفقا للأسلوب الاداري الجديد بتونس لا يتم الا بعد اخذ موافقة المراقب المدني الفرنسي بالمنطقة[21].

كان هذا الأسلوب يختلف مع الطريقة التي كانت متّبعة في اختيار المشائخ قبل تاريخ عهد الحماية، اذ كان الأسلوب المتّبع آنذاك هو أن يوكل الأمر للأهالي والأعيان وعلى الخصوص المجلس السياسي المصغّر للقبيلة الذي يعرف (بالميعاد) في اختيار الشخص المناسب الذي تتوفّر فيه المواصفات الخلقيّة، والقدرة في أن يكون شيخا عليهم يتعاطى أمورهم العرفية، ويعتبرون ذلك حقّا من حقوقهم لا يمكن التفريط فيه، ويتولّى العامل (القايد) نقل تلك الوثيقة الممضاة من أعيان القبيلة لتولية الشيخ الذي تمّ الاجماع عليه لاصدار أمر لتولّيه من الوزارة الكبرى[22].

لقد كان للأسلوب الجديد انعكاسه على شيوخ المهاجرين الليبيّين اذ فقد الكثير منهم وظيفتهم نتيجة إعادة تقسيم المشيخات، وتقليص عددها وفقا للسياسة التي توخّتها الاقامة العامّة الفرنسية[23].

وإن احتفظت بعض العروش الليبية المهاجرة باختيار شيوخ من بين افرادها يتولّون شؤونها الادارية والعرفية، نتيجة لكثرة عدد افرادها وهو ما يؤهلها لأن تكون لنفسها مشيخة خاصّة، فإن عددا آخر من العروش الليبيّة التي ليس لها وزن عددي، أو تلك التي توزع أفرادها في مناطق شتّى من البلاد التونسية، فإنّها أصبحت منضوية داخل نطاق مشيخات أخرى حسب المنطقة التي يتبعونها.

---

(19) أ.و.ت س.أ. صندوق 24. ملف 274 و وثيقة 273.

(20) يحمل محمد الرؤوف رتبة أمير لواء، وتولّى خطّة (عامل الطرابلسيّة) خلال الفترة من 1878 إلى 1881.

(21) أ.و.ت. س.أ. صندوق 24. ملف 8.

(22) ابراهيم أبو القاسم. نفس المصدر.

(23) أ.و.ت س.أ. صندوق 24. ملف 6.

ومن العروش التي حافظت على خلق مشيخة خاصّة بها لفترة زمنية طويلة تزيد على نصف قرن عرش (الطرشان)[24] حيث استمرّت إلى سنة 1908 كمشيخة معترف بها بمنطقة مجاز الباب، الّا أنّه بسبب تناقص عدد افرادها اذ وصل عددهم سنة 1908 إلى 147 فردا[25] نتيجة انتقال بعض العائلات إلى مناطق أخرى بعيدة في الشمال والوسط، وعودة البعض الآخر إلى ليبيا، ونتيجة ذلك قام عامل مجاز الباب (حميدة بن ابراهيم) بمكاتبة الوزارة الكبرى مقترحا الغاء مشيخة الطرشان، وتوزيع أفرادها على :

مشيخة المجاز، مشيخة السلوقية، مشيخة شوّاش.

وقد جاء في الأمر الموجه من الوزارة الكبرى إلى عامل المجاز بتاريخ 1908/1/18[26].

(وبعد فإنه بلغ مكتوبكم عدد 580 فيما عرفتم به في شأن مشيخة الطرشان من أن الأصلح حلها وتوزيعها على المشيخات أعلاه على الوجه الذي بينتموه وعلمناه، وقد صدر الاذن العلي، لذلك اعلمناكم بما ذكر والسلام).

مشيخة السلوقيّة :

من المناطق التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالمهاجرين الليبيّين مشيخة السلوقية[27] وقد تداول على هذه المشيخة العديد من الشيوخ الليبيّين، كان آخرهم الشيخ ساسي بن ابراهيم بن احميدة الطرابلسي[28] الذي استمرّت مدّة ولايته من سنة 1944 إلى سنة 1956، وقد استاء أهالي المنطقة من القرار الذي اتّخذ بعزل شيخهم، وقاموا بالتعبير عن رفضهم لتعيين شيخ آخر عوضا عن شيخهم، وفي مذكّرة بعث بها والي باجة إلى وزير الداخلية بتاريخ 17 أكتوبر 1956 لتبرير الموقف الرافض الذي اعتمده أهالي منطقة السلوقية من القرار الصادر بإعفاء شيخهم من منصبه، وجاء في المذكّرة :

(وبعد فالمعلم به الجناب جوابا عن الاحالة المشار إليها انه حصل في المدة الفارطة خلاف بين الشيخ المعفي وبين المسمى المختار بن علاله الذي طلب من الاهالي تاييده في

(24) الطرشان هي إحدى فروع ترهونة من قبيلة العوامر، وكانت منطقة ترهونة في مقدّمة المناطق اللّيبيّة التي شهدت هجرة مكثّفة إلى تونس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

(25) أ.و.ت. نفس الملف.

(26) أ.و.ت. نفس الملف.

(27) مشيخة السلوقيّة كانت قد ضمت بمقتضى الترتيب الذي وقع في آخر عام 1894 إلى مشيخة ورفلّة التي كان شيخها عمر بن فرج الورفلّي. والسلوقية تعتبر من المناطق الزراعيّة الهامّة بجهة الشّمال، حيث تقع أراضيها على ضفاف وادي مجردة، وقد ظلّت في عهد الاستعمار الفرنسي تابعة للمراقبة المدنية الفرنسية بمجاز الباب، وفي عهد الاستقلال أصبحت تابعة لمعتمديّة تستور بولاية باجة.

(28) الشيخ ساسي بن إبراهيم احميدة الطّرابلسي من مواليد 1908 ينحدر في الأصل من (ورفلة) بليبيا وهو أحد فلاحي منطقة السلوقية ويكن له أهل المنطقة كامل الاحترام، وقد جاء في وثيقة بعثوا بها، إلى وزارة الداخلية بتاريخ 17 سبتمبر 1956 عندما أعفي الشيخ من منصبه جاء فيها :

خلافه مع الشيخ، فامتنعوا ولمّا وقع اعفاء الشيخ كانوا يعتقدون أن ذلك تمّ بسبب الخلاف المذكور فاستاءوا نظرا للحقد الذي يحملونه للمختار المذكور[29].

واهم مشائخ (الطرابلسية) الذين تداولوا على مشيخة السلوقية[30].

اسم الشيخ	الفترة من	الى
الشيخ مسعود بن محمد بن الحاج محمد الطرابلسي	1928	1933
الشيخ الجيلاني بن عثمان بن الحاج حسين الطرابلسي	–	1943
الشيخ ساسي بن ابراهيم احميدة الطرابلسي	1944	1956

وتوضح وثائق تعيين المشائخ المذكورين ان تعيين المشائخ لا يتم الّا بتزكية وضمان مجموعة من أعيان المنطقة، وتبرز القوائم التي احتوت أسماء أعيان مشيخة السلوقيّة ان المهاجرين الليبيّين يشكلون الأغلبية بهذه المنطقة، وجاء في وثيقة تعيين الشيخ مسعود بن الحاج محمد بن مسعود الطرابلسي.

(لدى جناب الهمام العمدة الماجد الأكمل محمد مزالي عامل مجاز الباب ولدى شهد به الانفار المذكورون أعلاه، ويمناه المبين قيمة مكاسب كل منهم أمام اسمه بالوادي، وشهدوا جميعا أنهم ضامنون لجناب الدولة العلية في المكرم الأجل مسعود بن الحاج محمد بن مسعود الطرابلسي من أعيان المشيخة المذكورة المترشّح لأن يكون شيخ مشيخة السلوقيّة المذكور بختم ضمان الأداء وسبيله مع الخيار في الطلب منهم بحيث مهما تخلّد بذمّته مال راجع للصندوق الدولي لأي سبب من الأسباب طال الزمان أو قصر يكونون هم المؤدّون لذلك)[31].

وقد احتوت القائمة على أسماء 32 شخصا من أعيان المنطقة، كان من بينهم 17 شخصا من المهاجرين الليبيّين، وبلغ جملة مكاسب من اشتملت عليهم القائمة 1.976.000 فرنك منها 847.000 فرنك قيمة مكاسب المهاجرين الليبيّين الواردة أسماؤهم بالقائمة[32] وهم :

وبعد فبناء على اتخاذ معاليكم قرارا في اعفاء الشيخ المذكور أعلاه من وظيفته واضطراب أهالي السلوقية وبلبلة أفكارهم لهذا النبأ لنا الشرف بإحاطة جنابكم علما بحياة هذا الشيخ المذكور أعلاه أنّه شيخ تراب بريء الذّمة طاهر اليدين لم يمس مواطنا قط بسوء فهو بحق صاحب نبل وشهامة وشرف معروف باستماتته في الدّفاع عن حقوق الضعيف وبميوله الوطنية الصادقة وهو شيخ مبغوض لدى تلك العمّال والكواهي والجفاوات بسبب عدم إرضائه لشهواتهم).

(29) أ.و.ت. س.أ. صندوق 24. ملف 6.

(30) نفس الملف.

(31) أ.و.ت س.أ. صندوق 24. ملف 6.

(32) نفس الملف.

علي بن بلقاسم بن سليمان الطرابلسي	قيمة المكاسب	40 000 فرنك
صالح بن الشاوش نصر الطرابلسي	=	30 000 فرنك
بوجمعة بن محمد بن سلامة الطرابلسي	=	60 000 فرنك
محمد بن علي بن سلامة الطرابلسي	=	250 000 فرنك
علي بن الطالب بن محمد الطرابلسي	=	50 000 فرنك
صالح بن محمد بن فرج الطرابلسي	=	35 000 فرنك
احمد بن الحاج محمد الصيد الطرابلسي	=	60 000 فرنك
محمد بن احمد بن علي الطرابلسي	=	15 000 فرنك
الحاج محمد السويح بن الحاج بوجمعة الزيات الطرابلسي	=	15 000 فرنك
عمارة بن الحاج محمد الصيد الطرابلسي	=	45 000 فرنك
مسعود بن صالح البحري الطرابلسي	=	45 000 فرنك
علي بن رمضان الطرابلسي	=	50 000 فرنك
بوجمعة بن الحاج محمد بن محمد الطرابلسي	=	45 000 فرنك
محمد بن صالح بن البحري الطرابلسي	=	7 000 فرنك
محمد بن بلقاسم بن التابت الطرابلسي	=	20 000 فرنك
محمد بن صالح بن عمر الطرابلسي	=	40 000 فرنك
محمد بن الحاج عمار الطرابلسي	=	40 000 فرنك

مشائخ المهاجرين الليبيّين بمنطقة الجنوب التونسي :

امتازت منطقة الجنوب بقربها من الحدود الليبيّة، ونتيجة ذلك كانت الهجرة إلى تلك المناطق تتمّ في شكل مجموعات تنتمي كل مجموعة إلى قبيلة واحدة أو إلى مجموعة قبائل تنحدر من منطقة واحدة، وكانت كل مجموعة تختار من بينهما شيخا يتولّى رعاية شؤونها، وتمثيلها لدى شيوخ القبائل الأخرى ولدى الجهات الاداريّة[33].

ومن أهمّ القبائل الليبيّة بمنطقة الجنوب :

1 ـــ ورفله ـــ وشيخهم، الشيخ عبد الهادي زرقوم[34].

2 ـــ أولاد بوسيف ـــ وشيخهم عبد الله بن محمد.

3 ـــ الجعافره، وشيخهم صالح بن السائح.

(33) أ.و.ت. س.أ. صندوق 280. ملف 1.

(34) الشّيخ عبد الهادي زرقوم، كان من العناصر المتحرّكة، وله تأثير على بقيّة المشائخ، كانت مقر إقامته في الغالب بالمضيلّة.

4 ـــ المشاشـة، وشيخهم محمد بن الحاج حسن المشاي[35].

5 ـــ مصراتـه ـــ وشيخهم الحاج بن اسماعيل[36].

ونظرا لتعدّد القبائل اللّيبيّة في هذه المنطقة، وتعدّد الزّعامات بحكم النّظام القبلي الذي يجعل من شيخ القبيلة الزعيم الذي لا يضاهيه أحد في زعامة قبيلته، فقد تمّ اختيار هؤلاء المشائخ من طرف أفراد القبيلة دون أن يكون للحكومة الفرنسية ضلع في ذلك، لذلك كانت الاشكالية أمام المراقب المدني بقفصة أنه لا يمكن التفاهم مع هؤلاء المشائخ، إلّا من خلال طرف واحد[37] يمكن اختياره بإجماع مشائخ القبائل الليبيّة، وبمشاركة سلطات الحماية الفرنسيّة، وبعد العديد من المشاورات، والدّراسات الّتي أجراها المراقب المدني بقفصة تمّ التّوصّل إلى اختيار الشيخ عبد الهاذي زرقوم شيخ ورفله، ليكون شيخا (للطرابلسيّين)، وفي اجتماع عقد يوم 1944/6/28 في مركز المراقبة المدنية جمع كل شيوخ القبائل الليبيّة والمراقب المدني أعلن فيه اتفاق الجميع على اختيار الشيخ عبد الهادي زرقوم، وقد ابلغ المراقب المدني المشائخ بأن هذا الاختيار القصد منه إيجاد عون اتصال بين المراقبة المدنية والمشائخ، لإبلاغهم بتعليمات المراقب المدني، على أن يبقى كل واحد من المشائخ في نفس مهمته كشيخ على قبيلته[38].

مشيخـة الفـزازنـــة :

كان لجالية فزان حضور في مدينة تونس، وقد احتفظوا باختيار شيخ فيما بينهم يرعى مصالحهم الادارية وبلغ عدد عروش[39] الفزازنة في تونس تسعة عروش سنة 1929[40] ومن مميزات جالية فزان أنها في الغالب كانت تختار لنفسها العيش في مكان واحد، مما أطلق على المكان الذي شهد تجمّعا عدديّا للمهاجرين من أبناء فزّان، (بنهج الفزازنة) الذي يقع بالقرب من ساحة باب سويقة بالعاصمة تونس والذي لا يزال يحمل نفس الاسم حتى وقتنا الحاضر.

(35) محمد بن حسن المشاي من زعماء المهاجرين اللّيبيّين، وقد أبرز تقرير المراقب المدني بقفصة المكانة التي يحظى بها محمد بن حسن المشاي لدى كلّ المهاجرين لكن تقدّمه في السن حال دون إمكان تحمّله أعباء ومسؤوليات أكبر وأهمّها رئاسة مشائخ (الطرابلسيّة).

(36) الحاج بن اسماعيل من أعيان مصراتة، وقد استقرّ بمنطقة قفصة، حيث عمل في التّجارة، ويعتبر من أثرياء المهاجرين حيث أقام سكنا في غاية الروعة والجمال، ولا زال يضرب به المثل لدى سكّان منطقة قفصة حتى الوقت الحاضر (يعتقد عمل دار بن اسماعيل) وأحفاد هذه الأسرة لا زالت مقيمة بتونس، ومن بينهم اساتذة في الطّب.

(37) أ.و.ت. س.أ. صندوق 280. ملف 1.

(38) أ.و.ت. نفس الملـف

(39) يبلغ عدد أفراد العرش عادة فوق 150 نسمة وإذا قلّ العدد عن ذلك فيدمج في المشيخة الأقرب من حيث التقسيم الاداري وفقا للتّراتيب التي وضعتها الادارة الفرنسية سنة 1894.

(40) أ.و.ت س.أ. صندوق 6. ملف 31.

ونظرا للأهمية التي تمتاز بها وظيفة الشيخ بالنّسبة للحياة الاداريّة والاجتماعيّة للمواطن، فإنّه في حالة خلو هذه الوظيفة لأيّ سبب كان، كالموت أو وصول الشيخ سنّا يعجز فيها عن القيام بواجبات الوظيفية، فإن الأفراد المعنيّين بالأمر يتسارعون لاختيار شيخ آخر يرعى مصالحهم، وقد جاء في مذكّرة بتاريخ 1929/5/2 بعث بها (عرش الفزازنة بالقطر التونسي) إلى أحمد باشا باي الثاني صاحب المملكة التونسية، جاء فيها[41].

(عرش الفزازنة بالقطر التونسي يعرضون على سموّكم أنّنا بدون شيخ منذ أعوام، والحكومة لم تلتفت، وتعيّن لنا شيخًا عوض المتوفّى منذ زمان، وصرنا حينئذ بدون راع ولا كبير ينوب عنّا، ومع ذلك نحن كثيرون بالقطر التونسي فإذا مات أحدنا أو مرض أو تخلف فلا يوجد من هو شيخه المعرف به).

وتبرز الوثيقة المكانة التي يحظى بها الشّيخ، والمسؤوليّة المناطة به داخل مجموعته، فهو كبير القوم الذي يرعى مصالحهم، والنّائب عنهم في معالجة كافّة القضايا.

وبعد وفاة الشيخ سعيد الفزاني[42] تولّى المشيخة بعده الشيخ محمد علي الفزّاني، الذي توفّي سنة 1925، ومنذ ذلك التاريخ لم يتم تعيين شيخ آخر لجالية فزّان، الأمر الذي جعل أفراد الجالية في حيرة من أمرهم، وبعد العديد من المكاتبات مع جهات الاختصاص التي لم تستجب لطلبهم، فضل أفراد هذه الجالية من أجل حل مشاكلهم الادارية الانضواء تحت مشيخة الطرابلسيّة بالعاصمة تونس التي أصبح لها شيخ يرعى مصالح كافة المهاجرين الليبيّين[43].

وتوضح وثائق (عرش الفزازنة) أن عامل الأحواز[44] كان معارضا لتعيين شيخ للفزازنة، ففي ذات التاريخ الذي كان فيه (الفزازنة) يتوجّهون بمطالبهم إلى الباي والوزير الأكبر منذ سنة 1925 إلى 1929 طالبين وملحّين بتعيين شيخ لهم بعد وفاة شيخهم السّابق، وشغور هذه الوظيفة لعدّة سنوات، في نفس الفترة كتب عامل الأحواز إلى الوزير الأكبر: (انّي لمّا حضرت هؤلاء العارضين أجابوا بأنّهم لا يطلبون ولاية شيخ عليهم حيث أنّهم راجعون لمشيخة الطرابلسيّة، ولكنّهم يطلبون تسمية شاوشا عنهم يعني ناظرا ليتولّى أمورهم في خدمة الفلاحة عند المعمّرين)[45].

(41) نفس الملـف.

(42) الشيخ سعيد الفزاني تولّى مشيخة الفزازنة لمدّة 38 سنة وكان مقيما بوكالة صاحب الطّابع نهج سيدي العلوي عدد 9 بتونس العاصمة، وقد اتّصف بصفات حميدة، ممّا جعل أفراد مشيخته يُجمعون على تعيين ابنه مسعود الشيخ سعيد الفزّاني شاوشا عليهم، بعد أن أصبحوا منضوين تحت مشيخة (الطّرابلسيّة) بالعاصمة سنة 1929.

(43) أ.و.ت. س.أ صندوق 6. ملف 31.

(44) عامل الأحواز تعني عامل العاصمة تونس وضواحيها وفقا للتقسيم الاداري للبلاد التونسيّة.

(45) أ.و.ت س.أ. صندوق 6. ملف 31.

ونرجح أنّه نتيجة اليأس الذي مني به هؤلاء من خلال العديد من المراسلات التي لم تجد جوابا، إضافة إلى الموقف المعارض الذي اتخذه عامل الأحواز، فضلّوا تجنّبا للكثير من المشاكل والحساسيّات التي قد توقعهم مع (العامل) اعتبار انفسهم تابعين لمشيخة الطرابلسيّة، واكتفوا بالمطالبة بتعيين (شاوش) يتولّى تسهيل أمورهم المهنية لدى الأعراف.

ولا يختار لمهمّة (شاوش) إلّا من تتوفّر فيه بعض المواصفات، أهمّها أن يكون من أعيان (العرش)، ومن أهمّ أعيان عرش الفزازنة بتونس[46].

الشيخ أحمد الباي
النقيب الحاج ميلـود
محمد علي (باش شاوش)
الحاج الحبيـب (شـاوش)
أحمد بن سلومــة
محمد بن علــي
محمد بن منصـر (شاوش)
علي البحري
علي بن طريفي (شاوش)
علي القــادري
صالح بن شيــش
سالم بن حــامـد
عبد الله بن احمـد
احمد بن تريكــي
محمد بن صــالح
محمـد بن عبد الله
علـي بوسنينـة
المــؤدّب مالــك.

مشيخـــة الطرابلسيّـة بالمنستيـر :

ظلّ حي الطّرابلسيّة أو (حومة الطرابلسيّة) وهو الاسم الشائع في الأوساط التونسية يشكّل جزءا مهمّا بالنسبة لمدينة المنستير، وكان للطّرابلسيّين شيخهم الخاص، واستمرّ هذا المنصب (شيخ الطّرابلسيّة) في يد آل بورقيبة خلال القرن التّاسع عشر، إلّا أنّه بعد دخول الحماية الفرنسية إلى تونس سنة 1881 بدأت إجراءات تغيير وتقليص عدد المشيخات، وقد

(46) نفس الملـف.

شمل هذا الاجراء حي الطرابلسيّة الذي ضمّ إليه الباب الغربي وأصبح الاثنان يشكّلان مشيخة واحدة تعرف (بمشيخة الطرابلسيّة) والباب الغربي، وقد تولّى وظيفة شيخ مشيخة الطرابلسيّة والباب الغربي محمد بن أحمد السقا[47] بموجب أمر الوزارة الكبرى رقم 5278 بتاريخ 12 نوفمبر 1917[48].

واستمرّ الشيخ محمد السقا في هذا المنصب إلى سنة 1957، وقد لاحظت الحكومة الفرنسيّة أن تعدّد المشيخات فيه تسيّب إداري، ولا يخدم مصلحة الادارة الفرنسيّة، وقد جاء في ملاحظة المراقب المدني بالمنستير[49] :

«لفت أنظار الحكومة الفرنسيّة أن المشائخ بالمنستير يهملون وظائفهم وخصوصا استخلاص المال الرّاجع لصندوق الحكومة ويتعاطون أشغالا أخرى منها خدمة أملاكهم التي يستفيدون منها أرباحا أكبر من دخل مشيخاتهم، والسّبب هو ضعف دخل مشيخاتهم.

وأرى أنّه يجب لمصلحة الخدمة النظر من الآن في ضمّ الثلاث مشيخات[50] لتصير مشيخة واحدة».

وفي سنة 1922 أرسل مدير المال العام بالمنستير اعتراضه على ضمّ مشيخة المدينة لمشيخة الطرابلسيّة والباب الغربي، اذ أشار في رسالته رقم 5154 بتاريخ 1922/7/6 إلى أن عدد مشيخة المدينة يبلغ 773 فردا بينا يبلغ عدد مشيخة الطرابلسيّة والباب الغربي 1093 فردا، وفي ضوء ذلك يصبح من الصعب ادارة مشيخة يبلغ عدد سكانها 1866 نسمة[51].

مشيخـــة الطّرابلسيّـــــة :

مشيخة الطرابلسيّة بمدينة تونس تعتبر من أهمّ مشيخات المهاجرين الليبيّين بالبلاد التونسيّة، وقد تمّ استحداثها بأمر الوزارة الكبرى رقم 6665 بتاريخ 28 سبتمبر 1903[52] ومنذ ذلك التاريخ أصبح يعود لهذه المشيخة أغلب المهاجرين الليبيّين في مدينة تونس وخارجها بالإضافة إلى بعض الفرق الأخرى من جنسيّات عربيّة كانت تعرف (بالبرانية) مثل السودانيّين[53].

(47) محمد أحمد السقّا هو أحد أصهار عائلة بورقيبة، وعضو بالحزب الحرّ الدّستوري، وقد شارك في مفاوضات الحزب الدستوري التونسي مع الحكومة الفرنسية في باريس.
(48) أ.و.ت س.أ. صندوق 150. ملف 13.
(49) نفس الملــف.
(50) المشيخات المقصود بها مشيخة الطّرابلسيّة ومشيخة الباب الغربي ومشيخة المدينة.
(51) أ.و.ت. س.أ. صندوق 150. ملف 13.
(52) أ.و.ت. س.أ. صندوق 6. ملف 37.
(53) نفس المصـــدر.

وفي الوقت الذي كانت فيه بعض المشيخات الأخرى تتقلّص نتيجة بعض التراتيب الاداريّة التي أقرتها الادارة الفرنسيّة، كانت مشيخة الطرابلسية بالعاصمة تزداد صلوحياتها، ويتّسع حجمها بانضمام بعض العروش الأخرى الهامّة في مدينة تونس مثل جماعة (الفزازنة) و (الغدامسيّون) الذين كانوا يكونون لأنفسهم كيانات خاصّة[54]، إضافة إلى ذلك أن المهاجرين بالمناطق الأخرى أصبحوا منضوين تحت مشيخة الطرابلسيّة بالعاصمة، وقد أعدّت المشيخة سجلّات وقوائم بأسماء المهاجرين، وأفراد عائلاتهم، والمناطق المقيمين بها[55] وكانت المشيخة بمثابة القسم القنصلي الذي يرعى مصالح الجالية في مختلف المناطق، وقد استمرّ هذا الدّور لمشيخة الطّرابلسيّة إلى أن افتتحت القنصليّة الليبيّة بتونس، حيث تولّت رعاية مصالح المهاجرين، وقد تداول على مشيخة الطرابلسيّة مجموعة من المشائخ، كان الشيخ العروسي بن الحاج البشير الطرابلسي العلاقي[56] أوّل من تولّى المشيخة منذ افتتاحها حتى سنة 1911.

ومن أهمّ المشائخ الذين تولّوا مشيخة الطرابلسيّة بالعاصمة، الشيخ محمد علي الشعثاني[57] الذي كان احد أعيان المهاجرين الليبيّين بالعاصمـة تونس وشارك في بعض اجتماعات جمعيّة الدفاع الطرابلسيّة البرقاوية بتونس، وكان يتصف بالجدّية والصدق مما جعله محل تقدير من قبل المهاجرين[58].

ونظرا لوجود جاليات ليبيّة في بعض المناطق البعيدة عن مدينة تونس فقد اتخذ شيخ الطرابلسيّة بعض الاجراءات، بالتنسيق مع المهاجرين المقيمين بعيدا عن مدينة تونس، ومراعاة لظروفهم التي لا تمكنهم من التنقّل إلى العاصمة وذلك باختيار شخص من المهاجرين أنفسهم في كل منطقة يوجد فيها عدد مناسب من المهاجرين يكون بمثابة النائب للشّيخ بتلك الجهة، وضابط اتصال بين المشيخة في تونس والمهاجرين هناك[59].

(54) أ.و.ت. س.أ. صندوق 24. ملف 6.
(55) ورد ذلك في الاستجواب الذي اجريته مع أحمد محمد سانو الغدامسي بتاريخ 1990/1/9.
(56) الشيخ العروسي بن الحاج البشير الطرابلسي العلاقي، ينحدر في الأصل من منطقة العلالقة بصبراتة التي تقع غرب طرابلس بمسافة 65 كيلو مترا، ويعتبر أوّل شيخ يتولّى مشيخة الطّرابلسيّة بعد تأسيسها سنة 1903، وقد استمرّ في هذه المهمّة حتّى سنة 1911، ولم تكن سيرته محمودة من قبل السلطة الحاكمة.
(57) الشيخ محمد علي الشعثاني ينحدر من بلدة (ككلة) بالجبل الغربي ــ ليبيا، كان يدير مخبزة في مدينة تونس، وقد اختير شيخا للمهاجرين اللّيبيّين بتونس بترشيح من الكاتب العام لجمعيّة الدّفاع الطرابلسيّة البرقاوية بتونس، ونظرا لسيرته الحسنة فقد تمّ اعتماد ترشيحه من قبل الاقامة العامّة الفرنسيّة بتونس.
(58) ورد ذلك في رواية الأستاذ أحمد زارم، تاريخ المقابلة 1990/6/20.
(59) ورد ذلك في المقابلة التي أجريت مع الحاج علي بن سالم رحومة بتاريخ 1988/9/20 بمدينة طرابلس، والذي كان مهاجرا بولاية نابل، وقد ذكر ان الشخص المسؤول على الطّرابلسيّة والذي كان ينوب عن شيخ الطرابلسيّة بجهة، نابل، قرنبالية، خنقة الحجاج، سليمان، وهي مناطق بها عدد هائل من المهاجرين اللّيبيّين العاملين في الفلاحة، كان يدعى (علي النائلي) وقد سهل كثيرا اجراءات المهاجرين، خاصّة بعد فتح القنصليّة اللّيبيّة، واعتزام العديد من المهاجرين العودة إلى ليبيا.

ولمواجهة مصاريف تنقله بين مقر المشيخة في العاصمة والجهة التي يقيم بها بالنظر لعدم وجود أي مكافأة أو رواتب تدفع له من قبل أي جهة كان النائب يأخذ بعض الرسوم من المهاجرين مقابل بعض الوثائق والمستندات والتسجيل التي ينجزها لهم، ولم تكن هذه الوظيفة تستدعي التفرّغ لها، بل كان الشخص يمارس إحدى المهن والحرف العاديّة شأنه شأن بقيّة المهاجرين في المنطقة التي يقيم بها.

وقد ازدادت مهمّة (النائب) بعد افتتاح القنصلية الليبيّة بتونس إذ أصبح وسيلة الاتّصال بين المهاجرين في منطقته والقنصليّة، حيث يتولّى إرشادهم إلى الاجراءات التي يتمّ بها التّسجيل في القنصليّة، والكيفيّة التي يتمّ بها الحصول على التّعريف من المناطق التي يتبعونها في ليبيا لغرض الحصول على الجنسية الليبية ووثائق السّفر(60).

إنّ مهمّة شيخ الطّرابلسيّة بمدينة تونس كان يكتنفها الكثير من المصاعب والمشاقّ، نظرا لاتّساع نطاق عمل المشيخة، وشمولها للعديد من الفرق (البرانية) منها الجالية السودانية (ان مشيخة الطرابلسيّة مختلطة من عدّة فرق أكثرهم لا يستقرّون بمكان واحد ولا سيما مع كون الشيخ حديث عهد بالمشيخة)(61).

وهذا ما جعل شيخ الطرابلسيّة يقع في الكثير من المخالفات، ويتّهم من قبل الوزارة الكبرى بالتقصير، وإهمال الواجب، وقد تمّت تخطئة الشّيخ العروسي بن الحاج البشير الطرابلسي بتاريخ 1904/9/3 بمبلغ 100 فرنك لإهمال واجب الخدمة الجبائيّة(62).

وقد تكرّرت مخالفات الشيخ العروسي الطرابلسي العديد من المرّات، وفي سنة 1904، اتّهم بالتّستّر على العديد من المهاجرين، وذلك بعدم قيدهم في دفاتر المجبى، وعدم استخلاص الضرائب المستحقّة منهم، وقد جاء ذلك اثر وشاية تقدّم بها بلقاسم بن علي القاز الطرابلسي(63) ضدّ شيخ الطرابلسيّة وفيما يلي الأسماء التي جاءت في التقرير والتي لم يدرجها الشيخ في دفتر مجبى الطرابلسيّة، وقد استدعى هؤلاء بمعيّة شيخ الطرابلسيّة، إلى عامل الأحواز، حيث فتح تحقيقا معهم.

محمد بن رمضان الطرابلسي اليفرني 31 سنة يعمل خبازا بمدينة تونس
محمد السائح بن بشير الطرابلسي اليفرني 40 سنة عامل يومي بمنجم جبل الرصاص

(60) رواية الحاج امحمد محمد عبد الله البنيني الذي كان مهاجرا بحنقة الحجّاج ولاية نابل، تاريخ المقابلة 1988/1/20.

(61) أ.و.ت. س.أ. صندوق 6. ملف 37.

(62) أ.و.ت. س.أ. صندوق 6. ملف 37.

(63) بلقاسم بن علي القاز الطرابلسي، يعمل في مقهى بباب عليوة بمدينة تونس، ويتّضح من التقرير الذي قدّمه ضدّ شيخ الطّرابلسيّة سنة 1904 أنّه يعمل مخبرا لصالح الحكومة، حيث أشير في التقرير إلى كلمة (مخبر).

الحاج عبد الله بن عمار الطرابلسي اليفرني 35 سنة خباز بمنزل أبي زلفة
عمر بن محمد شنباله الطرابلسي اليفرني 38 سنة عامل يومي بمدينة تونس
محمد بن عيسى بالي الطرابلسي اليفرني 35 سنة خباز بمدينة تونس
مبارك بن أحمد بن لامين الطرابلسي الرابطي 54 سنة خبّاز بمدينة تونس
سالم بن الغاوي الطرابلسي الرابطي 51 سنة عامل يومي
الشيخ محمد بن لامين الطرابلسي 54 سنة يعمل بمرناق
علي بن أحمد الطرابلسي اليفرني 56 سنة خبّاز بمدينة تونس
إبراهيم بن علي أبو الزمازم لم يحضر لكونه يعمل في ماطر في الفلاحة
رمضان بن مسعود شيبو الطرابلسي اليفرني لم يحضر لوجوده بمنزل أبي زلفة.

وفي أثناء فتح التحقيق مع هؤلاء ذكر بعضهم أنّهم قاموا بدفع بعض المبالغ للشيخ في فترات متفاوتة، ودون الحصول على طوابع المجبى (تنابر) وعند مواجهة الشيخ بهذه التّهم، أنكر ذلك، وأفاد بعدم معرفته لأولئك الأشخاص(64).

وفي سنة 1914 ضبط شيخ الطرابلسيّة عمر بن محمود الهزلي(65) متحيّلا على اخراج أحد المهاجرين الليبيّين المسمّى خليفة بن عمر البشباش النالوتي الذي قرّر العودة إلى طرابلس، وذلك بعدم اخضاعه لضريبة الاستيطان(66) وقد تعرّض الشّيخ نتيجة ذلك للمساءلة من قبل عامل الأحواز، والوزارة الكبرى.

وفي سنة 1915، وهي السنة التي اندلعت فيها انتفاضة الجنوب التونسي بقيادة خليفة بن عسكر ضدّ الاستعمار الايطالي في ليبيا، والاستعمار الفرنسي في تونس، اتّهم شيخ الطرابلسيّة عمر بن محمود الهزلي (بتهمة الخوض في أحوال السياسة، والتحريض على الثورة)(67).

مخالفات المشائخ الاداريّة :

كانت وظيفة الشيخ لها ارتباط مباشر بالجانب الاداري والمالي وهذا ما جعل الكثير من المشائخ يتعرّضون لارتكاب العديد من المخالفات الماليّة والاداريّة من خلال مباشرتهم لمهام وظيفتهم التي ترتكز على معالجة الجانب الضريبي، وفي عهد (الحماية الفرنسية) كان المشائخ يخضعون للرقابة الماليّة من قبل (ادارة المال العام)(68)

(64) أ.و.ت. س.أ. صندوق 6. ملف 37.

(65) عمر بن محمود الهزلي، تولّى مشيخة الطّرابلسيّة بعد إعفاء الشّيخ العروسي العلاقي من المشيخة سنة 1911، واستمرّ في هذه الوظيفة إلى سنة 1919.

(66) ضريبة الاستيطان، هي ضريبة مقرّرة على المهاجرين، وقيمتها 5 فرنكات للفرد.

(67) أ.و.ت. س.أ. صندوق 6. ملف 37.

(68) أ.و.ت. س.أ. صندوق 24. ملف 6.

وفي تقرير اعدّته هذه الادارة ضدّ الشيخ مسعود بن محمد ابن الحاج مسعود الطرابلسي[69] الذي تعرّض منزله لالتهام النيران خلال شهر سبتمبر 1933، نتيجة فعل فاعل أضرم النّار في المنزل — حسبما يدّعي الشّيخ — وقد تبيّن أنّ ما أتلف من الطّوابع الخاصّة بالضّرائب (تنابر الخلاص) تقدّر بمبلغ 13382 فرنك[70].

وجاء في التقرير الذي اعدّته إدارة المال العام بتاريخ 1933/9/13 والمستند على الدّراسة الميدانيّة التي قامت بها الادارة المذكورة والتقارير التي أعدّها كاهية (تستور).

(ويستفاد من التقرير المذكور أنّ الشيخ اتّهم خادمه السّابق بإضرام النّيران في محلّه الأمر الذي أفضى لاتلاف تنابر الخلاص وقد أوضح المتفقّد أنّ البحث الذي أجراه كاهية تستور لم يسمح بالعثور على قرائن جديدة تثبت إدانة المتّهم وتبيّن من مكتوب ورد من العامل أن الفرنكات 53666.40 من المتخلّد و7049.48 المذكور يمكن أن تحرر فيها نظائر تنابر الخلاص والباقي وقدره 13382 هو عبارة عن متخلد بذمّة الشيخ)[71].

وكان من نتائج الاجراءات التي قامت بها إدارة المال العام، إحالة الوثائق والطّوابع الجبائيّة، وتسليمها إلى شيخ آخر، وأوكل إلى عامل مجاز الباب مصادرة بعض الأملاك المنقولة وغير المنقولة التي على ذمّة الشيخ، وقد اتخذت هذه الاجراءات بعد أن عرضت على المراقب المدني الفرنسي بمجاز الباب الذي أبدى تأييده لما ورد في التقرير[72].

ان من أهمّ المسؤوليات التي كانت مناطة بالمشائخ سواء في عهد الحماية أو ما قبلها هي استخلاص الضرائب (المجبى) من الأهالي وكان ذلك سببا في إحداث المشاكل بين المشائخ وأولئك الذين يعطون بيانات غير صحيحة عن ممتلكاتهم ومكاسبهم، أو يتقاعسون عن دفع الضرائب في مواعيدها المحددة وغالبا ما تجد هذه المشاكل عندما يحين (موسم خلاص المطالب الدولية)[73] والشيخ يعتبر المسؤول الأوّل أمام العامل وادارة المال في جمع هذه الضرائب والاعلان عن الأشخاص الذين تخلّدت بذمّتهم أموال للدّولة، وكثيرا ما يلجأ بعض الأفراد الذين تقع خلافات بينهم وبين الشيخ إلى أسلوب الوشاية، وتشويه سمعة الشيخ لدى الجهات الحكوميّة المختصّة باتّهامه بالسرقة والسطو على أموال الضرائب التي يجمعها، وممّا جاء في احدى الوثائق :

(69) الشيخ مسعود بن محمد بن الحاج مسعود الطّرابلسي من مواليد 1886. وقد تولّى مشيخة السلوقيّة بتاريخ 1928/12/19 بأمر الوزارة الكبرى عدد 2693 بتاريخ 1928/1/19 واستمرّ في هذه الوظيفة إلى سنة 1933.

(70) أ.و.ت. س.أ. صندوق 24. ملف 6.

(71) نفس الملف.

(72) أ.و.ت. س.أ. صندوق 24. ملف 6.

(73) نفس الملف.

(...وعليه يجب على ادارتكم المبادرة بإعلام ادارة المال العام[74] بمباغتة الشيخ المذكور لاجراء حساب معه فبلا شكّ تقبضون على ناصيته متلبّسا ويداه ملطّخة بأموال الدّولة)[75].

علاقة المهاجرين بالمجلس الكبير :

كان للمهاجرين الليبيّين حضور في العديد من المؤسسات السياسيّة والثقافيّة والاجتماعيّة، ومن بين المؤسسات السياسيّة، المجلس الكبير، والحزب الحر الدستوري.

وفي إطار سياسة تهدئة الخواطر التي توختها فرنسا، على اثر الحرب العالمية الأولى للحدّ من الجو المتوتّر الذي عمّ السّاحة التونسيّة، نتيجة الصراع الطّبقي المتفاقم، والحسّ الوطني المتنامي، ولاستقطاب الزعامات في مختلف شرائح المجتمع، عمدت السلطات الفرنسيّة إلى إلغاء (المجلس الشورى)[76] وتعويضه في 13 جوان (يونيه) 1922 (بالمجلس الكبير التونسي) الذي يكاد يكون شبيها بمجلس البرلمان[77] ويتكوّن المجلس من قسمين الأوّل فرنسي ويضمّ 56 عضوا، والثاني تونسي ويضمّ 41 عضوا[78] ويقع انتخاب الأعضاء التونسيّين من حاملي الشهادات، وأرباب الحرف، وأصحاب المهن الحرّة، وتنحصر مهمّة المجلس في النّظر في بنود الميزانيّة، وتقديم المشورة في الجانب الاقتصادي والاجتماعي وليست للمجلس الأحقية في إجبار الحكومة على تنفيذ ما يبديه من آراء وتعليمات.[79] ورغم هذا الدّور المتواضع للمجلس الكبير الذي لا يتعدّى المشورة وإبداء الرأي فإنّ الصحافة كانت تطالب المجلس بالنّظر في تخفيض الضرائب والاهتمام بدراسة الجوانب الاقتصاديّة التي تهمّ حياة المواطن اليوميّة. جاء في صحيفة الصواب (لا خلاف في أن وظيفة المجلس الكبير في هذه السنة صعبة وشاقّة أيضا لأنّ البلاد تطلب من الهيئة المنتخبة التي وضعت فيها ثقتها في السنة الماضية وحزما وعزما نادرين وهمّة شمّاء في جلب المصالح ودرء المفاسد، لا سيما والأزمة الاقتصاديّة قد أناخت بكلكلها)[80].

(74) ادارة المال العام تعني وزارة المالية أو الخزانة.

(75) أ.و.ت. س.أ. صندوق 24. ملف 6.

(76) في سنة 1907 اجريت بعض التعديلات على هذا المجلس اذ أصبح يتكوّن من 32 عضوا نصفهم من الفرنسيّين يتمّ تصعيدهم عن طريق الانتخاب، أمّا الجانب التونسي فيتمّ تعيينهم بمعرفة الحكومة.

(77) التيمومي الهادي **النشاط الصهيوني بتونس بين 1897 - 1948** التعاضديّة العماليّة للطباعة والنّشر 1982 ص 96.

(78) القصاب أحمد **تاريخ تونس المعاصر 1881 - 1956** الشركة التونسية للتوزيع 1986 ص 415.

(79) حقي احسان **تونس العربيّة** دار الثقافة — بيروت ص 147.

(80) جريدة الصواب التونسيّة عدد 599 بتاريخ 1929/11/8.

كان الجانب التونسي بالمجلس الكبير يضمّ في عضويته 4 من الاسرائيليّين[81] إضافة إلى الأعضاء المسلمين الذين كان من بينهم أحد المهاجرين الليبيّين وهو (علي بالحاج الطرابلسي)[82] الذي كان محلّ احترام وتقدير على المستويين الحكومي والشعبي (يعمل بمجاز الباب)[83].

(... وهنا لا يخفى على نباهتكم وخبرة جنابكم ما لهذا الرّجل من النفوذ الأدبي والوجاهة عند بعض رؤساء الادارات سواء كانت محلية أو عمومية).

ان اختيار احد المهاجرين الليبيين لعضوية المجلس الكبير، لم يتمّ على أساس تمثيل نيابي للمهاجرين بالمجلس، باعتبار أن المهاجرين الليبيّين شأنهم شأن سائر سكّان البلاد التونسية (المسلمين)، وإنّما الاختيار تمّ على أساس الشعبية التي يتمتّع بها (علي بالحاج الطرابلسي) بالاضافة إلى المؤهّلات التي يتمتّع بها وأهمّها الترجمة[84].

العائلات الليبيّة التي تبوّأت مراكز قياديّة في تونس

عائلة «بورقيبة» بين مصراتة والمنستير :

من السّمات البارزة لحكم الأسرة القره مانليّة (1711 — 1835) في ليبيا ذلك الصراع الدّموي بين أفراد تلك الأسرة للظفر بكرسي الحكم، وقد نسجت الكثير من المؤامرات التي ازهقت فيها العديد من الأرواح البريئة، وكان لهذا الصراع انعكاسه السّيء على الحياة العامّة بالبلاد، وعلى استقرار المواطن، اذ اجتاحت البلاد الكثير من الانتفاضات، وحركات التمرّد، التي ادخلت الرّعب في نفوس الأهالي، والتي كانت تهدف أساسا إلى التخلّص من حكم هذه الأسرة[85] الذي أربك حياة السكان من خلال الضرائب المجحفة، وإهمال الزراعة والتجارة، وهو ما أدّى بالكثير من العائلات إلى الهجرة إلى تونس.

---

(81) القصـاب أحمد نفس المصـدر ص 416.

(82) علي بالحاج الطرابلسي قبل أن يصبح عضوا بالمجلس الكبير، كان يعمل بمراقبة (تبرسق)، وهو أحد المهاجرين بمجاز الباب، وصهر الشيخ مسعود بن محمد بن الحاج الطرابلسي شيخ السلوقيّة الذي استمرّ شيخا على السلوقيّة من 1928 إلى 1933.

(83) أ.و.ت س.أ. صندوق 24. ملف 6.

(84) نفس الملـف.

(85) د. بن اسماعيل عمر — انهيار حكم الأسرة القره مانلية في ليبيا مكتبة الفرجاني — طرابلس 1966 ص 15.

كانت عائلة «بورقيبة» إحدى العائلات الثّرية[86] بمدينة مصراتة[87] ونتيجة الظروف الصعبة التي أصبحت عليها البلاد قرّر الحاج محمد بورقيبة[88] سنة 1795 الهجرة إلى تونس عن طريق البحر، حيث اصطحب معه عائلته وأرزاقه، و40 من العبيد (الخدم).

وقد استقرّ المقام بهذه العائلة في منطقة الساحل التونسي، حيث ا ختار الحاج محمد بورقيبة أحد الأحياء المتواضعة بمدينة المنستير ليكون مقرّا لاقامة عائلته، وقد عرف هذا الحي فيما بعد بحي الطرابلسيّة.

ومنذ حلول هذه العائلة بالمنستير سلكت سلوكا إسلاميّا جعلها قريبة من قلوب السّكان المسلمين، من ذلك تقديمها يوم الجمعة مائدة أكل (بحومة الطرابلسيّة) للفقراء[89] وبعد أن اصبحت لهذه العائلة أرزاق بعد عدّة سنوات من استقرارها في تونس كانت تقوم بتوزيع جزء من انتاجها على الفقراء.

وفي سنة 1846 قام الحاج محمد بورقيبة بعتق العبيد الذين جلبهم معه من مصراتة، وكان هؤلاء العبيد الذين يقومون على خدمة عائلة بورقيبة يعرفون (بابا سعد)[90].

وفي سنة 1864 عندما اندلعت انتفاضة علي بن غذاهم ضدّ سياسة الضرائب المجحفة التي فرضتها سياسة البايات، كانت عائلة بورقيبة من الذين ايدوا انتفاضة ابن غذاهم، وقد وقع قمعهم من قبل (الجنرال زروق)، المشهور بفضاعة قمعه لسكان الساحل، وبأوامر منه نهبت قطعان الماشية التي كانت على ملك (الطرابلسيّة)[91] بمنطقة الأعراض.

وفي أثناء الانتفاضة سنة 1864، وبتعليمات من الجنرال (زروق) ادخل علي بورقيبة ابن الحاج محمد بورقيبة الجيش حيث استمرّ إلى 1881 تاريخ دخول فرنسا تونس، وقد تولى بعد ذلك «شيخ حي الطرابلسيّة» ثم عين مستشارا بالمجلس البلدي بالمنستير، ثم خبيرا في الفلاحة[92]

---

(86) عائلة «بورقيبة» لا زالت حتى الوقت الحاضر من العائلات المعروفة في مدينة مصراتة.

(87) مدينة مصراتة تقع على الشريط الساحلي شرق مدينة طرابلس، وهي إحدى المدن اللّيبيّة التي تعرّضت إلى هجومات ايطاليّة منذ بداية الغزو الايطالي لليبيا سنة 1911 نظرا لموقعها الاستراتيجي في اتجاه الجنوب.

(88) SOPHIE BESSIS, BOUHAYRE BELHASSEN **BOURGUIBA** PRINTER INDUSTRIA S.A. 1988 P. 13.

(89) نفـس المصـــدر ص 14.

(90) ورد هذا المعطي في رواية الحاج عمر بوزقرو (75) مقيم بمدينة المنستير أجريت معه المقابلة بتاريخ 1990/3/25 بالمنستير.

(91) SLAMA, B. : **LINSURRECTION DE 1864 A TUNISIE** M.T.E 1967 P.141

(92) SOPHIE BESSIS, BOUHAYR BELHASSEN. P.21.

لقد كان للجالية (الطرابلسية) حضور في مدينة المنستير وقد جاء في إحصاء سنة 1860 ان عدد سكان مدينة المنستير يبلغ 10.000 نسمة منهم 9,7 % من المهاجرين الطرابلسيّين[93] وهو العدد الذي أهلهم لأن يكونوا مشيخة على رأسها أحد مشائخ الطرابلسيّين، الشيخ علي بورقيبة، والد (الحبيب بورقيبة).

ان عائلة «بورقيبة» لا تزال حتى وقتنا الحاضر، من العائلات المعروفة في مدينة مصراتة، وتنتمي هذه العائلات إلى قبيلة (الدرادفة)، بلغ مجموع أفرادها سنة 1917 (1300) نسمة[94] وتتكوّن قبيلة الدرادفة من اللحمات الآتية : النواصف، الرضاونة، المعاتقة، أولاد رجب، السقائف[95].

وتقيم عائلة «بورقيبة» في حي الحميدية بمصراتة.

بداية حياة الحبيب بورقيبة السياسية :

في حي الطرابلسيّة بمدينة المنستير، والذي يعد في مقدّمة الأماكن التي ارتبطت تاريخيًا بالحركة الوطنية التونسية، في هذا الحي الصغير[96] ولد الحبيب بن علي بن الحاج محمد بورقيبة يوم 1903/8/3، في وسط عائلي متواضع، وكان أصغر اخوته.

بدأ الحبيب بورقيبة تعليمه بالمعهد الصادقي في مدينة تونس في ظروف صعبة سنة 1913 حيث ترك اسرته، بالمنستير ونتيجة إقباله بشغف على التعليم حقق نتائج باهرة أهلته إلى الانتقال إلى باريس لدراسة المحاماة، وفي سنة 1927 عاد إلى تونس[97] ليبدأ نشاطه السياسي عن طريق المساهمة في الكتابة الصحفيّة الجادّة بجريدة (اللواء التونسي) وجريدة (صوت تونس)[98] ثم تطوّر هذا النشاط السياسي إلى كفاح سياسي عملي ضدّ الهيمنة الفرنسية، وذلك من خلال الحزب الحر الدستوري إلّا أن هذا الحزب الذي يعود تاريخه إلى سنة 1920، كان يعتمد على الأسلوب التقليدي الذي رسمه الزعماء القدامى، وهو ما جعل الحركة الوطنيّة

(93) عقير محمد الطاهر **المنستير عبر مواقع التجذير والتحرير في النصف الأول من القرن العشرين**. المطابع السريعة المندمجة، بالمنستير 1989 ص 25.

(94) دي أغسطيني هنريكو **سكان ليبيا القسم الخاص بطرابلس** تعريب خليفة التليسي دار الثقافة — بيروت 1975 ص 267.

(95) تنتمي عائلة «بورقيبة» إلى لحمة السقائف من قبيلة الدرادفة ولحمة السقائف هي فرع لقبيلة السقائف بغريان.

(96) ينظر الوثيقة رقم (22) التي توضح بالصورة حي الطرابلسيّة، والمنزل الذي ولد وتربّى فيه الحبيب بورقيبة، وكان ذلك المنزل محل مراقبة من قبل المخابرات الفرنسيّة منذ أن بدأ بورقيبة نشاطه السّياسي وعلى وجه الخصوص في الثلاثينات التي انطلق فيها نشاط الحزب الحرّ الدستوري الجديد.

(97) **الحبيب بورقيبة حياه وجهاده** كتابة الدّولة للأخبار والارشاد — تونس — ص 19.

(98) الشريف محمد الهادي **تاريخ تونس** — سراس للنشر — 1985 ص 120.

تسير بخطوات بطيئة جدًا، وفي معزل عن الجماهير[99] وهو الأمر الذي أدخل الانشاق في صفوف الحزب ووسع شقّة الخلاف بين الفريقين (القدامى) و(الجدد) وتتركّز سياسة الزعماء الجدد وهم الحبيب بورقيبة ومحمد بورقيبة والدكتور الماطري والطاهر صفر، والبحري قيقة الذين يمثلون الجناح الراديكالي الذي يدعو إلى تشريك الجماهير في الحركة الوطنية، وهو الأسلوب الذي وجد صدى لدى الجماهير، وفي 2 مارس 1934 عقد مؤتمر قصر هلال الذي أعلن فيه ميلاد الحزب الحر الدستوري الجديد[100] الذي سيتولّى زعامته فيما بعد الرئيس الحبيب بورقيبة إضافة إلى رئاسة الجمهورية التي تقلّدها منذ سنة 1957 حتى نوفمبر 1987 تاريخ عزله من رئاسة الجمهوريّة إلتونسيّة.

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال، هل أنّ الحبيب بورقيبة الذي وصل إلى قمّة المجد السياسي، بترأسه الحزب الدستوري التونسي، ورئاسة الجمهورية التونسي، لمدّة تربو على الثلاثين سنة بعد نضال سياسي مرير، تنكر لأصله الليبي؟ أم أنّه ظلّ معترفا أنّه ليبي الأصل، تونسي المولد.

ان النتيجة التي أفضت إليها اطروحتنا حول المهاجرين الليبيّين بالايالة التونسية خلال القرن التاسع عشر هي أن أولئك المهاجرين الذين فضلوا البقاء، والعيش في الايالة التونسية قد اصبحوا بحكم التقادم، والمصاهرة في عداد سكان البلاد الأصليّين، مع عدم تنكرهم لأصل أجدادهم واعتزازهم بألقابهم الطرابلسي، الغرياني، الزواري، الغدامسي، الورفلي، المصراتي، الترهوني، الفزاني...الخ...، وكانت عائلة بورقيبة من أقدم العائلات الليبيّة المهاجرة بتونس، ورغم طول هذه المدّة الطّويلة التي تقارب المائتي سنة، فإن أفراد هذه العائلة لم يتنكّروا لانتسابهم إلى الأصل الليبي، وفي مقدّمتهم الرئيس السابق للجمهورية التونسية الحبيب بورقيبة، يقول الأستاذ الصادق المقدّم[101].

(من خلال جلساتي الخاصّة مع الرئيس بورقيبة اذكر أنّه لم يتنكّر لأصله حيث يذكر بأنّه ينحدر من أصل طرابلسي من بلدة (مصراتة) وقد أشار إلى ذلك في بعض خطبه الرسميّة)[102].

(99) **الحبيب بورقية حياته وجهاده** — كتابة الدولة للأخبار والارشاد — تونس — ص 20.

(100) الشريف محمد الهادي **نفس المصدر** ص 122.

(101) الأستاذ الصادق المقدّم من مواليد جربة سنة 1914 عضو بالحزب الحر الدّستوري التونسي والديوان السياسي، ورئيس سابق لمجلس النوّاب في تونس، ناضل في صفوف الحزب الدّستوري والحركة الوطنيّة التونسيّة منذ أن كان طالبا بمعهد كرنو، وعمره انذاك لا يتجاوز 17 سنة.

(102) ورد ذلك في المقابلة التي اجريتها مع الأستاذ الصادق المقدّم بتارخ 1990/2/15 ينظر الوثيقة رقم (32) بالملحق الخاصّ بالوثائق.

وفي أثناء الرحلة التي قام بها الرئيس الحبيب بورقيبة إلى المشرق العربي سنة **1945**، كان قد مرّ بالتّراب اللّيبي، حيث حلّ ضيفا على العديد من العائلات في كلّ من زواره، طرابلس، مصراتة، بنغازي، درنة، وفي هذه المدن كان محلّ ترحاب وتقدير من قبل كل من التقى بهم من اللّيبيّين، وكان في تلك الرحلة مرتديا زي أجداده الذي يعرف بالجرد[103].

وكان للحبيب بورقيبة مواقف إيجابيّة من المهاجرين الليبيّين الذين هاجروا بعد الاحتلال الايطالي لليبيا، ولاسيما بعد أن أصبح على رأس قيادة الحزب الحر الدستوري، وقد تأكّد ذلك من خلال استقباله لوفد من المهاجرين الليبيّين يقوده أحمد زارم الكاتب العام للجنة التنفيذيّة للجاليات الطرابلسيّة البرقاوية في مكتبه بمدينة تونس بشأن الشكوى من بعض المضايقات التي تعرضت لها بعض المجموعات من المهاجرين الليبيّين بمنطقة الجنوب، من قبل السلطات الفرنسية، وقد تمّت المقابلة بحضور السيد علالة العويتي، وقد دار الحديث بين وفد المهاجرين والحبيب بورقيبة، وأفادهم بأنّه من حقّهم المطالبة بكامل حقوقهم شأنهم في ذلك شأن سكان البلاد التّونسيّة فكان ردّ أحمد زارم رئيس وفد المهاجرين بأن المهاجرين اللّيبيّين يعتبرون أجانب في نظر السلطات الفرنسيّة، ويمكن أن تصدر لنا فرنسا الأمر بترحيلنا من تونس في أي لحظة، فكان ردّ الحبيب بورقيبة (لا يمكن أن تستطيع فرنسا عمل ذلك، أنا طرابلسي ودعهم اذًا يطردونني)[104] وكان هذا الموقف قد بعث الطمأنينة في نفوس زعماء المهاجرين الليبيّين، ولم يشعروا بعدها بأيّة مضايقات مسلّطة عليهم، وقد خرج الوفد من مكتب الحبيب بورقيبة بانطباع جيّد على روح المعاملة الطيّبة التي عاملهم بها، وما أظهره من حيويّة وشهامة وهو يتحدّث أمامهم بالهاتف مع بعض المسؤولين الفرنسيّين بلغة الرجل الواثق من نفسه ومن قضيته العادلة التي يكافح من أجلها.

وكان أهالي المنستير يشعرون باعتزاز كبير نحو مدينتهم التي شهدت ميلاد الزعيم الحبيب بورقيبة (والشعور الذي يكنّه المنستيريّون نحو بورقيبة ليس خاصّا بهم، بل هو شعور كل التونسيّين، وحتى العرب)[105].

وقد ارتبطت عائلة بورقيبة بصلة القرابة نتيجة المصاهرة، مع العديد من العائلات (المنستيريّة) أمثال عائلة (السقا) وعائلة (بوزقرو).

عائلة الأدغم :

عائلة الأدغم من العائلات ذات النسب الليبي المهاجرة بتونس، وتنحدر هذه العائلة

(103) محاضرات الرئيس الحبيب بورقيبة التي ألقاها على طلبة معهد الصحافة بتونس عام 1974.
(104) رواية أحمد زارم الكاتب العام للجنة التنفيذيّة للجاليات الطرابلسيّة ــ البرقاويّة ــ بتونس. أجريت معه المقابلة بمدينة طرابلس بتاريخ 1990/6/20.
(105) صحيفة الصباح التونسيّة العدد 13473 تاريخ 1990/6/8.

في الأصل من عائلة الأدغم ببلدة (مصراتة) التي تقع شرق مدينة طرابلس، على الشريط الساحلي، وعائلة الأدغم هي فرع لقبيلة (يدر) بمصراتة، وهم مستقرّون[106].

وفي سنة **1914** كان عدد أفراد عائلة الأدغم **568** نسمة، وهي مقسّمة إلى عدّة فروع : الأرباح، البهالله، التواكلية، السواحلية[107] وعائلة الأدغم لا تزال حتى وقتنا الحاضر من العائلات المعروفة في مصراتة، ولها أنساب في العديد من المناطق داخل ليبيا، ويشير ابن غلبون إلى عائلة الأدغم في أثناء حديثه عن الاضطرابات التي وقعت في عهد أحمد باشا القره مانلي، حيث استطاع علي بن خليل الأدغم أن يحظى بمبايعة الجند له، يقول ابن غلبون[108] (..وبايعوا إبراهيم الترياقي، وعلي بن خليل الأدغم على أن الأوّل ملك، والثاني وزيره وكاهيته).

وفي أثناء تلك الحروب الأهليّة التي شهدتها أغلب المناطق في ليبيا نتيجة الفوضى والاضطرابات التي سبّبها حكم الأسرة القره مانلية، تولّى عثمان الأدغم منصب حاكم مصراتة، وزعيم الكراغله بها[109] وقد انضمّ عثمان الأدغم لمناصرة الثوار في أثناء تلك الأحداث الدامية التي شهدتها الأراضي الليبيّة.

ويشير الأستاذ الطّاهر الزاوي إلى أنّ عثمان الأدغم كان يتمتّع بنفوذ كبير في مصراتة (كان عثمان الأدغم صاحب النفوذ في مصراتة، تولّى أمرها إلى أن جاء طاهر باشا في ربيع 1252 هـ / (1836م) فطلب من أعيان البلاد أن يقدموا له الطاعة، ومن لم يستجب عدّ عاصيا)[110].

وممّا تقدّم نلاحظ أنّ عائلة الأدغم استطاعت أن تتبوّأ مكانة مرموقة على الصّعيد السّياسي، ولا سيّما في بلدتها مصراتة، وأن يترأس بعض أفرادها (الحملات) المتّجهة نحو فزّان[111] ومثلما كان لعائلة الأدغم مراكز قياديّة في الحكم في ليبيا، كان لها أيضا نفس الحظوة في تونس، مع اختلاف الفترة الزمنيّة، حيث سطع نجم أحد أبنائها في تونس في مجال العمل الوطني والسياسي.

لكن قبل الحديث عن هذا الجانب، كيف ومتى وصلت هذه العائلة إلى الأراضي التونسيّة؟ وما هي المناطق التي استقرّت بها؟.

(106) دي أغسطيني هنريكو **نفس المصدر** ص 269.
(107) **نفــس المصــدر** ص 292.
(108) ابن غليون محمد خليل **نفس المصدر** ص 258.
(109) حسن الفقيه حسن **اليوميات اللّيبيّة** تحقيق محمد الاسطى وعمار جحيدر الجزء الأوّل منشورات مركز الجهاد ــ طرابلس 1984 ص 409.
(110) الطاهر الزاوي **نفس المصــدر** ص 200.
(111) حسن الفقيه حسن **نفس المصــدر** ص 233.

ان هجرة بعض أفراد عائلة الأدغم إلى تونس... تعود إلى تاريخ قديم، ونرجح أن ذلك تمّ خلال حكم القره مانليين لليبيا 1711 - 1835، حيث تميّزت تلك الفترة من حكم هذه الأسرة بالاضطرابات والفوضى التي عصفت بكلّ شيء داخل البلاد، وقد انعكس ذلك على حياة السّكان، وخاصّة تلك العائلات الميسورة، أو تلك التي كانت لها مراكز في الحكم، وقد نتج عن ذلك هجرة مكثفة نحو الايالة التونسيّة[112] ويؤيّد ذلك الأثر الذي تمّ العثور عليه في قصر هلال وهو عبارة عن (مزوله) تعود إلى مؤسس عائلة الأدغم التي استقرت بالدّاموس (وقد عثرنا على إحدى الشواهد التاريخيّة لا تزال موجودة إلى حدّ اليوم بمدينة قصر هلال وبالتحديد بجامع القصر على بناية كتب عليها هذه مزولة بناها في أوائل القرن 12 هجري علي بن محمد بوزقندة الأدغم الطرابلسي المصراطي من أهل الداموس)[113].

وخلال الجلسة التي عقدتها مع الأستاذ الباهي الأدغم أفادني بالآتي : (كانت منطقة (جمّال) أولى المناطق التي استقرت بها عائلة الأدغم في تونس، إلّا أنّه نتيجة بعض الخلافات مع أهل المنطقة أضطر العامل إلى إجبارهم على الرحيل إلى (غابة الدّاموس) التي تعرف الآن ببلدية منزل النور.

كان الحاج عمر الأدغم (جدّ الباهي الأدغم) على اتصال دائم ببلدته مصراتة، حيث يراجع مكاسبه هناك، ويتّصل بأقاربه في مصراتة، وكان على معرفة تامّة بأمور الخيل وله فراسة في معرفة الجيد منها، وكان ابنه الأكبر يشتغل (المسؤول على التموين في الجيش) وكانت له المكانة المرموقة في الجيش، وبلاط الصادق باي.

وفي أثناء وجود الحاج عمر الأدغم بمنطقة الدّاموس لحقه الأذى من بطش (الجنرال زروق) ممّا اضطرّه إلى الانتقال إلى تونس للالتحاق بابنه الأكبر الذي كان يعمل في تونس، وترك زوجته (شلبية) حاملا، وقد جاءها المخاض وهي في طريقها للالتحاق بزوجها وابن زوجها في تونس وقد انجبت ولدا سمى أحمد، ولكنّه شهر (مفتاح) وهو والد (الباهي الأدغم)، وقد بقي مفتاح في كفالة شقيقه بتونس إلى أن تزوّج (زهرة) والدة الباهي الأدغم، وهي ابنة أحمد بن عودة الذي ينحدر من عائلة صوفية بالجزائر)[114].

محمد الباهي مفتاح بن عمر الأدغم

الباهي الأدغم، هو أحد أبناء عائلة الأدغم الذي برز في عالم السياسة، نتيجة دوره النضالي في حركة المقاومة التونسيّة، ونشاطه في صلب الحزب الحرّ الدستوري الجديد، وهو

(112) أبو القاسم ابراهيم **نفس المصدر**.
(113) بلدية منزل النور «بطاقة تعريف البلدية لمحة تاريخيّة» 1985.
(114) ورد ذلك في الجلسة التي عقدتها مع الاستاذ الباهي الأدغم بمنزله في (أميلكار)بمدينة تونس يوم 1990/11/28.

من مواليد 1913/3/18 بتونس، تلقّى تعليمه بالمعهد الصّادقي، وبدأ حياته الوظيفيّة كموظّف في الادارة الماليّة، ثمّ بدأ نشاطه السّياسي من خلال الحزب الحر الدّستوري. وقد قاد المظاهرات منذ أن كان طالبا بالمعهد الصادقي، وفي المظاهرات التي نظّمت سنة 1930، كان اسم الباهي الأدغم على رأس قائمة المتّهمين بالتّحريض على المظاهرات[115].

وفي سنة 1936 أدخل السّجن بتهمة المشاركة في إعادة قيام جماعة منحلة، وقد مكث بالسّجن من 1936/4/9 إلى 1936/4/30، ثمّ صدر إعفاء على المتّهمين[116] بيد أنّ ذلك لم يثن الباهي الأدغم عن ترك العمل السّياسي، بل عاد إلى سالف نشاطه، حيث تولّى رئاسة المكتب الخامس للحزب، ونتيجة المسؤوليّة الحزبيّة الكبيرة التي أنيطت به، قامت السلطات الفرنسيّة بتسليط الرقابة الصارمة عليه، وفي نوفمبر 1934 ألقت عليه الشرطة الفرنسيّة القبض، وأودع السجن بتهمة التحريض على العصيان والمشاركة في إعادة تنظيم منحل[117] وصدر بشأنه حكم من قبل المحكمة العسكريّة الفرنسيّة بتاريخ 1940/4/14 بسجنه لمدّة 15 سنة (أعمال شاقّة)، وقد نقل إلى الجزائر لتنفيذ هذا الحكم بسجن (لميز) غير أن الجنرال ديغول تدخل لصالح الباهي الأدغم، وذلك بإيقاف تنفيذ الحكم في 1944/5/7.

واصل الباهي الأدغم إهتمامه بالسياسة إلى جانب عمله في الغرفة التجاريّة واستمرّ مناضلا في صفوف الحزب الدستوري إلى أن نالت تونس استقلالها سنة 1957 وفي عهد الاستقلال تقلد الباهي الأدغم العديد من المناصب السياسيّة، كان أبرزها منصب (الوزير الأوّل) للحكومة التونسيّة في نوفمبر 1969[118]، وكان قبل ذلك مندوب الحزب الحر الدستوري بنيويورك عام 1952، وقد تولّى الدّفاع عن المسألة التونسيّة بهيئة الأمم المتّحدة[119] ويعتبر الباهي الأدغم الرجل الثاني بعد الحبيب بورقيبة منذ سنة 1956 إلى 1970.

عائلة بن ميلاد

من العائلات اللّيبيّة القديمة الّتي هاجرت إلى تونس منذ فترة طويلة تزيد على المائتي سنة [120] عائلة بن ميلاد الّتي تنحدر في الأصل من منطقة صرمان من المحاميد [121] وقد

(115) ورد ذلك في رواية الأستاذ الباهي الأدغم، خلال الجلسة التي عقدتها معه.
(116) R. CASEMAJOR **L'ACTIONNATIOISTE EN TUNISIE DE PACTE FONDAMENTAL DE MIHAMED BEY A LA MORTE DE MONCEF BEY 1854 - 1948 P. 336.**
(117) **نفس المصدر** ص 336.
(118) **نفس المصدر** ص 336.
(119) بن حميدة عبد السلام **نفس المصدر** ص 139.
(121) ورد ذلك في المقابلة التي أجريتها مع الدّكتور أحمد بن ميلاد بمدينة تونس.

استقرّت هذه العائلة في مدينة تونس، حيث استطاعت أن تنشط في العديد من المجالات، ومن بينها العمل الفلاحي، وقد استطاعت هذه العائلة أن تكوّن لنفسها ثروة هامّة تمكّنت من خلالها من تعليم أبنائها في الدّاخل والخارج، وقد وصل أحد أبنائها إلى نيل أعلى الدّرجات العلميّة، وهو الدّكتور أحمد بن ميلاد الذي يعتبر من الرّعيل الأوّل من الأطبّاء العرب بتونس، حيث باشر عمله كطبيب في تونس سنة 1932[122].

الدكتور أحمد بن ميلاد

— من مواليد تونس في 1902/5/1، درس بالصّادقيّة، وبمعهد كارنو بمدينة تونس،
— سافر إلى فرنسا سنة 1926 لدراسة الطّب، وبعد أن حصل على الأجازة في الطّب عاد إلى تونس، حيث باشر عمله كطبيب، بالحلفاوين 4 زنقة الرّياض بتونس.
— بدأ نشاطه السّياسي منذ سنة 1918 حيث إنخرط في الشّبيبة الاشتراكيّة، وفي سنة 1921 انخرط في الحزب الشّيوعي، واستقال منه في 1925/1/1[124].
— أسّس نقابة السرّاجين سنة 1920، وإثر حوادث بنزرت سنة 1924 سجن بسبب العمل النّقابي.
— من مؤسّسي جمعيّة طلبة شمال إفريقيا المسلمين في باريس سنة 1927، وقد كان أوّل كاتب عام لهذه الجمعيّة.
— عضو بنجم شمال إفريقيا في باريس.
— أصدر سنة 1931 كتاب (خمسون سنة على احتلال فرنسا لتونس)[125].
— لم يتوقّف نشاطه خلال تردّده على تونس في أثناء العطل الصيفيّة.
— أسّس سنة 1937 مستشفى شعبيا أطلق عليه (دار ابن الجزّار) بالحيّ الشعبي بالحلفاوين بمدينة تونس لتقديم العلاج مجانا لكل المواطنين.
— بدأ العمل مع الشّيخ عبد العزيز الثّعالبي عند عودته سنة 1937، وكان طبيبه الخاصّ.
— أصبح عضو اللّجنة التنفيذيّة في مؤتمر سنة 1944، وكان عضوا في مؤتمر ليلة القدر 1946.
— أسّس مدرسة ابتدائيّة، وبناها على حسابه الخاصّ، بضواحي تونس سنة 1947.
— أسّس سنة 1951 جريدة (الاستقلال).

---

(122) يذكر هنريكو دي أغسطيني في كتابه سكّان ليبيا أن المحاميد نتجة علاقتهم السيّئة مع الدّولة العثمانيّة، اضطهدوا من قبل الولاة العثمانيّين بطرابلس، وهو الأمر الذي جعلهم يتشتّتوا، ويتوزّعوا في مناطق مختلفة داخل ليبيا وخارجها، عن هنريكو دي أغسطيني، سكان ليبيا — ص 392.
(123) م.ت.ق.ت. أ. 4 - 31.
(124) نفس المصدر
(125) م.ت.ق.ت أ. 4 - 31.

— شارك سنة 1952 ضمن وفد الحزب الدّستوري في مفاوضات السّلام بباريس.
— كان رئيس ومؤسس جمعيّة الكشّاف المسلم.
— أسس وترأس جمعيّة إغاثة منكوبي فلسطين سنة 1936[126].
— كان عضوا في جمعيّة السّلام التونسيّة، وشارك في مؤتمراتها العالميّة بستوكهولم سنة 1956، وموسكو، وفيينا.
— ساهم في مساعدة المهاجرين اللّيبيّين، بتقديم العلاج مجانا لهم، والتدخّل في أثناء حالات الوفاة لدى السلطات البلدية لتسهيل إجراءات دفنهم حيث كان الكثير من المهاجرين اللّيبيّين يفتقدون لبطاقات الهويّة.
— اعتزل مهنة الطب سنة 1976 لظروفه الصحيّة.

له من المؤلّفات :

1 — تاريخ الطبّ العربي في القيروان في القرن الرّابع الهجري — 1982.
2 — محمد علي الحامي وظهور النّقابة التونسيّة — 1986.
3 — تحقيق، تاريخ شمال افريقيا للشّيخ عبد العزيز الثّعالبي،
4 — تحقيق، ملقّات مؤتمر القدس للشّيخ عبد العزيز الثّعالبي،
5 — تحقيق، محمد رسول الله للشّيخ عبد العزيز الثّعالبي،
6 — الشّيخ عبد العزيز الثّعالبي والحركة الوطنيّة — تحت الطبع (15 جزء).

علي محمد الزّليطني

كانت عائلة الزّليطني إحدى العائلات اللّيبيّة التي اضطرّتها ظروف الغزو الايطالي لليبيا إلى الهجرة إلى تونس، وقد استقرّ بها المقام في جزيرة جربة[127] وكان محمد الزّليطني[128] يتمتّع بمستوى ثقافي جيّد، حيث كان يجيد اللّغة التركيّة واللّغة العربيّة، وقبل حلوله بجربة كان يشتغل موظّفا بمكتب بريد طرابلس ممّا جلب إليه انتباه المخابرات الفرنسية، منذ حلوله بجزيرة جربة بعائلته.

جاء في تقرير بعث به المراقب المدني بقابس بتاريخ 1917/3/8 إلى المقيم العامّ للجمهوريّة الفرنسيّة بتونس (... له معرفة باللّغات التركيّة والعربيّة وعمل بمكتب بريد

---

(126) نفس الملف.
(127) أ.و.ت. س.أ. صندوق 6. ملف 37.
(128) محمّد الزليطني والد كل من علي الزليطني الذي برز في مجال النضال السياسي، حفظي الزليطني الذي له نشاط في مجال الأدب، والانتاج الاذاعي، فتحي الزليطني، من أبرز الفنانين في الخطّ العربي في تونس، وقد تحصّل سنة 1988 على جائزة كبرى من رئيس الجمهوريّة التونسيّة، ويعتبر أوّل من وضع شعار الحزب الدستوري التونسي، في شكل (ختم) وقد تعرّض نتيجة ذلك للعقاب من قبل السّلطات الفرنسيّة التي اكتشفت ذلك من خلال مراسلات الحزب.

طرابلس، وفي الوقت الذي احتلّ فيه الايطاليّون طرابلس غادر محمد الزّليطني طرابلس متوجّها إلى جزيرة جربة[129].

وعائلة الزّليطني تنحدر من بلدة زليطن الّتي تقع شرق مدينة طرابلس، على الشّريط السّاحلي، وتشتهر بغابات نخيلها الّتي تغطّي أجزاء كثيرة من المنطقة، وتحتضن زليطن أضرحة بعض الأولياء، وفي مقدّمتهم (عبد السّلام الأسمر)[130]، ممّا جعلها قبلة الزّوّار الذين يتهافتون عليها على مدار السنة من داخل ليبيا، ومن بعض الدول المجاورة طلبا للبركة، والشفاء.

ومن أهمّ عشائر منطقة زليطن، الفواتير، أولاد الشيخ، العمائم، وتنتسب الفواتير إلى (الولي سيدي سليمان الفيتوري، دفين طرابلس مقبرة سيدي الشعاب) وهم عرب من بني سعيد، من بطون رياح (خَدَمُ بني هلال)[131].

أمّا أولاد الشّيخ فهم (ينحدرون من سيدي عبد السّلام الفيتوري الذي ينحدر من لحمة (المجذة) من قبيلة المريقات من الفواتير)[132]، والعشيرة الثّالثة هي (العمائم) الّتي لها ارتباط كبير بالهجرة، حيث هاجر العديد من عائلات العمائم إلى تونس خلال القرن التّاسع عشر، وإثر الغزو الايطالي لليبيا سنة 1911[133] ولا يزال فرع العمائم بمنطقة الفحص حتى وقتنا الحاضر.

كانت عائلة الزّليطني الّتي استقرّت في جربة، قد ولع أبناؤها بالمعرفة وطلب العلم، حيث كان الاخوة الثّلاثة فتحي وعلي وحفظي من التّلاميذ البارزين في حومة السوق بجزيرة جربة، وكان لتشجيع والدهم محمد الزّليطني الاثر البالغ في مواصلة تعليمهم[134] وكانت اتّجاهات الاخوة الثّلاثة في الحياة العمليّة مختلفة، إذ كان علي له اهتمام بالغ، بالأمور السياسيّة، أمّا فتحي فكان اهتمامه باللّغة العربيّة، والخطّ العربي، حيث كان من أبرز الفنّانين في تونس في مجال الخطّ العربي، أمّا حفظي فقد دخل مجال التّدريس، واهتمّ بالأدب، والإنتاج الإذاعي، وله العديد من البرامج الإذاعية، في إذاعة تونس حتى وقتنا الحاضر.

---

(129) أ.و.ت. س.أ. صندوق 6. ملف 37.

(130) يلقب الولي سيدي عبد السلام الأسمر بشائب الذرعان نسبة إلى الشيب الذي كان يكسو ذراعيه، ولهذا الولي مريدوه في بعض الأقطار العربية ومن بينها تونس، حيث يوجد في مدينة تونس احدى الزوايا العتيقة التي تعرف بزاوية سيدي عبد السلام.

(131) هنريكو دي أغسطيني **نفس المصدر** ص 210.

(132) **نفس المصـــدر**

(133) أبو القاسم ابراهيم **نفس المصـــدر**.

(134) ورد ذلك في الجلسة التي عقدتها مع الأستاذ حفظي الزليطني شقيق المناضل علي الزليطني.

لقد تفاعل علي الزّليطني مع الأوضاع السّياسيّة المزرية التي كانت تعيشها تونس في ظلّ الإستعمار الفرنسي، لذلك كان اتّجاهه منصبا على العمل السّياسي والحزبي، والتّحريض على المقاومة الوطنيّة ضدّ الإحتلال الأجنبي.

جاء في شهادة المناضل (أحمد الزّمني) أحد رفقاء علي الزّليطني، والّذين عرفوه عن قرب :[135]

«مَن مِنْ جيل الأربعينيّات والخمسينيّات لا يعرف المرحوم علي الزّليطني، وأيّ مكان من أنحاء البلاد — من أقصاها إلى أقصاها — لم يزره علي الزّليطني ولم يخطب به، وأي سجن أو معتقل لم يستضف المرحوم علي الزّليطني منذ سنة 1938».

فإذا كنا معشر الدستوريّين أسندنا لقب الرئيس الجليل للدّكتور محمود الماطري والمجاهد الأكبر للزّعيم الحبيب بورقيبة والزّعيم الكبير للأستاذ صالح بن يوسف وفيلسوف الشّباب للأستاذ الطّاهر صفر وزعيم الشّباب للأستاذ علي البلهوان، فإنّه يحقّ لنا أن نسند لقب «قائد النّضال الحزبي» لأخينا المأسوف عليه علي الزّليطني، نظرا لما اتّصف به من خصال أهّلته لقيادة حركة كفاح الحزب خلال ثلاثة عقود.

عرفت المناضل علي الزليطني إثر الحرب العالمية الثانية بعد خروجه من المعتقل، لما كان حزب الدستور الجديد محجّرا والبلاد ترزح تحت سيطرة الحكم العسكري، فكان عملنا في البداية يشمل الدستوريين وتنظيم حركة الاتصال بهم سواء بالعاصمة أو بداخل البلاد وعقد الاجتماعات السّرية بمنازل المناضلين، وربط الصلة المباشرة مع الديوان السياسي للحزب الذي كان يقود الحركة من الخفاء.

ولمّا انتابت البلاد التونسية حالة من القحط والمجاعة تضرّر من جرّائها الجزء الأكبر من الشعب، اغتنم حزب الدستور الجديد هذا الوضع للتشنيع بسياسة التفقير التي يتّبعها نظام الحماية وقرّر أن يتولّى الدستوريون تكوين لجان إغاثة وإسعاف للمواطنين المتضرّرين فكان علي الزليطني المنسّق لعمل هذه المنظّمة بإشراف الأستاذ الهادي نويرة، وقد طاف المرحوم البلاد شرقا وغربا للتحريض على جمع التبرّعات وإعانة المعوزين وللتنديد بالسياسة الاستعمارية التي أدّت إلى تفقير الشعب وتجهيله، وقد كان لهذا الدور أعظم الأثر لدى الجماهير التي التفّت حول الحزب ودخلت أفواجا في صفوف الشعب الدستورية في كامل أنحاء البلاد.

ومن أبرز ما خطّط المرحوم لمشاغبة أعوان الأمن الفرنسيين إشرافه ليلة مؤتمر ليلة القدر على عشرات الاجتماعات الدستورية من مختلف الشعب تضليلا لأولئك الأعوان حتى ينعقد المؤتمر بسلام وتتحقّق منه وحدة الشعب، وتصدر حكمها على نظام الحماية، وقد لعبت

---

(135) صحيفة الصباح التونسية بتاريخ 1988/10/5.

جامعة تونس الدستورية بإشرافه الدور الكبير من تركيز الحزبية في نفوس الشباب وتعميق روح الوطنية لدى الشعب وإذكاء حقده على النظام الاستعماري فكانت جولاته طول البلاد وعرضها وخطاباته الحماسية وتوجيهاته السديدة تجد صداها في كل مكان.

وفي هذا الصدد أشرف المرحوم على تأسيس أوّل مدرسة حربية لجامعة تونس تخرّج منها الجيل الذي خاض المعركة الحماسيّة سنة 1956 والذي أعطى أروع الأمثلة في ميدان البطولة والفداء والاستشهاد أمثال شهداء السيجومي بتونس العاصمة كما كان له الفضل في جمع شتات الشباب الطالبي الزيتوني والمدرسي الذي ساهم بقسط وافر من معركة التحرير ودخل السجون والمنافي فرِحًا مبتسما.

وقد كان المرحوم هو المخطّط والساهر على تنفيذ أعمال المقاومة السرية والمظاهرات الكبرى التي عمّت مدن البلاد جميعا من سنة 1952 إلى سنة 1954، ولمّا انتقل إلى الشقيقة ليبيا كان المشرف على تدريب وتكوين العصابات المسلّحة التي ساهمت في معركة التحرير واستشهد منها الكثير.»

وكان علي الزليطني قد بدأ نشاطه الحزبي في صفوف الحزب الدستوري منذ فترة مبكّرة، حيث كان رئيس الشعبة الدستورية بحومة السوق بجربة[136] سنة 1938.

إن علي الزليطني كان منحازا إلى صالح بن يوسف، ويؤمن بأنّ المطالبة بالاستقلال لا يمكن أن تخضع إلى انصاف الحلول، وقد أكّد السيدان الباهي الأدغم والصادق المقدّم اللذان كانا على معرفة جيّدة بعلي الزليطني، أنّه كان من المناضلين الصادقين، وقد تجشّم المصاعب وعانى من المعتقلات في سبيل حرّية واستقلال تونس[137].

---

(136) KHALED AHMED P. 279

(137) ورد ذلك في الجلسة التي عقدتها مع كلّ من الأستاذ الباهي الأدغم، والأستاذ الصادق المقدّم.

الفصل الثالث

نشاط المهاجرين الثقافي والعلمي

الفصل الثالث
نشاط المهاجرين الثقافي والعلمي

ـ النشاط الثقافي :

من العلامات البارزة في الهجرة الليبيّة أن الهجرة لم تقتصر على شريحة معيّنة من المجتمع لكنّها تميّزت بالتنوّع، وان شكل العمّال العاديّون والفلاحون النصيب الأكبر، الّا أنّ الهجرة شملت كذلك رجل السياسة، والفنّان والأديب، والطالب، والتاجر، والفقيه وإن اختلف هؤلاء في مجالات أنشطتهم الحياتيّة والمهنيّة الّا أنّهم كانوا وحدة لا تتجزّأ أمام قمع السّلطات الايطاليّة وجبروتها، وفي الحروب عادة ما تنتفي الفوارق الاجتماعيّة والوظيفيّة، ويصبح الدّفاع عن الوطن هو القاسم المشترك بين أبناء الشعب الواحد.

والحركة الثقافيّة والأدبيّة في ليبيا تعود إلى أواخر القرن التاسع عشر عندما صدرت صحيفة (الترقي) التي أسّسها محمد البوحيدي، والتي أصبحت بمثابة المنتدى الثقافي الذي يلتقي حوله الأدباء والكتاب أمثال عثمان القيزاني وعلي بن عياد ومحمود ناجي وإبراهيم باكير ومصطفى بن زكري. ورغم ظروف وهموم الحرب الايطالية التي اندلعت سنة 1911 فإنّ النشاط الثقافي ظلّ حيّا برغم ويلات الحرب حيث تأسّس بعد الحرب العالميّة الثانية النادي الأدبي بطرابلس والذي ضمّ ثلّة من الأدباء أمثال علي وأحمد الفقيه حسن وأحمد قنابة، عثمان القيزاني، وكان هذا النادي مقرّا لصحيفة (اللواء الطرابلسي)[1].

ومن خلال هذا النادي كانت تمارس العديد من الأنشطة الثقافيّة والأدبيّة ففي مجال الموسيقى كان الملحّن جمال الدين الميلادي، ثمّ برز من خلال هذا النادي موسيقيّون آخرون منهم عارف الجمل وعلي الحداد وعلي الشعالية، ومن المسرحيّين الذين برزوا من خلال هذا النادي محمد حمدي وأنور الطّرابلسي، ومن الشعراء والكتاب، أحمد الشارف وأحمد رفيق المهدوي وإبراهيم الأسطى عمر والطاهر الزاوي.

(1) د. الفقيه أحمد إبراهيم (الثقافة والفن في إطار الجماهيريّة) **في مجلّة اليوم السّابع**، أكتوبر 1989.

وكانت الساحة الليبيّة قد شهدت مولد العديد من الصحف منذ مطلع هذا القرن وعلى وجه التحديد بعد صدور الدستور العثماني الجديد سنة 1908 الذي منح حرية التعبير، ومن هذه الصحف، صحيفة «العصر الجديد» لصاحبها محمد البارودي، وصحيفة «الكشاف» محمد النائب[2] وصحيفة «أبو قشة»[3] لصاحبها الصحفي التونسي الهاشمي المكّي أبو قشّه[4] وصحيفة «الرقيب» لصاحبها محمود نديم بن موسى، وصحيفة «المرصاد» لصاحبها أحمد الفساطوي، وقد ركّزت هذه الصحف نشاطاتها على فضح المخطّطات الايطاليّة والتنديد بالسياسة الاستعماريّة التي ترمي إليها إيطاليا.

النشــاط الصحفــي :

كانت أفواج المهاجرين قد ضمّت العديد من المثقّفين ذوي الأقلام الجيّدة، وان كانت نسبة المهاجرين المثقّفين إلى تونس أقلّ بكثير من نسبة الذين توجّهوا إلى كلّ من مصر والشّام[5] لاعتبارات كثيرة منها أن الهجرة إلى الشّام ومصر تتطلّب أعباء ماليّة أكبر وكثير من المثقّفين كانوا قادرين على تحمّل تلك الأعباء الماليّة عكس العامل والفلاح البسيط، إضافة إلى أن الساحة الفكريّة والثقافيّة في مصر والشّام كانت أكبر وأكثر إزدهارا من الساحة الثقافيّة في تونس بسبب الاستعمار الفرنسي المهيمن على تونس.

إنّ الاحتلال الأجنبي، وسياسة الاستعمار من العوامل المؤثّرة على الحياة الفكريّة في أي بلد، ولا يمكن للثقافة أن تنمو وتزدهر في ظلّ الاستعمار الأجنبي، وذلك كان سبب نكسة الثقافة في ليبيا[6] من جرّاء سياسة القمع والجور التي مارستها ايطاليا ضدّ الشعب الليبي منذ سنة 1911.

وفي الحروب عادة ما يركن القلم إلى الرّاحة، ويجد الكاتب والأديب نفسه مضطرّا إلى إمتشاق السّلاح دفاعا عن الوطن شأنه في ذلك شأن أي مواطن، باعتبار أن الدّفاع عن الوطن فريضة مقدّسة يتقاسمها جميع أبناء الوطن الواحد، وهذا ما عبّر عنه أحد المهاجرين

(2) محمد النائب هو ابن المؤرّخ الطرابلسي أحمد النائب صاحب كتاب «المنهل العذب في اخبار طرابلس الغرب».

(3) المصراتي علي مصطفى **رسائل أحمد القليبي بين طرابلس وتونس**، الدار العربية للكتاب 1976 ص 34.

(4) الهاشمي المكّي أبو قشّه، صحفي وكاتب تونسي عاش مهاجرا بطرابلس وقد عاش فترة انتهاء التواجد العثماني بطرابلس وأصدر جريدته أبو قشّة. يقول فيه الأستاذ علي مصطفى المصراتي «الهاشمي المكّي كتب في قضيّة الشعب وناضل بصحيفته وقلمه ولسانه وجابه في صراحة عوامل الاستعمار وعملاء الاستعمار والتّخلّف والفساد كلاهما كان في كلامه ناصحا مرشدا متجاوبا مع أبناء شعبه».

(5) بن موسى تيسير **نفس المصدر** ص 168.

(6) الفقـ ، أحمد ابراهيم **نفس المصدر**.

الليبيّين[7] بجريدة (النهضة التونسيّة) بتاريخ 1929/9/25. (فما غمست القلم حتى علا الضجيج وعمّ الضجيج ونادى البشير بخروج الأعداء من بلادهم نحونا للحرب، فلم أجد بدّا من ترك يراعي وقرطاسي، والإسراع بسلاحي إلى ملاقاة السعادة أو الشهادة مردّدا في قلبي[8].

في امتطـاء المجد في نيـل الهمـم   قم بأمر السيـف لا أمـر القلـم
وإذا ما السيـــف أدّى حقّـــه   أرجـع الحكـم إلى أمـــر القلـم)

لقد تركّزت مساهمات الكتاب والمثقّفين الليبيّين الذين فتحت لهم الصحافة التونسيّة[9] صدرها الرحب برغم الجوّ الذي تعيشه الصحافة التونسيّة آنذاك والمحفوف بالمخاطر المسلّطة من قبل الاستعمار الفرنسي، تركز على معالجة قضيّة الاستعمار الايطالي في ليبيا، وكشف الظروف المأساوية التي يعيشها الشعب اللّيبي الذي سلبت أملاكه، وأجبر على الهجرة خارج دياره.

إنّ النظام الفاشي الذي خلق لنفسه العديد من الأبواق الدعائيّة في مختلف الساحات العالمية، كان يتطلّب جهدا إعلاميّا مضنيا من قبل اللّيبيّين لمواجهة تلك الدّعاية، وكشف الحقائق أمام الرأي العام العالمي، ولا يتأتى ذلك إلّا بتكاتف كل الأقلام القادرة على العطاء لفضح وتعرية النظام الفاشي.

ومن أهمّ الكتاب الليبيّين الذين ساهموا بأقلامهم في نشر المقالات التي تخدم قضية بلادهم على صفحات الجرائد التونسيّة[10].

1 ـــ محمد عباس المصراتي
2 ـــ محمد توفيق الغرياني
3 ـــ أحمد زارم الرحيبي
6 ـــ محسن ظافر المدني
7 ـــ محمد الصادق المحمودي[11]
8 ـــ المنصف الطرابلسي[12]

(7) نظرا للظروف الصعبة التي كان يعيشها المهاجرون اللّيبيّون في ظلّ الاستعمار الايطالي في الدّاخل والخارج، كان الكُتّاب اللّيبيّون يكتبون مقالاتهم بالصحافة التونسيّة تحت أسماء مستعارة مثل (ابن ذات الرمال).

(8) الجابري محمد صالح **يوميات الجهاد اللّيبي في الصحافة التونسية 1912 - 1932**، الدار العربية للكتاب ـــ الجزء الثاني 1982 ص 628.

(9) في مقال نشره محمد عبّاس عضو اللّجنة التنفيذيّة للجاليات الطرابلسيّة البرقاويّة بتونس في صحيفة لسان الشعب بتاريخ 1931/1/7، أشار فيه إلى المساعدة التي وجدها الكتّاب اللّيبيّون من قبل أصحاب الجرائد التونسية والمصريّة والسوريّة، وهو جهد مكّنهم من نشر مقالاتهم السياسيّة.

(10) إنّ أسماء هؤلاء المثقّفين الواردة تحت أرقام 1 و 3 و 5 و 6 هم من المؤسّسين لجمعيّة الدّفاع الطّرابلسيّة ـــ البرقاوية بتونس، وقد ناضلوا كثيرا من أجل تحقيقها.

(11) محمد الصادق المحمودي، ينحدر من المحاميد الذين هاجروا إلى تونس خلال القرن التاسع عشر، وقد تولّى نشر جريدة المعارف سنة 1324هـ / 1907م.

(12) المنصف الطّرابلسي، أحد المهاجرين اللّيبيّين، تولّى خطّة مدير جريدة المعارف، بعد أن أعيد صدورها سنة 1373هـ / 1954م.

4 ــ عبد المعطي الطرابلسي
5 ــ محمد شكري
9 ــ إبراهيم الورفلي[13]

النشاط الفنّي

من الأسماء اللّيبيّة التي برزت داخل السّاحة الفنّية التونسية، والتي لا تزال أعمالها الفنّية الخالدة حتى يومنا هذا هو الفنّان والملحّن (بشير فهمي)[14] الذي كان صاحب برنامج يقدّم بالاذاعة التونسية كلّ يوم خميس، كما قام بتأليف العديد من الأغاني لفنّانين تونسيّين منهم شافية رشدي، حسيبة رشدي، الهادي الجويني وغيرهم من الفنانين من تونس وليبيا، وبعد الحرب العالمية الثانية استطاع أن يخلق لنفسه مصنعا لعلب (الندى)[15]. وتنقّل بين الجزائر والمغرب، وباريس في أعمال فنّية، حيث قام بتسجيل أغانيه على اسطوانات.

أمّا في مجال الموشّحات الأندلسيّة، والمألوف، فقد برز أحمد شاهين[16] الذي كان أحد العناصر الهامّة في فرقة المألوف بالاذاعة التونسيّة، وبعد عودته إلى ليبيا أصبح ضمن فرقة الموشّحات والمألوف بالاذاعة اللّيبيّة.

ومن اهتمامات المهاجرين الليبيّين بالمجال الفنّي أن بعضهم تخصّص في العمل في إطار مجال شؤون الفن من ذلك أن محسن ظافر المدني كان يدير محلّا لبيع الآلات الموسيقيّة والصوتيّة في (باب سويقة) بمدينة تونس[17] وكان إلى جانب ذلك يقوم بنشاطه السياسي لخدمة قضية بلاده، ممّا جلب إليه انتباه المخابرات الفرنسية في أثناء جولاته في بعض المناطق التي يوجد بها مهاجرون ليبيّون[18].

---

(13) إبراهيم الورفلي، ينحدر من قبيلة ورفلّة، وقد تولّى إدارة جريدة مرشد قدماء المحاربين سنة 1355 هـ 1936 م.

(14) الفنّان بشير فهمي (1907 - 1971) اسمه الحقيقي (بشير فحيمة)، وقد قام بتغيير اسمه لغرض التّستّر حيث أنّه كان تحت المراقبة من قبل الاستعمار الايطالي، وقد مكث في تونس 25 سنة، حيث عاد إلى ليبيا في شهر أكتوبر سنة 1947، وهو فنّان أثرى السّاحة الفنية في تونس وليبيا بما قدمه من أعمال فنية جيّدة، من أغانيه الخالدة التي مازالت تبثّ في الاذاعة التونسيّة (كيف تجينه) التي يغنيها الفنّان محمد الجمّوسي، وكان يشرف على مجلّة هنا ليبيا.

(15) ورد ذلك في مداخلة الحبيب شيبوب في برنامج (مشوار الصّباح المنوّع) الذي يقدّم من الاذاعة اللّيبيّة بتاريخ جوان / يونيه 1988.

(16) أحمد شاهين أحد المهاجرين اللّيبيّين، وينحدر من أسرة لها باع طويل في دنيا الموشّحات الأندلسيّة والمألوف بمدينة طرابلس.

(17) أ.و.ت س.أ صندوق 280. ملف 1.

(18) أ.و.ت، نفس الملف.

ومن المهاجرين الليبيّين الذين كان لهم إشعاع في مجال المدائح والأذكار الشيخ (حسن عمران)[19] الذي كان يتمتّع بموهبة وصوت جميل في الانشاد شدّ إليه كل من استمع إليه، وكان مقرّه الرئيسي في زاوية سيدي بن عروس في تونس العاصمة، لكنّه كان كثير التّنقل داخل البلاد، حيث يقيم الحفلات التي يقدّم فيها التواشيح الدينيّة والمدائح[20].

إنّ تقارب وتشابه الفنّ في كلّ من تونس وليبيا قد أفسح المجال أمام الفنّانين اللّيبيّين لمزيد من الخلق والابداع، وهو ما جعل ما يقدّمه هؤلاء الفنّانون ليس بغريب على شعب تونس، ويزداد ذلك أكثر وضوحا في مجال الفنون الشعبيّة والرّقص، وهنا تبرز شخصيّة نسائيّة عرفتها السّاحة الفنية التونسية، وهي الفنانة (نجمة الطّرابلسيّة)[21] التي كانت رفيقة للفنانة التونسية (صليحة)، وقد عملت نجمة الطّرابلسيّة بالاذاعة التونسيّة، وبفرقة الرشيدية[22].

ومن العناصر اللّيبيّة التي لا يزال لها دور مهم في العمل الإذاعي بالإذاعة التونسية (حفظي الزليطني)[23] الذي له العديد من المؤلّفات، وهو من المنتجين بالاذاعة التونسيّة، ومن أشهر أعماله المسلسل التمثيلي (برق الليل)[24] وهناك عناصر أخرى كثيرة بالاذاعتين المسموعة والمرئيّة التونسيّة ذات نسب ليبي، تعمل في عدّة أعمال إذاعيّة منها الهندسة الاذاعيّة، والتصوير والتنشيط الاذاعي.

دور الصحافة التونسية في معاضدة حركة الجهاد اللّيبي

كان للصحافة العربيّة الصادرة في تونس دورها في مؤازرة القضيّة اللّيبيّة، وقد أحسّ المهاجرون اللّيبيّون بأهمية الدور الذي تلعبه الصحافة التونسيّة، لذلك لم يقتصر نشاطهم على الجانب السياسي، بل حاولوا الاستفادة من الجانب الاعلامي في فضح المؤامرة الفاشستية، والتنديد بالأساليب الوحشيّة المسلّطة على الشعب اللّيبي، وقد تفاعلت الصّحافة التونسيّة مع

---

(19) الشيخ حسن عمران (1880 - 1949)، من مميّزاته أنّه كان يقيم حفلاته بدون مقابل مالي، وقد وافته المنيّة في باجة بينما كان يقيم حفلا هناك، وقد نقل جثمانه إلى تونس حيث دفن بمقبرة الزّلاج.

(20) ورد ذلك في رواية الأستاذ محمد البشير بن فضيلة الشيخ محمد الصالح بن مراد شيخ الاسلام (ينظر الوثيقة رقم 29) بالملحق الخاصّ بالوثائق.

(21) الفنّانة نجمة الطّرابلسيّة تجيد الغناء والرّقص، وهي إحدى خرّيجات المعهد الرشيدي بتونس، بعد عودتها إلى ليبيا عملت بالاذاعة اللّيبيّة، وكانت من العناصر المهمّة في برنامج (فن الشعب) الذي تقدّمه الاذاعة اللّيبيّة.

(22) من خلال المقابلة التي اجريتها مع الفنّان الشعبي اسماعيل الحطّاب أفادني بأنّ الفنّانة نجمة الطّرابلسيّة عنصر جيّد ساهمت بكلّ جدّية في خدمة الفن بتونس وحافظت على طابعها الشعبي.

(23) حفظي الزليطني هو شقيق المناضل المرحوم علي الزليطني الذي كان له دور هام في حركة المقاومة في تونس، ومن أبرز المناضلين في صفوف الحزب الحر الدستوري التونسي، وهما ينحدران من بلدة زليطن بليبيا.

(24) ورد ذلك في المقابلة التي أجريتها مع الأستاذ حفظي الزليطني بتاريخ 1990/5/15 بمدينة تونس.

حركة الجهاد في ليبيا منذ بداية الغزو الايطالي لليبيا سنة 1911، وتعتبر صحيفة (الاتحاد الاسلامي) التي أسّسها علي باش حانبة والشيخ عبد العزيز الثّعالبي سنة 1911 من المنابر المهمّة التي دافعت عن قضية الشعب اللّيبي بكلّ قوّة. وان لهذه الصحيفة المتميّزة صدى واسع في الأقطار الاسلاميّة التي تفاعلت مع قضيّة الشعب اللّيبي، وقد تلقّى علي باش حانبة رئيس تحرير هذه الصحيفة رسائل شكر على الموقف النضالي لهذه الصحيفة من كل من طرابلس، الجزائر، مصر والهند[25] وانطلاقا من أهمية الصحافة ودورها المتميّز في تنوير الرّأي العام، ودحض الدّعاية الايطالية، تولّى بعض المهاجرين الذين لهم إمكانات إجادة الكتابة الصحفية، كتابة بعض المقالات على صفحات الجرائد التونسيّة، ومن أهمّ هؤلاء عبد المعطي الطرابلسي ومحمد توفيق الغرياني، وقد كتب عبد المعطي الطرابلسي على إثر حملة الابادة والتهجير التي مارسها (غراتسياني) ضدّ الشعب اللّيبي مقالا بجريدة (لسان الشعب) بتاريخ 1931/5/6، تحت عنوان (إيطاليا تجلي المسلمين عن ديارهم : عشرة آلاف من المهاجرين)[26] جاء فيه «بواسطة الصحافة الاسلامية التونسيّة، ربّما لا يعرف لحدّ الآن إخواننا مسلمي تونس أن عشرة آلاف نفس من إخوانهم مسلمي طرابلس، بين صبية ونساء وشيوخ، وبعض ما أبقته حرب عشرين سنة من الشبان والكهول جهادا في سبيل الله وابتغاء مرضاته في الدفاع عن بيضة الاسلام وأرض الاسلام، قد نزلوا أرضهم ملتجئين إليها من عسف الايطاليّين المغيرين عليهم ومحاولة إبادتهم بالقتل والتشريد، وأنّ سبعة آلاف آخرين نزلوا أرض الجزائر بعد أن فقدوا قوّة المقاومة».

تعتبر صحيفة (الزهرة) من أهمّ الصحف التونسيّة التي تبنّت بكلّ جرأة نشر أخبار جهاد الشعب اللّيبي، والدّفاع عن قضيّته العادلة على مدى فترة طويلة من سنة 1911 إلى سنة 1924، وكانت هذه الصحيفة قد دخلت في حرب كلاميّة مع الجريدة الايطالية (لونيوني) سنة 1924 التي قامت بحملة مسعورة لتبرير موقف الحكومة الايطالية في انتزاع الأرض اللّيبيّة بالقوّة، وتشريد سكّانها خارج ديارهم.

وبهذا الأسلوب وهذا التوجّه عبّرت الصحافة التونسيّة عن تفاعلها مع قضايا أمّتها العربية والاسلاميّة (ان الصحافة التونسية قد تابعت حركة الجهاد اللّيبي منذ اندلاع الشرارة الأولى فيه حتى آخر مرحلة فيه، بما لم تستطع أن تقوم به الصحافة العربية في المشرق التي كانت مشغولة بقضاياها الخاصّة)[27].

(25) العجيلي التليلي **الطرق الصوفيّة والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسيّة 1881 - 1939** شهادة التعمّق في البحث كلية العلوم الانسانية والاجتماعيّة، تونس 1987 ص 181.

(26) الجابري محمّد صالح **نفس المصدر** ص 640.

(27) ورد ذلك في الكلمة التي قدم بها الاستاذ خليفة التليسي عمل الاستاذ محمد صالح الجابري (يوميات الجهاد اللّيبي في الصحافة التونسيّة سنة 1911) الجزء الأوّل.

وأهمّ الصحف التونسيّة التي فتحت صفحاتها للأقلام اللّيبيّة، وكذلك الصحف التي أعطت عناية، واهتماما، خاصّا بقضيّة الشعب اللّيبي[28] :

- جريدة المعارف، صدرت سنة 1907، وأعيد صدورها سنة 1954 لصاحبها محمد الصادق المحمودي.
- جريدة النهضة، صدرت سنة 1923، لصاحبها الشاذلي القسطلي.
- جريدة الزهـرة، صدرت سنة 1884، لصاحبها عبد الرحمان الصنادلي
- جريدة العهد الجديد، صدرت سنة 1920، لصاحبها أحمد حسين المهيري
- جريدة الاتحاد الاسلامي، صدرت سنة 1909، لصاحبها علي باش حانبة والثعالبي
- جريدة الأمّة، صدرت سنة 1921، لصاحبها الحاج علي بن مصطفى
- جريدة الصواب، صدرت سنة 1904، لصاحبها محمد الجعايبي.
- جريدة المشير، صدرت سنة 1911 لصاحبها الطيّب بن عيسى
- جريدة مرشد الأمّة، صدرت سنة 1906، لصاحبها سليمان الجادوي
- جريدة مرشد قدماء المحاربين، صدرت سنة 1936، لصاحبها إبراهيم الورفلي[29].

وأولت الصحافة التونسية عنايتها بمتابعة أخبار الحرب الجارية في ليبيا سنة 1911 فأرسلت لهذا الغرض بعض مراسليها إلى طرابلس لشدّ أزر المجاهدين، ولتغطية أخبار المعارك على أرض الواقع، ولتزويد وسائل الاعلام العالميّة بحقيقة الأعمال الاجراميّة التي تمارسها إيطاليا ضدّ الشعب اللّيبي، ومن هؤلاء المراسلين : البشير الفورتي[30] ومحمد عز الدين القـلال، ومحمد الصالح الشواشي[31].

تأبيـن الشهيـد عمـر المختـار :

على اثر استشهاد الشيخ عمر المختار تنادي ثلّة من المثقّفين التونسيّين واللّيبيّين لإقامة حفل تأبين، وقد حضر حفل التأبين جمع من رجال الفكر والصحافة، وأفراد الجالية اللّيبيّة،

(28) الجابري محمد صالح **نفس المصدر** ص 651 و 659.

(29) بن قفصية عمر **أضواء على الصحافة التونسيّة 1860 - 1970** دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس 1972 ص 198.

(30) بشير الفورتي (1881 - 1954) كاتب وصحفي تونسي، أسّس جريدة التقدّم سنة 1907، سافر سنة 1911 إلى ليبيا في بعثة إعلاميّة، وفي سنة 1912 سافر إلى القاهرة ثمّ إلى اسطنبول حيث أسّس هناك جريدة الهلال العثماني.

(31) محمد الصالح الشواشي، صحفي تونسي، عمل مراسلا سنة 1911 في المنطقة الشرقيّة من ليبيا للصحافة المصريّة (الاهرام) و (المؤيّد).

وقد تليت آيات الذّكر الحكيم ترحّما على روح الشّهيد، ألقى بعدها عمر بن قفصية[32] كلمة بالمناسبة، وتناول الكلمة بعد ذلك مجموعة من الخطباء من التونسيّين واللّيبيّين وهم :

مصطفى بن شعبان، الطيّب بن عيسى، محمد شكري، محمد عبّاس المصراتي، محمد محيي الدين القليبي، محمد الغربي، عبد الله مصباح، محمد كركر، محمد الصالح النيفر، وقد ركّز الخطباء على الجريمة النّكراء التي اقترفتها إيطاليا الفاشستية وأبرزوا الدّور النضالي المتميّز للفقيد في حركة الجهاد الليبي[33].

وفي السّنة الموالية 1932، أقام المهاجرون اللّيبيّون (بمدينة تونس) حفل تأبين كبير لاحياء الذكرى الأولى لاستشهاد الشيخ عمر المختار، وقد تناولت هذا الحدث الصحافة التونسيّة حيث نشرت صحيفة (لسان الشعب) الصادرة بتاريخ 19 أكتوبر 1932 تحت عنوان «الجالية الطرابلسيّة البرقاوية تحيي ذكرى عمر المختار» جاء فيه «يوم الجمعة 12 جمادى الثانية إثر صلاة العصر، أقامت الجالية الطرابلسيّة البرقاوية بالقطر التونسي حفلة لإحياء ذكرى استشهاد الزعيم الشهيد مولانا عمر المختار بمناسبة مضي عام على حادث إعدامه الدّال على الهمجيّة المتناهية والوحشية المجسّمة لأنّ جميع الشّرائع السماويّة والقوانين الوضعيّة لا تسمح بإعدام واحد من اثنين : إمّا أسيرا أو طاعنا في السّن، وقد اجتمعا معا في شخص الزعيم الرّاحل عمر المختار»[34].

لقد ساهمت هذه التظاهرة في إبراز دور الشهيد عمر المختار النضالي في قيادة حركة الجهاد بليبيا ووقوفه بكل شجاعة أمام القوات الايطاليّة التي تمتلك أحدث الأسلحة المتطوّرة، والأعداد الكبيرة من المقاتلين.

وكانت التظاهرة أيضا فرصة التقاء مجموعة كبيرة من المهاجرين الليبيّين مع أشقّائهم التونسيّين المتحمّسين للقضيّة اللّيبيّة. وكانت التّظاهرة قد نظّمت من قبل بعض (المثقّفين) اللّيبيّين والتونسيّين، أذكر منهم من تونس : محمد محيي الدّين القليبي وعمر بن قفصيّة، ومن المهاجرين اللّيبيّين محمد شكري، ومحمد عباس المصراتي.

(32) عمر بن حمدة بن علي قفصيّة، مثقّف وأديب تونسي، ولد بتونس العاصمة سنة 1893، عاش يتيما منذ السّنة السادسة من عمره، تلقّى دروسا غير منتظمة بالزّيتونة، بعد أن حفظ نصيبا من القرآن الكريم، دخل المدرسة الخلدونيّة، وعندما بدأ الغزو الايطالي لليبيا سنة 1911 كان من بين المتطوّعين لمناصرة المجاهدين اللّيبيّين، وقد تعرّض للسّجن من قبل السّلطات الايطاليّة، وهو واحد من رجال الحركة الوطنيّة في تونس، ومن المؤسّسين للحزب الحرّ الدّستوري التونسي سنة 1920، ومن أهمّ مخطوطاته، ارتسامات حاج، من ثمرات المطالعة، المشهور من السنين والشهور، فوارق العادات في بعض المخلوقات.

(33) الجابري محمد صالح **نفس المصدر** ص 649.

(34) الجابري محمد صالح **نفس المصدر** ص 649.

وإذا كان المهاجرون اللّيبيّون المثقّفون قد قاموا بدورهم الطلائعي برغم كلّ العراقيل في التّصدّي للدعاية الايطاليّة، وجمع الصفوف، وإجراء جميع الاتصالات على مختلف المستويات لخدمة القضيّة اللّيبيّة، فإنّ كلّ أفراد الجالية لم يغيبوا عن السّاحة بل كان تواجدهم حسب ظروفهم ومواقعهم في الأنشطة الحياتيّة المختلفة، الثقافيّة والاجتماعيّة، والمهنيّة، والتعليميّة.

النشـــاط التّعليمـــي :

ظلّ التعليم في ليبيا خلال عهد الاستعمار الايطالي، يعتمد بالدّرجة الأولى على (الكتاتيب) والزوايا المنتشرة في المدن والأرياف، وكانت هذه الوسيلة تمثل فرصة التعليم الوحيدة أمام المواطن اللّيبي من خلالها يحفظ القرآن، ويتعلّم اللّغة العربيّة، بينما كانت المدارس النظاميّة مخصّصة لأبناء الجالية الايطاليّة، وحتى الذين أتيحت لهم الفرصة من اللّيبيّين لدخول تلك المدارس، فإنّهم سرعان ما يحرمون من مواصلة تعليمهم بمجرّد حصولهم على الشّهادة الابتدائيّة باستثناء القلّة القليلة التي سارت في ركب السياسة الايطاليّة، والتي سمح لها بتمكين أبنائها من مواصلة التعليم في مرحلة ما فوق الابتدائي[35].

وفي تقرير أعدّته مجلّة (عيون العالم) الفرنسيّة من خلال استطلاع.قام به أحد مراسليها حول الأوضاع الجارية في ليبيا سنة 1939 في عهد الاستعمار الايطالي، لاحظت أن التعليم يخضع للهيمنة الايطاليّة، وأن الأطفال اللّيبيّين في المدارس يعاملون بطريقة تختلف كثيرا عن المعاملة التي يلقاها أبناء الجالية الايطاليّة في طرابلس، ومن الأساليب التي عملت الادارة العسكريّة على تطبيقها (طلينة) أبناء المدارس، وتعويدهم على إعطاء السلام بالطريقة الرومانيّة، حتى يشبّ هؤلاء الأطفال، وقد انصهروا في بوتقة الدعاية الفاشستيّة[36].

وفي الوقت الذي كان فيه المعلمون العرب بالمدارس الابتدائيّة يركزون جهدهم على استغلال الفرصة لتقديم ما يمكن تقديمه لأبناء وطنهم من معرفة وعلوم، كان المعلّمون الايطاليّون يعملون على بثّ الدّعاية الايطاليّة بالمدارس، وتوجيه شخصية التلميذ إلى اعتناق المبادىء التي تخدم مصلحة الوجود الإيطالي، وليصبح التلميذ مشبعا بالولاء لايطاليا[37].

في هذه الظروف الصعبة كان للمدارس القرآنية المتمثّلة في الكتاتيب[38] دورها في احتضان أبناء المسلمين، وتعليمهم مبادىء القراءة والكتابة وحفظ القرآن، والكتّاب عادة ما

(35) يحيى عمر «المدرسة الاسلاميّة العليا» **في مجلّة الشهيد** العدد 4 - 1983 منشورات مركز الجهاد طرابلس ص 263.

(36) **Les Yeux du Monde** 12ème Année N° 564 4/1/1939

(37) رواية الشيخ محمد الثابت عن **مجلّة الشهيد** عدد (4) منشورات مركز الجهاد 1983.

(38) في مدينة طرابلس كانت توجد مجموعة من الكتاتيب المشهورة بأحياء المدينة، والتي كان لها إشعاع في تخريج العديد من الطّلبة الذين انتقل بعضهم إلى الخارج لمواصلة دراستهم في جامع الأزهر وفي جامع الزيتونة منها :

يكون ملحقا بالمسجد أو الزّاوية، ومن هذا المنطلق ارتبط هذا النّوع من التعليم عبر العصور في البلاد الاسلامية بالجانب الرّوحي، وظلّ وثيق الصّلة بالمسجد وكذلك الزّوايا التي عادة ما تكون مقرّا لضريح أحد الأولياء، ويكون التعليم فيها أكثر ملاءمة للطلبة، باعتبار أن لكلّ زاوية إيرادا معيّنا متأتّيا من (الأحباس) والهبات، يمكنها من توفير ظروف الاقامة لطلّابها، والتعليم في الزّوايا أكثر تنظيما من الكتّاب (فتعليم الزّوايا هو أرفع درجات من تعليم الكتّاب وأقل درجة من تعليم المدارس)[39].

واداة التعليم المستعملة في الكتّاب هي الألواح التّقليديّة التي يكتبون عليها بالمداد الخاصّ، وأقلام القصب، ومهمّة الفقيه تتطلّب الصّبر والمعاناة، ذلك أنّ الكتّاب يضمّ طرفي نقيض من حيث السّن والمستوى التعليمي، فأعمار التّلاميذ في الغالب تتراوح بين الخامسة والسادسة عشرة[40] ومن حيث المستوى التعليمي بين المبتدىء وبين من يحفظ نصف القرآن، ومن هنا تصبح مهمّة الفقيه التوفيق بأسلوبه الخاص وبصبره وجلده بين هذه المتناقضات التي غالبا ما تكون داخل غرفة أو خلوة واحدة.

ومن المعاهد الدّينيّة في مدينة طرابلس معهد أحمد باشا[41] وهو يمثّل التعليم المتوسّط، ولعب دورا مهمّا في تخريج أفواج من ذوي التعليم المتوسّط، الذين انتقل بعضهم لمواصلة تعليمهم العالي بالأزهر في مصر والزيتونة بتونس، والدراسة في معهد أحمد باشا تتناول العديد من المواضيع الفقهية والعلمية منها، اللّغة والأدب، والتفسير والحديث، والجغرافيا والتاريخ[42].

ومن الزوايا المهمّة في ليبيا، زاويتا المحجوب بمصراتة، وسيدي عبد السلام الأسمر بزليطن، وقد لعبتا هاتان الزاويتان دورا مهمّا في تخريج فقهاء يحفظون القرآن والفقه (فإنّ خريجي الزّوايا أشباه مبشرين يتنقّلون في الجبال والصّحاري يقومون بالتّعليم في الكتاتيب والوعظ

كتّاب شارع جامع الدروج بالمدينة القديمة.
كتّاب سوق الجمعة.
كتّاب حومة غريان بالمدينة القديمة.
كتّاب باب الحريـــة.

(39) الكعاك عثمان **محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن 16 إلى 19** معهد الدّراسات العربية العالمية القاهرة / 1958 — ص 125.

(40) جوليان شارل أندري **المعمّرون الفرنسيّون وحركة الشّباب التونسي** تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدّار التونسيّة للنّشر والتوزيع ص 87.

(41) أحمد باشا القره مانلي هو أحد أفراد الأسرة القره مانلية التي استمر حكمها في ليبيا من سنة 1711 - 1835، حيث عادت ليبيا بعد هذا التاريخ إلى عهد الحكم العثماني الثّاني.

(42) الكعّاك عثمـان **نفس المصدر** ص 126.

والإرشاد في الجوامع)[43] وكان لخريجي هاتين الزاويتين إشعاع بالبلاد التونسيّة إذ هاجر الكثير منهم إلى تونس ضمن أفواج المهاجرين الذين نزحوا إلى تونس[44].

وكان هؤلاء الفقهاء الذين هاجروا إلى تونس محلّ احترام وتقدير لدى الشّعب التونسي المسلم، نظرا لارتباط ذلك بالجانب الروحي والعقائدي للسّكّان، ولم يجد الفقهاء المهاجرون عناء في البحث عن العمل خاصّة في القرى والمناطق الريفيّة، حيث زاولوا مهنة التعليم من خلال الكتاتيب بالاضافة إلى ذلك كانت لهم وظيفة اجتماعيّة أخرى لدى سكّان الريف وهي مداواة المرضى من خلال (الرقية) وهي كتابة (الأحجبة) وغيرها، والتي كانت تلقى الاستجابة والقبول لدى الأهالي لارتباطها بالجانب العقائدي والديني، وهي طرق عرفها وعاشها المجتمع المغاربي إلى وقت قريب[45].

.ويعود تاريخ الكتاتيب في تونس إلى فترات تاريخيّة موغلة في القدم حيث ساهمت إلى جانب الدّور الرّائد الذي اضطلع به جامع الزيتونة بدور مهمّ شمل كل الجهات في الأرياف والمدن التونسيّة، وقد بلغ عدد الكتاتيب قبل دخول الاستعمار الفرنسي سنة 1881، 1250 (100) بالعاصمة وحدها[46].

وكانت سياسة الاستعمار الفرنسي في تونس والايطالي في ليبيا هي تشجيع التّعليم الديني في المدارس القرآنية والكتاتيب، ومن جهة أخرى وضع العراقيل أمام العرب للدخول للمدارس النّظاميّة.[47]

ان سياسة الاستعمار مبنيّة على استراتيجيّة الاستحواذ على الأرض والعقول معا ولتحقيق ذلك لا بدّ من محاربة أي تقدّم في مجال الثّقافة والتّعليم، وهذا ما جعل الاستعمار يشجّع التعليم في الكتاتيب إدراكا منه أنّ ذلك التعليم محدود ومقصور على الجانب الدّيني، وهو ما يجعل الطّالب يبتعد عن بقيّة المعارف والعلوم الأخرى، إضافة إلى المستوى الهزيل للفقهاء، وهو ما يتيح للمستعمر فرصة الاستقرار، لأنّ التعليم هو المحرّك الأساسي في إيقاظ الشعوب من غفوتها.

---

(43) الكعّاك عثمـان **نفس المصدر** ص 125.

(44) أبو القاسم إبراهيم **نفس المصـــدر**

(45) ورد ذلك في رواية الفقيه أحمد زيدان العريفي أحد المهاجرين الليبيّين بتونس، وهو من أسرة متخصّصة في ميدان الفقه وله شقيقان كانا يدرسان القرآن بصفاقس. (متقاعد) عاد إلى طرابلس سنة 1962.

(46) صحيفة الفجر التونسية العدد الأوّل 1990/4/21

(47) جوليان شارل أندري **نفس المصدر** ص 97.

سُئِلَ عبد الحميد بن باديس[48] ذات يوم من قبل أحد تلاميذه «بأيّ شيء تحارب الاستعمار» فأجابه : «أنا أحارب الاستعمار لأنّني أعلّم وأهذّب، ومتى انتشر التعليم والتهذيب في أرض أجدبت على الاستعمار وشعر بسوء المصير»[49].

وعلى الرغم من الوضعيّة الصّعبة التي كان عليها المهاجرون اللّيبيّون من جرّاء ما سلّطه عليهم النّظام الفاشستي لم ينسوا أهمية التعليم، وكان من أبرز المحرضين على ذلك محمد توفيق الغرياني[50] الذي كتب العديد من المقالات بالصّحافة التونسيّة تحت عنوان «نصيحة طرابلسي لمواطنيه الطرابلسيّين»، وقد جاء في أحد هذه المقالات «...فأسرعوا إلى الأخذ بأسباب التعليم، وعلّموا أبناءكم فما سادت الأقوام والأمم الّا بالتعليم»[51].

وفي منطقة صفاقس إستفاد بعض المهاجرين اللّيبيّين الذين لم تمكّنهم ظروفهم الحياتيّة من التّعليم وذلك بالدّخول في دورة تمّ تنظيمها بأمر قاضي صفاقس لجميع السّكّان المسلمين بمدينة صفاقس سنة 1931[52] وقد بلغ مجموع (الكتاتيب) التي نظّمت بها هذه الدّروس 21 كتّابا.

ويبدو أنّ هذا المشروع يمثّل فكرة متقدّمة لما تنادي به المنظّمة العالميّة للتّربية والثّقافة والعلوم (اليونسكو) منذ سنوات لإقامة برامج لمحو الأمّية في العالم.

الأوضاع المادّية للمدرّسين والفقهاء المهاجرين

كانت وضعيّة المدرّسين الماليّة تختلف باختلاف الجهات التي ينتمون إليها، فمدرّس

(48) عبد الحميد بن باديس (1889 - 1940) من مواليد قسنطينة بالجزائر، تلقّى تعليمه بجامع الزيتونة وجامع الأزهر، وكان أيّام الغزو الايطالي لليبيا سنة 1911 ضمن طلبة الزيتونة، ويعتبر من المناضلين ضدّ الاستعمار الاجنبي الذي ابتليت به الأمّة العربيّة.

قضى ابن باديس 28 عاما في حقل التّربية والتعليم يناضل من أجل نشر العلم والمعرفة بين صفوف أبناء شعبه، ويعمل على خدمة اللّغة العربيّة، وترسيخها تحدّيا للاستعمار الأجنبي ولا سيّما بعد قرار (شوطان) وزير داخلية فرنسا الذي عمل على طمس اللّغة العربيّة والقضاء عليها من خلال قراره الذي أصدره في 8 مارس 1938، الذي ينصّ على أن تكون اللّغة العربيّة لغة أجنبيّة بالجزائر.

(49) الذوادي رشيد **رواد الاصلاح** ط. ثانية مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس 1983 ص 134.

(50) محمد توفيق الغرياني أحد المجاهدين اللّيبيّين الذي جاهد بالسلاح والقلم ضدّ الاستعمار الايطالي، هاجر إلى تونس ضمن المهاجرين اللّيبيّين الذين هاجروا بعد سنة 1913 إثر معركة جندوبة التي وقعت في 23 مارس 1913 والتي رجحت نتائجها الكفّة لصالح الايطاليّين، وفي تونس ساهم بالكتابة في الصحافة التونسيّة، وعاضد حركة جمعيّة الدّفاع الطرابلسيّة البرقاويّة بتونس وفي سنة 1940 تولّى مع «عون سوف» التفاوض مع الفرنسيّين في الجزائر للقيام بثورة مسلّحة ضدّ الايطاليّين بليبيا تتولّى فيها فرنسا تزويد المهاجرين اللّيبيّين المقيمين في تونس بالسّلاح لفتح جبهة من الجهة الغربية مقابلة للجبهة الشرقية التي كان متوقّعا فتحها من قبل المهاجرين الليبيّين بمصر.

(51) الجابري محمد صالح **نفس المصدر ص** 624.

(52) أ.و.ت س.أ صندوق 35. ملف 10.

الأحباس الخاصّة هو أقلّ راتبا من زميله في المدارس القرآنية، ومن خلال مقارنة بسيطة بين ما يتقاضاه بعض المدرّسين اللّيبيّين في الزّوايا الخاصّة بالأحباس وبين نظرائهم في المدارس القرآنية نطرح هذه العيّنة لتوضيح أوجه المقارنة.

1 ــ عمر أحمد الطّرابلسي، مدرّس بباجة، موضوع الدّروس القراءات، وبالاضافة إلى عمله كمدرّس يعمل (عدل عام) بنفس المنطقة يتقاضى راتبا قدره **(720)** فرنكا سنة 1928.[53]

2 ــ الشيخ الصّادق الغرياني، مدرّس بمدرسة المنتصريّة بتونس العاصمة، يتقاضى راتبا قدره **(660)** فرنكا.[54]

3 ــ الشيخ محمد عبيد الغرياني، مدرّس بإحدى الزّوايا بالقيروان ومتخصّص في الفقه الحديث، يتقاضى راتبا قدره 100 فرنك من الأوقاف الخاصّة سنة 1931.[55]

ونتيجة هذه الفوارق في المرتّبات اضطرّ مدرّسو الأحباس الخاصّة إلى التعبير عن عدم رضاهم، وقد طرح الموضوع بتاريخ 1931/6/25 أمام الوزير الأكبر (خليل بوحاجب) الذي طلب من قاضي القيروان بالمحكمة الشرعيّة موافاته بجريدة تتضمّن أسماء جميع المدرّسين الذين يتقاضون مرتّبات أو ريعا من الأوقاف الخاصّة، وأسماء الزّوايا والمساجد والمدارس التي يعملون بها وقيمة المرتّبات التي يتقاضونها[56] ونرجّح أن هذا الطّلب كان لغرض دراسة تحسين أوضاع هؤلاء المدرّسين، نظرا إلى أنّ طلب المعلومات التي طلبها الوزير الأكبر جاءت بعد الشّكاوي التي تقدّم بها المدرّسون لتحسين أوضاعهم المادية.

أما الحالة المادية للفقهاء فكانت تختلف من منطقة إلى أخرى، بحسب ظروف كل منطقة، وعادة ما تتأثّر أجرة الفقيه بالمواسم الفلاحيّة[57] فكلّما كان الموسم خصبا كلّما كانت أجرة الفقيه العينية مناسبة، أما في سنوات الجفاف فإن الفقهاء بالأرياف يكونون أكثر تأثّرا من زملائهم بالمدن باعتبار أن الفقيه في المدينة عادة ما تكون أجرته (مبلغ مالي) يتمّ جمعه من اشتراكات التلاميذ الأسبوعيّة أو الشهريّة، وأحيانا تكون الأجرة الشهريّة ثابتة من خلال إعانة ومساهمة جمعيّة الأوقاف لبعض الكتاتيب والمدارس القرآنية.[58]

وفي الأرياف لم تكن أجرة الفقيه ثابتة لعدم اعتمادها في الأساس على مبلغ مالي مقطوع، وإنّما تكون الأجرة وفقا لامكانات كلّ أسرة، فبعضها يقدّم شيئا من المال والبعض

(53) أ.و.ت س.أ صندوق 35 ملف 2.

(54) نفس المصدر ملف 4.

(55) نفس المصدر ملف 3.

(56) أ.و.ت. س.أ صندوق 35 ملف 2.

(57) رواية الفقيه أحمد زيدان العريفي (ينظر الوثيقة رقم 28 بالملحق).

(58) شارل أندري جوليان **نفس المصدر ص** 146.

الآخر يقدّم أشياء عينيّة مثل البيض، الزيت، العسل، السمن والقمح[59]، وكان الصبيان يحملون هذه الأشياء إلى الكتّاب، ويقدّمونها إلى (المؤدّب) بكلّ خشوع وتواضع، وعادة ما كانت تقدّم الأجرة، نقدا أو عينا يوم الخميس، وهو ما أطلق عليها (الخميسيّة) نسبة إلى يوم الخميس الذي يسبق يوم الجمعة، الذي هو يوم للعطلة وللراحة، ممّا يجعل الصبيان يعتبرون يوم الخميس ليس مثل بقيّة الأيّام، ومن التّعابير التي يردّدونها تعبيرا عن فرحتهم وسعادتهم بمجرّد إعلان (المؤدّب) انتهاء الدروس، واطلاق سراحهم (سلم سيدي سرحنا. حط عظامه في الجنّة).

ومن العلامات البارزة في نظام الكتاتيب أنّها تحمل طابعا إسلاميّا واحدا في سائر الأقطار الاسلاميّة، ولم يجد الفقهاء اللّيبيّون أي وجه للاختلاف بين الكتاتيب في كلّ من ليبيا وتونس[60].

دور المدرّسين والفقهاء في دعم الحركة الوطنيّة اللّيبيّة :

لم يعش الفقهاء والمدرّسون بمعزل عن بقيّة أفراد الجالية اللّيبيّة، ومنذ بداية نشاط اللّجنة التنفيذيّة للجاليات الطّرابلسيّة البرقاويّة بتونس سنة 1934، انضمّ إلى هذه الجمعيّة عدد من المهاجرين اللّيبيّين العاملين في حقل التعليم من بينهم[61] :

عبد القادر الورفلي ــ تعليم القرآن ــ بتاجروين من أعمال الكاف

أحمد الفرجاني الترهوني ــ تعليم القرآن ــ حــرّ

محمد غالب الكيب ــ تعليم عصري ــ حــرّ[62].

وقد تركز عمل هؤلاء الأعضاء كلّ حسب المنطقة التي تقع في دائرته على توزيع المنشورات التي تدين سياسة الاستعمار الايطالي، وتصرّفات القوات الايطاليّة ضدّ الشعب

(59) ورد ذلك في رواية عبد السلام مصباح العريفي (65 سنة) أحد المهاجرين الليبيّن بوادي الرمل ــ بوفيشة ــ اشتغل بتعليم القرآن في الخمسينات ثمّ انتقل إلى الفلاحة، والده الشيخ مصباح العريفي يعتبر من أقدم المهاجرين اللّيبيّين في وادي الرمل، توفّي سنة 1987 عن سنّ تناهز 107 سنوات ودفن (بمقبرة حتوس) بوادي الرمل، ولهذه العائلة فرعان، فرع مقيم بمدينة طرابلس، والفرع الآخر مقيم بوادي الرمل ــ تونس.

(60) رواية الفقيه محمد ميلود الاصيبعي (ينظر الوثيقة رقم 33 بالملحق).

(61) زارم أحمد **مذكــرات**... ص 140.

(62) محمد غالب الكيب العلاقي ينحدر من بلدة صبراتة التي تقع على الساحل غرب طرابلس بمسافة 60 كيلومترا، كان أحد المهاجرين اللّيبيّين ومن العناصر البارزة بجمعيّة الدّفاع الطرابلسيّة ــ البرقاوية بتونس، وكان يعتبر الخبير في الشؤون العسكريّة باعتباره تخرّج من (المكتب الحربي في الآستانة) وساهم في معارك الجهاد اللّيبي.

اللّيبي، وتطبيق التعليمات التي ترد من اللّجنة التنفيذيّة التي مقرّها بمدينة تونس، والتي هي الأخرى لها اتصال مباشر بجمعيّة الدّفاع الطّرابلسيّة البرقاويّة بدمشق.

وكان لعمل هؤلاء الأعضاء آثاره وإيجابيّاته في العديد من المناطق ومن بين ذلك منطقة تاجروين[63] التي كان يشرف عليها عبد القادر الورفلي[64]، ونتيجة نشاطه المكثّف لصالح القضيّة اللّيبيّة، وضع تحت المراقبة من قبل المخابرات الفرنسيّة، وتصادف أن تلقّت اللّجنة التنفيذيّة منشورا مهمّا ومؤثّرا صادرا عن اللّجنة التنفيذيّة للجاليات الطرابلسيّة البرقاوية بدمشق يتعلّق بالأوضاع في ليبيا، وقد تمّ تعميم هذا المنشور على جميع أعضاء اللّجنة التنفيذيّة في مختلف المناطق بالبلاد التونسيّة، وقد لقي المنشور صدى لدى أهالي تاجروين نتيجة الجهد الذي بذله عبد القادر الورفلي، الّا أنّه بعد (قراءة المنشور، حدثت حركة توتر نفسي شديدة في (تاجروين) ولقد توصّلت المباحث إلى أن مروّج هذه المناشير في تاجروين هو عبد القادر الورفلي)[65] الذي استدعيَ إلى مركز الشّرطة وطلب منه الكشف عن مصدر تلك المناشير، وألزم بقضاء ساعتين يوميّا بمركز البوليس.

علاقــة المهــاجرين بجامع الزيتــونــة :

ان التعليم الزيتوني بالجامع الأعظم وفروعه كان عامل وحدة وتقارب بين الجاليات الاسلاميّة المقيمة بتونس والشّعب التونسي، ففي رحاب الجامع الأعظم جلس الطّالب التونسي واللّيبي والجزائري وغير ذلك من الوافدين من أقطار إسلاميّة أخرى.

وفي الوقت الذي نجد فيه الجاليات الاسلامية قد اندمجت مع الشعب التونسي في اختيار مسار تعليمي واحد في شكل هرمي يبدأ بالمدرسة القرآنيّة أو الكتّاب، وينتهي بالزيتونة التي تمثل مرحلة متقدّمة في السلّم التّعليمي الدّيني، نجد أن الجاليات الأخرى، مثل الجالية الايطالية واليهودية قد خلقت كيانا مستقلّا لنفسها، من خلال تأسيس معاهد خاصّة، ففي سنة 1831 و 1840 تمّ تأسيس معهد لليهود ومعهد للايطاليّين بمدينة تونس[66] وفي سنة 1885 إفتتحت مدرسة ثانويّة إيطاليّة.

(63) نفس المصــدر ص 129.

(64) عبد القادر الورفلي ينحدر من قبيلة ورفلة التي هاجر العديد من عائلاتها إلى تونس خلال القرن التاسع عشر إضافة إلى المهاجرين بعد سنة 1911، وكان عبد القادر الورفلّي الذي يتولّى تعليم القرآن في تاجروين محل احترام وتقدير لدى أهالي تاجروين، وكان يستقبل في بيته بتاجروين بعض المهاجرين، ومنهم الكاتب العام للجنة التنفيذيّة للجاليات الطرابلسيّة البرقاوية بتونس.

(65) زارم حمـد **نفس المصــدر** ص 130.

(66) GREEN, A.H. **The TUNISIAN Ulama 1873 - 1915 : Social Structure and Respoonse To Ideological** PH. D. Dissert., Ucla 1971 Page 53.

ومنذ بداية سنة 1878 ونتيجة التعاون بين (الرابطة اليهودية العالمية) والمنظمة اليهودية البريطانية (Anglo - Jewish ASSOCIATION) إزداد نشاط البعثات التبشيريّة من خلال ارتفاع عدد المدارس اليهوديّة والفرنسيّة، وقد شكّل عدد التلاميذ اليهود أكبر نسبة بالنّسبة لبقيّة الجاليات الأخرى، وفي سنة 1901 كان عدد التّلاميذ على الوجه الآتي[67] :

الفرنسيّون 3137، المسلمون 3820، اليهود 4746، الايطاليّون 3526، المالطيّون 1522.

وجامع الزيتونة يُعدّ منارة أضاءت بنورها سماء بلاد المغرب العربي، ويشكّل في أهميته التّربويّة المرتبة الثّانية بعد جامع الأزهر في مصر، ويشكل في أهميته التّاريخيّة طول الفترة الزمنيّة التي تمتدّ من القرن الثّاني الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري[68] وقد ارتحل إليه المسلمون من الأقطار المغاربيّة والافريقيّة لينهلوا من منابع فيضه شتّى العلوم وأصول الدّين[69] وكانت صورة الجامع الأعظم في نفوسهم رائعة وعظيمة لادراكهم أنّه «ما ضاق صدر مهموم ودخله إلّا انفرج، وانفتحت له بلطيف عنايته أبواب الفرج»[70].

وعلاقة اللّيبيّين بجامع الزّيتونة تعود إلى فترات تاريخيّة موغلة في القدم نذكر منهم العالم أبي محمد عبد الحميد بن أبي الدّنيا الصدفي الطّرابلسي (606 - 684 هـ / 1210 - 1290م) الذي كان يدرس أصول الفقه وتولى مهام أخرى كقضاء الجماعة.

والحسن بن معمر الطّرابلسي الذي كان يشرف على مكتبة أبي زكريا الحفصي، وكانت هذه المكتبة تحتوي على ثلاثين ألف مجلّد[71].

والإمام أبو عبد الله محمد المصراتي[72]، وغيرهم ممّا لا يتّسع المجال لذكرهم باعتبار أنّ ذلك ليس من مشمولات هذه الدراسة.

احتضن جامع الزيتونة العديد من الطّلبة اللّيبيّين الذين شغفوا بطلب العلم، ولم يقتصر وجود الطّلبة اللّيبيّين على الجامع الأعظم وفروعه بالعاصمة، لكن بعض الطّلبة كانوا منتسبين لفروع الزيتونة في بعض المدن مثل قابس وصفاقس والمنستير.

ومن شروط الانتساب لجامع الزّيتونة[73] :

(67) التيمـومي الهادي **نفس المصـدر** ص 32

(68) الزيـدي علـي **تاريخ النظام التربوي للشعبة العصريّة الزيتونيّة** 1951 - 1965، منشورات مركز البحوث في علوم المكتبات والمعلومات ــ تونس 1986 ص 9.

(69) المعمـوري الطـاهر **جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهد الحفصي والتركي** الدار العربية للكتاب 1980 ص 3.

(70) السـراج محمـد **الحلل السندسيّة في الاخبـار التونسية** مخطوط 1 المكتبة الوطنية ــ تونس ص 567.

(71) المعموري الطاهر **نفس المصـدر** ص 9.

(72) تولّى الخطابة والامامة بالجامع الأعظم، ولما توفّي سنة 848هـ الموافق لـ 1444م. تولّى نفس الخطّة أخوه أبو العبّاس أحمد المصراتي.

(73) أ.و.ت س.د. صندوق 36 ملف 1.

1) أن يكون متأهّلا لمطالعة الكتب وتحرير كتابة ما يملى عليه.

2) أن يكون حافظا لعشر القرآن الكريم (ستّة أحزاب)

3) أن يكون عمره لا يقل على 12 سنة على الأقل.

ومن الطّلبة اللّيبيّين الذين درسوا بالجامع الأعظم على سبيل الذكر لا الحصر الشيخ سليمان الباروني الذي تلقّى نصيبا من التعليم بجامع الزّيتونة سنة 1886 رفقة زميله الشّيخ عبد العزيز الثعالبي الذي كان يتلقّى تعليمه هناك[74] وقد تتلمذا على يد الشيخ المكّي بن عزوز والشّيخ محمد النخلي اللذين كانا يدرسان بالجامع الأعظم.

إنّ حصر كلّ الطّلبة اللّيبيّين الذين درسوا بجامع الزّيتونة وفروعه يعد من الصعوبة بمكان نتيجة عدّة أسباب منها :

1 ــ عدم وجود احصائيّات دقيقة توضح عدد الطلبة وجنسيّاتهم.

2 ــ تشتّت وثائق الزيتونة وفروعه في العديد من الأماكن، وبعضها غير منظم ويصعب الوصول إليه، مثل الوثائق الموجودة بمستودع ادارة البناء والتجهيز (بمقرين).

3 ــ ان ظروف الطّلبة اللّيبيّين غالبا ما تكون عائقا في استمراريتهم وكثيرا ما يضطر بعضهم للانقطاع نتيجة الظروف المالية والاجتماعية.

ومن مشاغل الطّالب اللّيبي الجانب المالي والاداري، أي أن توفير الموارد المالية لمواجهة نفقاته يعدّ ضرورة ملحّة وكثيرا ما يكون مصدر هذه الموارد الماليّة موطنه الأصلي في ليبيا كأن يرسل إليه والده أو أقاربه بعض المال في فترات متفاوتة لتأمين ظروفه المعاشيّة، إلّا أنّ المشكلة في هذا الجانب تكمن في عدم ضمان إيصال هذه المبالغ إلى أصحابها، ومن الشواهد على ذلك أنّ الطّالب أحمد كمال بن علي بن بلقاسم الطرابلسي[75] كان قد قدم ابن عمه من بلدته (قصر الحاج) ومعه 2800 فرنك وعندما وصل بنقردان تلقّاه أعوان المحافظة وأخذوا منه المبلغ الذي كان بحوزته وقد بعث الطّالب المذكور برسالة إلى الشيخ عبد العزيز جعيط شيخ الجامع الأعظم يطلب منه التّدخل لدى الجهات المختصّة للإفراج عن المبلغ، وقد بعث شيخ الجامع الأعظم بتاريخ 26 مارس 1941 برسالة إلى الوزير الأكبر (أمير الأمراء الهادي الأخوة) جاء فيها[76] (أنّه ورد علينا مكتوب من ــ التلميذ أحمد كمال بن علي بن بلقاسم الطّرابلسي ــ مؤرّخ في 25 مارس الجاري يتضمّن أنّه كان قدم من طرابلس التي بها مسقط رأسه إلى

(74) مداخلة الأستاذ الحبيب شيبوب في النّدوة التي أقامتها الاذاعة المرئيّة للجماهيريّة اللّيبيّة خلال شهر أبريل / أفريل 1990.

(75) أحد الطّلبة اللّيبيّين بالمدرسة التوفيقيّة، رقم قيده 20370، ينحدر من منطقة قصر الحاج بالجبل الغربي بليبيا، قدم إلى تونس عام 1937، وانتظم في الدّراسة بالجامع الأعظم عام 1938.

(76) أ.و.ت س.أ. صندوق 280. ملف 1.

الحاضرة خلال عام 1937 وانتظم من ذلك العهد في سلك تلامذة الجامع الأعظم وأن ابن عمّه الذي يتعاطى التّجارة بأمواله كان يواصله منها بما يحتاج إليه لتسديد حاجياته وقضاء شؤونه غير أنّه لمّا حلّ أخيرا ببنقردان حاملا معه 2800 فرنك بقصد تسليمها إليه تلقّاه أعوان المحافظة وأخذوا منه المبلغ المذكور طالبا التّدخّل في قضيّته، وتمكينه من التّوصّل بالمال المشار إليه).

أمّا الجانب الاداري فكان هو الآخر يشكل عائقا أمام الطّلبة الرّاغبين في التّنقّل من ليبيا إلى تونس للدّراسة بجامع الزّيتونة، وعلى وجه الخصوص في عهد الادارة الاستعماريّة الايطاليّة والانقليزيّة، حيث كان يشترط أن تمر طلبات الدّراسة على القنصليّات المختصّة التي تحيلها بدورها إلى الاقامة العامّة الفرنسيّة بتونس ومن ثمّ إلى مشيخة الجامع الأعظم، تشير إحدى الوثائق إلى المراحل التي يمرّ بها ملفّ الطالب الرّاغب في الانتساب إلى الزيتونة. وهذه الوثيقة عبارة عن رسالة موجهة من مدير الأمن الفرنسي إلى الكاتب العام للحكومة الفرنسيّة بخصوص ملفّات ثلاثة طلبة ليبيّين وهم : عمر بن يوسف العزابي، وسعيد بن ابراهيم العزابي، وساسي بن حمد حمادي (أصيلي طرابلس) أبدوا رغبة في مواصلة دراستهم في جامعة الزيتونة في تونس، القنصل العام لبريطانيا العظمى، أحيط علما من طرف المقيم العام بعدم وجود مانع لتسجيلهم في الجامع.

(لي الشرف أن أبعث إليكم ثلاثة ملفّات تخصّ ثلاثة طلبة ليبيّين نطلب منكم منحهم إقامة بالصّيغة القانونيّة للإدلاء بها لسلطات الحلفاء)[77].

وتتعدّد القنوات الّتي تمرّ بها طلبات الطّلبة الرّاغبين في الدّراسة بالزّيتونة وفي تعدّد هذه القنوات كثيرا ما تضيع على الطّالب الفرصة نتيجة الاجراءات الاداريّة الروتينيّة نظرا إلى أن بعض الطّلبات تكون ناقصة لبعض الوثائق، أو تكون في شكل طلب إرشادات، تشير إلى ذلك رسالة موجهة من شيخ الجامع إلى الوزير الأكبر بتاريخ 19 شعبان 1363 هـ الموافق لـ1944/8/9م[78] (...فالمنهي إلى الجناب أنّه ورد علينا مكتوب من القنصليّة العامّة الانقليزيّة بتاريخ 5 من الشهر الجاري تحت عدد 2505 يتضمّن رغبة بعض الطّرابلسيّين في مزاولة العلوم بالجامع الأعظم، وترغب في أن تعلمها بما يلزم من الارشادات في قبولهم أنهينا ذلك للجناب راغبين إصدار الاذن في ذلك).

وكانت القنصلية الفرنسيّة بطرابلس تستقبل طلبات الرّاغبين في الدّراسة بالجامع الأعظم وتتولّى إحالتها إلى الاقامة العامّة الفرنسيّة بتونس، بعد أن تؤشّر على الطّلبات التي

(77) أ.و.ت س.د صندوق 35. ملف 24.
(78) أ.و.ت نفـس الملـف.
(79) أ.و.ت س.د. صندوق 35. ملف 24.

ترى في أصحابها أنّهم مؤهّلون للدّخول إلى جامع الزّيتونة بالآتي : (متحصّل على شهادة تعلّميّة تمكّنه من الدّخول إلى الجامعة الزيتونيّة)[79].

ورغم هذه الصّعوبات فإنّ الطّالب اللّيبي أثبت حضوره بجامع الزّيتونة وفروعه ونهل من شتّى العلوم التي تدرس، وممّا هو جدير بالملاحظة أنّه برغم العادات والتقاليد الاجتماعيّة التي كانت تحكم المجتمع العربي المسلم في كل من تونس وليبيا خلال النّصف الأوّل من هذا القرن بالنّسبة لتعليم البنات، ونتيجة ذلك المفهوم الخاطىء المتستّر بمبدأ المحافظة على الدّين، إلّا أنّ تلك المعوقات لم تمنع بعض الفتيات من دخول ميدان العلم وتحقيق النتائج الباهرة من ذلك أنّ الطّالبة التّيجانيّة بنت علي الطّرابلسي[80] التي ورد اسمها في قائمة الطّلبة المحرزين على الشّهادة الأهليّة بالفرع الزيتوني بالمنستير[81] قد استطاعت أن تتجاوز تلك المفاهيم الخاطئة، وتأخذ مكانها وسط رحاب العلم والمعرفة برغم كلّ الظروف.

ومن الطلبة اللّيبيّين الذين أحرزوا شهادة الأهلية من الفرع الزيتوني بالمنستير[82] :
ابراهيم بن منصور العجيلي — الشعبة العلميّة — الدّور الأوّل — 1952.
ابراهيم بن سعد الطّرابلسي — الشعبة العلميّة — الدّور الأوّل — 1955.
صالح بن خميس بن محمد الغرياني — الشعبة العلميّة — الدّور الأوّل — 1958.

والتعليم في جامع الزّيتونة لم يحرم منه (فاقدو البصر)، هذه ميزة انفرد بها التّعليم الدّيني منذ القدم، وذلك بسبب اعتماد البرنامج التعليمي على حفظ القرآن الكريم، والفقه، وهي أمور تعتمد على مدى استيعاب الطّالب وقدرته على الحفظ، وقد مكّنت هذه الفرصة الكثير من فاقدي البصر من إبراز مواهبهم داخل الوسط الطّلابي بالزيتونة، وذلك من خلال إحراز النّتائج الباهرة، (فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب الّتي في الصّدور)[83].

ومن الطلبة اللّيبيّين (فاقدي البصر) الذين درسوا بجامع الزيتونة، وحققوا نتائج باهرة، الطالب عبد الحميد بن محمد بن عبد الحميد الطرابلسي[84]. الّذي أحرز شهادة التحصيل

(80) كانت من بين 9 فتيات أحرزن على شهادة الأهليّة بالفرع الزيتوني بالمنستير وقد أحرزت على هذه الشهادة في دورة 1959 بالشعبة (العلمية).
(81) عقيـر محمد الطاهر **نفـس المصـدر** ص 88.
(82) **نفس المصـدر** ص 88.
(83) سـورة الحـج الآية رقـم 46.
(84) أحد المهاجرين اللّيبيّين، وقد شغف بطلب العِلم، ولم تمنعه ظروفه الصحية والاجتماعية من الدّخول إلى جامع الزيتونة حيث رسم فيه تحت رقم 30341، وهو يتيم الأبوين وليس له أحد من الأهل أو الأقارب بتونس وقد أعانه رجل من ذوي البر والاحسان في تونس، وعند تخرّجه سنة 1955 بعث برسالة إلى الوزير الأكبر يطلب فيها الحصول على وظيفة واعظ ومرشد.

في العلوم بالدّورة الأولى للعام الدّراسي 1954/1953، وقد جاء في الشّهادة التي منحت إليه، والمصدق عليها كل من الوزير الأكبر وفضيلة شيخ الجامع الأعظم وفروعه :

«أمّا بعد فإنّ التلميذ عبد الحميد بن محمد بن عبد الحميد الطّرابلسي المرسّم بعدد 30341 قد انتظم في عداد المشاركين في امتحان شهادة التحصيل في العلوم بالدّورة الأولى للعام الدّراسي 1954/53 وأدّى واجبات الامتحان على مقتضى فصول الأمر العلي الصّادر في 4 ذي الحجّة 1351 وفي 30 مارس 1933 فأسفرت نتيجة امتحانه على إحراز الشّهادة المذكورة»[85].

دور الطّلبة الزّيتونيّين في دعم الحركة الوطنيّة اللّيبيّة

اعتمدت الحركة الوطنيّة اللّيبيّة بالمهجر، والتي تعرف بلجنة الدّفاع الطّرابلسيّة البرقاويّة بتونس على الطلبة الليبيّين، الدارسين بجامع الزيتونة، ومنذ تأسيسها سنة 1929، كان الطّالب هو المؤسس والمحرّك لأنشطتها[86] وهؤلاء الطّلبة هم :

محمد محمد عباس المصراتي[87] — مصراتة.

محمد عمار الشرادي الرحيبي[88] — الرحيبات

محمود علي الزنتاني[89] — الزنتان

عمر مالك الغدامسي — غدامس

وفي سنة 1934، انضمّت مجموعة جديدة للحركة من الطّلبة اللّيبيّين بجامع الزّيتونة وفروعه[90] بعد أن قامت اللّجنة التنفيذيّة للجاليات الطرابلسيّة البرقاويّة بتونس بالتعريف بنشاطها وأهدافها في أوساط المهاجرين، وهؤلاء الطلبة هم :

(85) أ.و.ت س.د صندوق 35. ملف 24.

(86) زارم أحمد **مذكّرات** ص 5.

(87) محمد عباس المصراتي يعتبر من أبرز أعضاء اللّجنة التنفيذيّة للجاليات الطّرابلسيّة البرقاوية وقد تولّى هذه المهمّة منذ سنة 1929 عندما كان في السّنوات الأخير من تعليمه بالزيتونة، ثمّ بعد تخرّجه واصل نضاله داخل هذه الجمعيّة، وتولّى فيها مسؤوليّات أكبر، يقول عنه رفيقه في الكفاح أحمد زارم الكاتب العام للجمعيّة (يتحلّى ابن عبّاس بمستوى طيّب من الشّهامة والوفاء ثقة في المعاملة سخي النفس كريم اليد صادق الأقوال عظيم الاهتمام بالحركة الوطنية كثير النشاط والبذل في سبيلها).

(88) كان محمد عمار الشرادي الرحيبي ينحدر من نفس المنطقة التي يعود إليها أصل أحمد زارم، وهي منطقة الرحيبات الواقعة بالجبل الغربي، وبحكم تردّده على متجر الحاج محمد المجدوب التاجوري حيث كان يلتقي ببعض المهاجرين الذين ينقل إليهم أخبار الطلبة اللّيبيّين بجامع الزيتونة، وبواسطته تمّ اللّقاء بين أحمد زارم ومحمد عباس سنة 1929.

(89) تحصّل على وظيفة (عدل) بحاضرة تونس وظلّ بها إلى سنة 1953، والعدل هو (مبرم العقود أي العارف بأنواع الالتزامات من بيع وكراء، وقروض، وأنكحة، فهو أعرف النّاس بالمجتمع وألصق الناس به) عن عثمان الكعّاك محاضرات في مراكز الثّقافة في المغرب.

(90) زارم أحمد **مذكرات** ص 140.

— المبروك عمر الغرياني — المنطقة التي ينحدر منها في ليبيا — غريان

رمضان حسن طالب — المنطقة التي ينحدر منها في ليبيا — سوق الجمعة

سالم النعمي — المنطقة التي ينحدر منها في ليبيا — تاجوراء

محمد فياض — المنطقة التي ينحدر منها في ليبيا — غدامس

ابراهيم محمد السويحلي — المنطقة التي ينحدر منها في ليبيا — زليطن

ولقد كان لانضمام هؤلاء الطلبة آثاره الحميدة على نشاط الجمعيّة، نظرا للكفاية والخبرة التي عليها الطالب الزيتوني، بحكم التجارب، ومعايشة الظرف السياسي الذي يعيشه العالم الاسلامي والعربي، ولقد تجلّى ذلك من خلال لجنة الدّفاع عن حقوق الزّيتونيّين، ولجنة الطّلبة الزيتونيّين[91] والتي أثبتت جدواها وفاعليتها في الاحداث التي عاشتها تونس، وأهمها أحداث 9 أفريل / أبريل 1938 (وقد قاد هذه المظاهرات طلاب جامع الزّيتونة)[92].

من هنا نلاحظ المقومات الهائلة التي يتمتّع بها الطّالب الزيتوني، وهو ما جعل أعضاء اللّجنة التنفيذيّة للجاليات الطرابلسيّة البرقاوية بتونس يستبشرون خيرا بانضمام ثلّة من الطلبة اللّيبيّين بجامع الزيتونة. (لقد أفاد الجمعية انضمام هؤلاء الاخوان فسارت في عملها برغم إمكاناتها المحدّدة)[93].

كانت العناصر البارزة في الحركة الوطنيّة اللّيبيّة على اتصال بواسطة الرسائل بزعيم المهاجرين اللّيبيّين بالخارج بشير السعداوي الذي كان مقيما بدمشق حيث يرأس جمعيّة الدّفاع الطّرابلسيّة البرقاويّة، وكان أعضاء الحركة في تونس يستلهمون من السعداوي التوجيهات والنصائح لممارسة نشاطهم على السّاحة التّونسيّة، نظرا لما له من خبرة في النضال السياسي ضدّ الاستعمار.

والملاحظ أن المخابرات الفرنسيّة كانت على علم باتّصال عناصر الحركة الوطنية اللّيبيّة بتونس ببشير السعداوي رئيس جمعية الدّفاع الطّرابلسيّة البرقاويّة بدمشق[94] ولم تكن هناك قناة واحدة للاتصال، بل كانت الرسائل تكاد تتمّ بصورة شخصيّة، ولا سيما في بداية تأسيس اللّجنة التنفيذيّة للجاليات الطّرابلسيّة البرقاويّة بتونس، ومن الطّلبة الذين كانت لهم اتّصالات بالسّعداوي في دمشق محمد عبّاس المصراتي الطّالب بجامع الزّيتونة الذي كان من أبرز العناصر اللّيبيّة المعاصرة بتونس، تفاعل مع قضيّة بلاده وهو طالب بجامع الزّيتونة ثمّ وهو

(91) أ.و.ت س.د. صندوق 36. ملف 1.

(92) عبد الله الطّاهر أبو القاسم **تاريخ الحركة النقابية في تونس** دار الطليعة — بيروت 1974 — ص 43.

(93) زارم أحمد **مذكرات** ص 141.

(94) أ.و.ت س.أ. صندوق 280. ملف 1.

داخل معترك الحياة، واستمرّ في نفس الدّرب مكافحا عن قضية بلاده بكل نزاهة ونظافة يد[95].

وقد ساهم الطّلبة بما لديهم من امكانات الابداع الأدبي، سواء عن طريق الشّعر أو كتابة المقالة الصحفيّة في خدمة قضيّة بلادهم، باعتبارها النقطة المركزيّة التي تشغل بالهم، وتشدّ أحاسيسهم، ولم يجد الطّلبة عناء في البحث عن وسائل لنشر مقالاتهم بل كانت الصحافة التونسيّة والعربيّة عموما قد فتحت صفحاتها لكل الموضوعات التي تتعلّق بصراع الشّعب اللّيبي مع القوات الايطالية، على الرغم من ظروف الاستعمار المهيمنة على كل البلاد العربيّة التي تصدر بها تلك الصحف، وفي ذلك يقول محمد عبّاس في مقال نشره بصحيفة (لسان الشّعب) تحت عنوان (قطرة من بحر من أفعال الطليان).

(نخصّ بالذّكر أهل الجرائد التونسيّة، وأهل الجرائد السوريّة، وبعضا من الجرائد المصريّة، فإنّهم والحق يقال قد أعانونا، وشجّعونا على الجدّ والاجتهاد في سبيل حرّيتنا. وطالما نشروا المقالات الرّاقية يستنجدون بها العالم الاسلامي، ويطلبون منه إعانتنا بألسنتهم وأقلامهم على الأقل)[96].

وعلى إثر استشهاد الشّيخ عمر المختار في شهر سبتمبر 1931، تحرك الطّلبة اللّيبيّون الدّارسون بجامع الزّيتونة، وبالتنسيق مع اللّجنة التّنفيذيّة للجاليات الطّرابلسيّة البرقاويّة بتونس أصدروا مجموعة من المناشير (لاستنهاض همم المهاجرين وحثّهم على التّمسّك بمواقفهم النضاليّة رغم الصدمات والعثرات، وتثير به الحميّة الوطنيّة في نفوسهم تفاديا لما قد تصاب به من الذهول بسبب هذه الكارثة الأليمة التي ختمت جهادا مريرا دام عشرين عاما)[97].

وفي أجواء هذه الحادثة النكراء التي بعثت الحماس في نفوس الطّلبة الزّيتونيّين أجادت قريحة بعض الطلبة ببعض القصائد الشعريّة، نذكر منها بعض الأبيات التي قالها الطّالب محمد فياض الغدامسي :

يا شعب ليبيا جرد السّيـــف والقنـــا ... ففي ظلّهـا تحيا الشعـــوب وتسعـــد
ويا مسلمي الأقطـــار جمعـــاء إنّنـــا ... إليكـــــم نمدّ الكـــــفّ بالله فانجدوا

مشاغــل الطــالــب الزيتــوني :

لم يعش الطّالب اللّيبي بمعزل عن القضايا والمشاغل التي يعيشها طلبة الجامع الأعظم وفروعه من ذلك أن السّاحة الطّلابية بالجامع الأعظم عاشت العديد من الاضرابات التي قام

(95) ورد ذلك في المقابلة التي أجريتها مع الأستاذ الأديب والمؤرّخ علي مصطفى المصراتي بمركز جهاد اللّيبيّين ضدّ الغزو الايطالي بطرابلس بتاريخ 1990/6/20.
(96) صحيفة لسان الشعب التونسية بتاريخ 1931/1/7.
(97) زارم أحمد مذكّرات ص 138.

بها الطّلبة منها ما يتعلّق بمساندة الحركة الوطنيّة ومقاومة الاستعمار الفرنسي باعتبار أن ذلك يعد أساسا جوهريّا للحصول على استقلال البلاد وأداة فاعلة لتحريك روح المقاومة الشعبيّة ضدّ المستعمر، وكانت لجنة الطّلبة الزيتونيّين تقوم بدور نشيط في جمع صفوف الطّلبة وإعداد المناشير التحريضيّة، وممّا جاء في أحد هذه المناشير[98] (أصرح ولا زلت أدافع على وطني أيّده الله بالسعادة إلى أبد الأبد. فكيف أكون مضطرب البال منشرح الخاطر وأنا تحت سلطة الأجانب؟ عجبا! والله لا يرتاح لي بال ولا ينشرح لي فؤاد إلّا إذا صارت بلادنا حرّة وعلائم الاسلام فقط تذرو بها الرّياح على كلّ مسجد وغرفة) وكان تاريخ هذا المنشور سنة 1931 ويؤكّد مدى الشعور العربي الاسلامي الذي كان يختلج في نفوس الطّلبة الزيتونيّين.

أمّا ما يتعلّق بأمور الطّلبة ومشاغلهم الخاصّة فكانت تتركّز أساسا على الآتي :

1 — اصلاح التعليم الزيتوني.

2 — تحسين الأوضاع المعاشيّة للطّلبة الزّيتونيّين.

ويعود تاريخ المطالبة بتحسين التعليم الزّيتوني إلى إضراب سنة 1910 الذي تمخّض عن استجابة الحكومة لمطالب الطّلبة وتشكيل لجنة برئاسة أمير الأمراء الطّيب الجلولي تتولّى النظر في إصلاح التعليم،[99] «ان مسألة الاصلاح الزيتوني مسألة هامّة وقد كانت الرّغبة عامّة في إدخال تحوير ذي بال على نظام هذا المعهد المعدود ثاني المعاهد الإسلاميّة بالعالم العربي بعد الأزهر»[100].

ومن مشاغل الطّالب الزّيتوني تحسين ظروف الاقامة وخاصّة أولئك الذين يأتون من مناطق بعيدة، والمشكلة المستعصية كانت تنحصر في الاقامة (المبيت) باعتبارها غير كافية لحاجة الطّلبة، وكان كثير من الطّلبة ينتظرون عدّة أعوام للحصول على بيت للاقامة، ممّا يضطرّون معه تحت هذه الظروف إلى إيجار غرفة في وكالة لا تتوفّر فيها أسباب الرّاحة للطّالب، ولا الضمانات الصحية[101] وهي في ذات الوقت مكلّفة إذ ينجرّ عنها تكبّد الطّالب مصاريف عادة ما يعجز عن تحمّلها.

والطّالب الزيتوني الذي يحضى بالسّكن داخل المبيت مطالب بدفع الاشتراكات الخاصّة بالتموين، ولا يخلو هو الآخر من مواجهة بعض المشاكل منها نوعيّة التموين، والاكتضاض داخل المبيت، وهي أمور تجبر الطلبة على إرسال شكاواهم مكتوبة إلى الجهات المسؤولة، وإن لم يحقّق ذلك المسعى مطلبهم فإنّهم يضطرّون إلى الاضراب لحلّ مشكلتهم

(98) أ.و.ت س.د صندوق 36. ملف 1.
(99) الزيـدي علي نفس المصـدر ص 58.
(100) صحيفة الوزير التونسية بتاريخ 1939/6/29.
(101) نفس المصـــدر.

وبتاريخ 19 ذي الحجّة 1363هـ. 1944/12/4 ونتيجة خلاف وقع مع متعهّد التّموين الذي يزوّد المعهد الزيتوني وفروعه بالمواد الغذائيّة، احتجّ الطّلبة على نوعيّة هذه المواد، وحجم الاشتراكات الموظفة عليهم، فقاموا بإرسال مذكّرة إلى شيخ الجامع الأعظم موقّعة من طرف 800 طالب ومن بين هؤلاء الطّلبة اللّيبيّين[102]

أحمد القمـاطـي

علي العربي القمـاطي

محمـــد الغريـاني

صالح بن محمـد الطّرابلسي

ان نشـاط المهاجرين الثقـافي والعلمي لم يقتصر على نشاط المهنة الواحدة، بل امتدّ النشاط إلى اهتمامات أبعد، وهي الاهتمامات التّي كانت القاسم المشترك بين المعلّم، والفقيه والطّالب، والكاتب، والفنّان، باعتبارها الفئة التي تحمل مؤهلات العمل السّياسي الذي من خلاله ساهم كل واحد في مقاومة الاستعمار بدرجات متفاوتة حسب الامكانات ويتّضح ذلك بأكثر وضوح في مشاركة هؤلاء في أعمال اللّجنة التنفيذيّة للجاليات الطّرابلسيّة البرقاويّة.

---

(102) أ.و.ت س.د. صندوق 35. ملف 1.

الفصـل الرّابـع

الــــدّور السّيـاسي للمُهاجرين الليبيّـين

الفصـــل الـــرابع

الدور السياسي للمهاجرين اللّيبيّين

لم يكن العمل الوطني السّياسي في كلّ من تونس وليبيا في ظلّ الادارتين الفرنسيّة والايطاليّة بالأمر السّهل، ذلك أنّ أيّ تحرّك سياسي، أو عمل تجمّعي في ذلك الوقت سرعان ما يتمّ ضبطه، ويعرض صاحبه إلى شتّى ألوان العقاب، والنّفي، والتهجير، وفي تونس عانت عناصر الحركة الوطنيّة منذ قيام حركة الشّباب التونسي، مرورا بإنشاء الحزب الحرّ الدّستوري التونسي في 20 مارس 1920 شتّى ألوان الاضطهاد والقمع، وقد وصل الأمر بالسّلطات الفرنسيّة إلى إبعاد عناصر هذه الحركة خارج الحدود، وفي مقدّمتهم الشّيخ عبد العزيز الثّعالبي[1] ومن هذا المنطلق كان المهاجرون اللّيبيّون يدركون جيّدا أنّ نشاطهم السّياسي سيكون محفوفا بالمخاطر، والصّعاب، وأن ذلك يتطلّب منهم الكثير من الحذر والصّبر والمعاناة.

بداية النشــاط السّيــاســي :

كانت السّلطات الفرنسيّة تعتبر كلّ المجاهدين الذين دخلوا الحدود التونسيّة ضمن الهجرات المكثّفة التي حدثت منذ سنة 1913 بمثابة الأشخاص الذين يتعاطون السّياسة، لذلك جاء الرقم الاحصائيّ لعدد المهاجرين اللّيبيّين السياسيّين الذي قدّم لوزير خارجيّة فرنسا مبالغا فيه، يقول التّقرير الذي أرسلته الاقامة العامّة الفرنسيّة بتونس بتاريخ 17 نوفمبر 1938 إلى جورج بونات GEORGE BONNET وزير الشؤون الخارجيّة بباريس :

(ان عدد اللاجئين السّياسيّين الذين يعيشون خاصّة بالجنوب في كلّ من قفصة وقبلّي هو 4000 نسمة، وكان حتى بداية عام 1938 يقدّر بحوالي 6000 نسمة قبل العودة المكثّفة للمهاجرين نحو طرابلس خلال السنة الجارية إثر حملة قويّة من الايطاليّين بتونس)[2].

---

(1) الشيخ عبد العزيز الثعالبي 1874-1944، من أصل جزائري، ولد بمدينة تونس وتلقى تعليمه بجامع الزّيتونة أصدر جريدة (سبيل الرشاد) سنة 1896، بعد أن أوقفت الحكومة الفرنسية جريدته سافر إلى طرابلس سنة 1902 لغرض إصدار جريدته هناك الّا أنّه لم يفلح، وفي سنة 1911 تفاعل مع أحداث الغزو الايطالي لليبيا، وكتب العديد من المقالات الهادفة والجريئة التي تندد بالعدوان الايطالي وفي سنة 1912 أبعد من تونس بسبب نشاطه السياسي، وفي سنة 1920 أسس الحزب الحرّ الدّستوري التونسي، من مؤلفاته «تونس الشّهيدة».

(2) أ. و. ت س. أ. صندوق 280. ملف 1.

ان الهجرة اللّيبيّة المكثّفة التي انطلقت سنة **1913** نحو الأراضي التونسية كانت بقيادة بعض زعماء الجهاد في ليبيا، منهم سوف المحمودي الذي تحرّك بمن معه من المجاهدين من منطقة زوارة في اتّجاه الحدود التونسيّة[3] ثمّ تبعهم سليمان الباروني الذي توجه من منطقة الجبل الغربي ضمن بعض المهاجرين، وبعض القيادات في حركة الجهاد اللّيبي مثل ساسي خزام ويوسف خربيش[4]، وكان الحضور المكثّف للمهاجرين بالحدود التونسيّة قد أزعج الحكومة الفرنسية ممّا جعلها تتّخذ مواقف لغير صالح المهاجرين [5] وقد اقتصر الدّور السياسي للقيادات السياسية للمهاجرين اللّيبيّين في هذه الفترة على الدّخول في مفاوضات مع السّلطات الفرنسيّة لتأمين راحة المهاجرين بيد أن الموقف الفرنسي كان متصلّبا، وقد أُرغم المهاجرون على تجريدهم من أسلحتهم[6] وحصرهم في شبه معتقلات، الأمر الذي أجبر القيادات السياسيّة على التفكير في الرحيل خارج التراب التونسي، بعد ستّة أشهر من وصولهم إلى تونس، حيث هاجر سوف المحمودي إلى الشّام، بينما هاجر سليمان الباروني إلى تركيا[7].

وكانت الحكومة الايطالية قد بعثت (المستر سفورزا) مبعوثا عنها إلى تونس لاجراء مفاوضات مع زعماء المهاجرين لحثّهم على العودة إلى ليبيا، وقد أجرى المبعوث الايطالي مفاوضات مع كل من سوف المحمودي وسليمان الباروني، وفي الوقت الذي كان فيه سليمان الباروني مؤيّدا لفكرة العودة كان سوف المحمودي رافضا لأيّة حلول مع الجانب الايطالي[8].

الشيـــخ سليمـــان البـارونـــي

كان أحد زعماء المهاجرين الذين تحوّلوا إلى تونس سنة **1913**، وينحدر في الأصل من (جبل نفوسه) بالمنطقة الغربية من ليبيا، وينتسب إلى المذهب الأباضي[9] وفي سنة **1910** انتخب عضوا في مجلس «المبعوثان» بالآستانة.

وفي سنة **1911** كان في مقدّمة الذين تصدّوا للغزو الايطالي لليبيا وحتى لمّا وقعت الهدنة سنة **1912** كان للشيخ سليمان الباروني مواقف مضادّة حيث رفض الهدنة، وقاد المقاومة بالجبل الغربي (جبل نفوسة).

(3) الزاوي الطاهر **جهاد الأبطال في طرابلس الغرب** دارف المحدوده لندن **1984**. ص 178.
(4) القشاط محمد سعيد **سوف المحمودي حياته وشعره** دار لبنان للطّباعة والنشر 1969 — ص 48.
(5) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 1.
(6) القشاط محمد سعيد **نفس المصدر** ص 20
(7) الزاوي الطاهر **جهاد الأبطال في طرابلس الغرب ص 90**.
(8) نفس المصدر ص 90.
(9) الجابري محمد صالح **نفس المصدر** ص 594.

وفي سنة **1918** تاريخ تأسيس الجمهورية الطرابلسية كان أحد الأعضاء المؤسسين لهذه الجمهوريّة[10].

والشيخ سليمان الباروني من الشخصيات البارزة في حركة الجهاد اللّيبي التي زارت تونس أيّام الحرب الايطاليّة اللّيبيّة حيث حلّ بتونس يوم **26** سبتمبر **1923** لغرض القيام بالدّفاع عن القضيّة اللّيبيّة لدى بعض الدّول في الخارج، وقد أزعج وصول الباروني إلى تونس السلطات الفرنسيّة، التي لم تقف مكتوفة الأيدي بل سلّطت عليه فرقة من البوليس لمراقبته، وبعد أربعة أيّام منع خلالها من الاختلاط بالناس، ومغادرة مقرّ إقامته، وطلبت منه السلطات الفرنسية مغادرة التراب التونسي[11].

والشيخ سليمان الباروني تربطه بالعديد من رجال ا لحركة الوطنية في تونس صداقات، وفي مقدّمتهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي كانت له مراسلات مع الباروني،[12] حول أنشطة الحركة الوطنيّة في ليبيا.

لقد كان لموقف السلطات الفرنسيّة الأثر السّيء لدى الصحافة التونسيّة التي لم تقف موقف المتفرّج، وهي المعبّر عن الرّأي العام، وقد ندّدت بالاجراءات التي اتخذتها فرنسا، واعتبرت ذلك تعدّيا على عاطفة المسلمين عامّة والتونسيّين خاصّة، وقد جاء في صحيفة (الأمّة) بتاريخ **30** سبتمبر**1923** : «في صبيحة **26** الفارط حل بين ربوعنا الضيف الكريم والعالم الكبير والمجاهد العظيم الشيخ سليمان باشا الباروني، بطل طرابلس الغرب، والعضو بمجلس الأعيان العثماني سابقا بقصد الزيارة والترويح عن النّفس ولم تكد تستقرّ قدماه بترابنا الذي يرحّب بالعظماء ورجال الاسلام بالخصوص حتى فاجأه أمر الادارة بما فاجأه».

ســـوف المحمـــودي

كان أحد زعماء المهاجرين اللّيبيّين بالجنوب التونسي سنة **1913**، وينحدر من قبيلة المحاميد التي لها الكثير من المهاجرين منذ القرنين الثامن عشر والتاسع عشر[13] وهو حفيد الثائر غومة المحمودي الذي ثار خلال القرن التاسع عشر على البايات في تونس والباشاوات في طرابلس بسبب الضرائب المجحفة التي فرضت على الأهالي.

وقد تربّى سوف المحمودي داخل أسرة عربيّة، حيث تعلّم الشجاعة والكرم والفروسيّة[14] ممّا أهّله لأن يكون زعيما وقائدا للمجاهدين أيّام الغزو الايطالي.

(10) رواية الدكتور أحمد بن ميلاد الذي أفاد بأنّه يحتفظ ببعض الرسائل المتبادلة بين سليمان الباروني وعبد العزيز الثّعالبي، وأضاف أن الباروني كان على علاقة وطيدة مع الحاج محمد المقدمي والد الاستاد الصادق المقدم رئيس مجلس النوّاب التّونسي سابقا.
(11) المرزوقي محمد **محمد الدّغباجي** الشركة التونسية للنشر والتوزيع ص 52.
(12) الزاوي الطّاهر **جهاد الأبطال في طرابلس المغرب ص** 127.
(13) ينظر أطروحتنا (المهاجرون الليبيون بالايالة التونسية 1861-1881).
(14) المرزوقي محمد **نفس المصدر السابق ص** 52.

وخلال سنة 1924 هاجر إلى مصر، حيث بقي هناك إلى أن انتقل إلى جوار ربّه بمدينة الاسكندريّة يوم 1930/7/15[15].

كانت منطقة الجنوب التونسي تعدّ (المثابة) الأولى التي تركز فيها العمل السياسي للمهاجرين اللّيبيّين، ونرجح أن ذلك يعزى إلى جملة من الأسباب المهمّة.

إنّ اختيار منطقة الجنوب لم يتمّ اعتباطا من قبل زعماء المهاجرين لكنّه تمّ بناء على العديد من المعطيات، فما هي هذه المعطيات؟ ولماذا تركز نشاط المهاجرين السياسيّين في منطقة الجنوب وعلى وجه التحديد خلال الهجرة المكثّفة التي تمّت سنتي 1913 و 1929؟

لقد فضل المهاجرون السياسيّون الاستقرار بالجنوب التونسي، وعلى وجه التحديد في كل من قفصة وقبلي[16] بعكس بقيّة الجالية التي توزّعت في مناطق مختلفة من البلاد التونسيّة، ونرجح أن هذا الاختيار تمّ، وفق إستراتيجيّة معيّنة تتلاءم وظروف الحرب التي تعيشها ليبيا. من ذلك :

1 ــ ان قرب الجنوب التونسي من الأراضي اللّيبيّة يتيح لهؤلاء المهاجرين السياسيّين متابعة الأحداث التي تجري بالبلاد.

2 ــ ان منطقة قفصة وقبلّي تقعان في المنطقة الصحراوية المتاخمة للحدود اللّيبيّة، وهو ما يسهّل عملية تهريب الأسلحة، وتنظيم صفوف المقاومة.

3 ــ لم تكن في نية المهاجرين السياسيّين البقاء طويلا في المهجر، لذلك كان اختيارهم أقرب نقطة من الأراضي اللّيبيّة وهو الجنوب التونسي، انتظارا لأقرب فرصة سانحة للعودة لديارهم، وهو ما حدث بالفعل للهجرة الأولى التي تمّت سنة 1913.

ووفقا للظروف التاريخيّة التي عاشها المهاجرون اللّيبيّون، فإنّ النشاط السياسي للمهاجرين مرّ في مرحلتين، تبعا للامكانية التي توفّرت للمهاجرين.

المرحلة الأولى، وهي مرحلة المراسلات التي تمّ فيها تبادل الرسائل بين زعماء المهاجرين وكل من باي تونس والوزير الأكبر، والمقيم العام الفرنسي وهي مرحلة تعتبر أكثر تواضعا من غيرها، باعتبار أنّ الرسائل كانت تدور في نطاق ضيق بين الراسل والمرسل إليه، وكثيرا ما كان الطرف المرسل إليه يغض الطرف عن الاجابة[17].

أمّا **المرحلة الثانية** فكانت أكثر إيجابيّة من الناحية العمليّة حيث أمكن توحيد نشاط المهاجرين السياسي في نطاق مؤسّسة واحدة هي جمعيّة الدفاع الطّرابلسي ــ البرقاوي بتونس التي تأسّست بناء على النداء الذي وجهه بشير السعداوي، رئيس اللّجنة التنفيذيّة للجاليات

(15) الزاوي الطاهر **نفس المصدر السابق ص** 316.
(16) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 1.
(17) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 1.

الطرابلسيّة البرقاوية بدمشق[18] وقد انطلق هذا العمل في البداية في شكل عمل سرّي ثمّ أخذ شكله الرسمي وبعده الشمولي، من خلال استقطابه لجميع زعماء المهاجرين في مختلف مناطق وجودهم بالبلاد التونسيّة.

1 ــ رسائل المهاجرين إلى الباي والوزير الأكبر والمقيم العام الفرنسي بتونس.

كانت الرسائل أوّل خطوات العمل السياسي التي قام بها المهاجرون السياسيّون على صعيد نشاطهم السياسي في تونس لفضح السياسة الغاشمة التي سلكتها ايطاليا ضدّ الشعب اللّيبي، حيث وجهوا جملة من الرسائل إلى كلّ من : أحمد باشا (باي تونس) والوزير الأكبر، والمقيم العام للحكومة الفرنسية بتونس، يشرحون لهم فيها الأوضاع التي آلت إليها الحياة داخل ليبيا من جرّاء سياسة التعسّف والقمع التي تمارسها إيطاليا ضدّ الشعب اللّيبي الأعزل، وتوضح الرسائل الظروف الصعبة التي تمّت بها الهجرة، وما صاحبتها من مشاق ومخاطر أودت بحياة الكثير من النساء والأطفال والشيوخ نتيجة العطش والجوع، ولا سيما أنّ حركة الهجرة تمّت في ظروف صعبة، وعبر الصحراء الجرداء المقفرة الممتدّة عبر المنطقة الحدودية الجزائريّة التونسيّة اللّيبيّة[19].

ومن خلال دراسة وتقويم هذه الرسائل من حيث المحتوى والشكل برزت لنا عدّة ملاحظات نذكر منها :

1 ــ الرسائل كتبت بخطّ مشرقي جميل، وروعي فيها الوضوح من حيث الخط والتعبير.

2 ــ الرسائل في مجملها تفضح الممارسات الوحشيّة التي مارستها السلطات الايطالية إزاء الشعب الليبي.

3 ــ توضح الرسائل الظروف الصعبة التي يعيشها المهاجر اللّيبي في ذلك الوقت بالجنوب التونسي، نظرا إلى الظروف المعيشيّة والمناخيّة الصعبة التي يتميّز بها الجنوب الذي يغلب عليه الطابع الصحراوي الجاف، وإن توفّرت بعض فرص الشغل بالمناجم في كل من الرّديّف، المتلوّي، أم العرائس، المضيلّة، إلّا أنّها لم تكن قادرة على استيعاب الأعداد الهائلة من المهاجرين.

4 ــ اعتمدت بعض الرسائل في ديباجتها على الأسلوب العتيق، من حيث التفخيم والتمجيد والاطناب في ذكر المحسنات اللفظية التي تشيد بمناقب المرسل إليه، وخاصّة الرسائل الموجّهة إلى أحمد باشا باي، والوزير الأكبر.

(18) جريدة الصواب التونسية العدد 596 بتاريخ 1929/10/18.
(19) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 1.
«رسالة محمد بن الحاج حسن المشاي إلى أحمد باشا باي بتاريخ 11 رمضان 1349 الموافق مارس 1931».

يتحدّث محمد فكيني في رسالته إلى الوزير الأكبر بتاريخ 24 مارس 1936 عن الوظائف السياسية السابقة التي تقلّدها في منطقة الجبل الغربي «ويعد سيدنا مقدّم هذا العرض والبيان هو العبد محمد فكيني الرجباني الطرابلسي الذي كُنْتُ قد تقلّبت في عدّة وظائف مع الدولة التركية حتى نلت النواشين العالية والرّتب المهمّة، ولمّا ظهرت الدّولة الايطاليّة كنت متصرّفا بلواء الجبل الغربي الذي يحتوي على مقدار سبعة عمّال، وكنت أوّل من أعلن الحرب والجهاد حتّى سلمت الدّولة التركية، وأمرتنا بالتسليم فسلمت، وبقيت في مأموريتي ناظرا على الجبل الغربي»[20].

وفي رسالة أخرى بعث بها محمد فكيني إلى المقيم العام الفرنسي (الجنرال فرنسوا منصورون) الذي حكم تونس ممثلا لحكومة اليمين الفرنسي من سنة 1929 إلى 1933، وقد شرح فكيني في هذه الرسالة الظروف الصعبة التي يتعرّض لها المواطن اللّيبي من تشريد ونهب للأموال من قبل السلطات الايطالية، ويطلب من الحكومة الفرنسية أن تجعل له راتبا لمواجهة مصاريفه العائليّة.

«... وحيث إنّنا إبتلينا بالدّولة الايطالية الظالمة المستبدّة التي نهبت أموالنا وأخرجتنا من ديارنا واليوم لنا عشرون عاما نقاسي من الشّدائد والأهوال بين حرب وشدّ وارتحال إلى أن كمل ما بأيدينا من المواشي والأموال، والتقلّب في الأسفار وبعد الديار في تلك الفيافي المقفرة والصحاري المحرقة وصرنا في حالة يتأسف لها كل منصف صاحب شفقة ورحمة وحنان»[21] ويذكر فكيني في رسالته إلى المقيم العام الفرنسي أنّه عمل لصالح الدّولة الفرنسية عندما كان في الحكم، وقد مدحها ببعض القصائد بجريدة النجاح القسنطينيّة : «وقد مدحنا الدّولة الفرنساويّة وحضرة باي تونس المعظّم بقصائد شعريّة بجريدة النجاح القسنطينيّة».

ولم يمكث محمد فكيني طويلا في منطقة قفصة التي يوجد بها أعداد كبيرة من المهاجرين لينتقل بعدها إلى قابس، ويستقرّ هناك بالقرب من مقام سيدي أبو لبابة الأنصاري، نظرا إلى أنّه لم يتعوّد على تعاطي الأعمال الشاقّة التي تعتمد على النشاط العضلي باعتبار أنّه عاش موظّفا فترة طويلة من حياته، يقول في رسالته إلى الوزير الأكبر «...وحيث عجزنا عن الخدمة البدنيّة طلبت من مقامكم ومقام السيادة بعدّة أجوبة لنظر حالي بإجراء راتب لي لاقامة عيالي، وتخديم أولادي بالأقلام العربية مع العمّال وبجعل أحدهم معلمّا باللغة العربية لأنّه مقتدر»[22].

---

(20) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 1.
«رسالة محمد فكيني إلى الوزير الأكبر بتاريخ 24 مارس 1936».

(21) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 1.
«رسالة محمد فكيني إلى المقيم العام الفرنسي بتاريخ 15 شوال 1349 هـ الموافق 15 مارس 1931».

(22) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 1.

أمّا أحمد راسم بك كعبار الغرياني الذي استقرّ بمنطقة (حاجب العيون) فقد جاء في احدى رسائله إلى أحمد باشا باي «... حيث أني أحد مهاجري طرابلس الغرب ومنكوبيها الذين ضاع دمنا هدرا ومالنا وما يكتسب فتركنا كلّ ما لدينا وهو ملك لنا فصار ملك غيرنا وفيه يتمتّعون، ونحن فضّلنا الهجرة على البقاء»[23].

وإذا كانت مراسلات محمد فكيني وأحمد راسم كعبار قد اقترن بعضها بالمصالح الشخصيّة من خلال طلب العون والمساعدة لهما ولأفراد أسرتيهما من باي تونس، والمقيم العام الفرنسي بالاضافة إلى مغادرتهما المكان الذي يحتضن أكبر تجمّع للمهاجرين اللّيبيّين وهي منطقة قفصة فإنّنا نجد مراسلات محمد بن الحاج حسن المشاي تتجاوز المصلحة الشخصيّة سواء منها الموجّهة إلى (الباي) أو (المقيم العام الفرنسي) لترقى إلى المستوى الحقيقي للقيادي المسؤول الذي يؤثر مصلحة الجماعة على مصلحته الشخصيّة، وقد استمرّ محمد بن الحاج حسن المشاي في منطقة قفصة ضمن الآلاف من المهاجرين، ولم يغادرها إلى أن حان وقت عودته إلى ليبيا، يقول في إحدى رسائله الموجهة إلى أحمد باشا باي «إلى حضرة جناب الشهم الغيّور سعادة أحمد باشا باي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته من الشعب الطرابلسي المظلوم، لمّا كانت خدمة الوطن فرضا على كلّ من له حساسات وشعور وطنيّة، اجابة لرغبة لأجل الاطلاع على أحوال أمتنا والدّفاع عن مصالحهم بدون خشية وملل، وحرصا على التخفيف والرّغبة في إنهاض الشعب بطرق مفيدة ووسائل مناسبة لدرجته إلى أن يصل إلى مستوى العزّ ونقف مرفوع الرأس غير خاجل قبلت أن أقوم بهذه المشورة لأجل الاطلاع» ويضيف في رسالته شارحا وموضحا الوضعية التي يعيشها الشعب اللّيبي «لا تزال هذه الأمّة هدف للقنابل وللقذائف النارية والصواعق الجهنّميّة فصارت هذه الأمّة تستغيث فلم تجد مغيثا وتصرخ فلم تسمع مجيبا قد تقطّعت بها الأسباب وعوزتها الوسائل وسدّت في وجهها السّبل وعدوها الجائر يتربّص بها الدّوائر وأمطرت عليها سحاب الظلم بل هي الحكومة الايطاليةعلى الحق بمعزل ليس عندها سياسة ولا عدالة مثل الدولة العثمانية».

ويختم المشاي رسالته بتوجيه الدّعوة إلى باي تونس لمساعدة هؤلاء المهاجرين الذين ضاقت بهم سبل العيش «إنّ هذه الأمّة المظلومة المسكينة التجأت إليكم، وترفع هذا النداء ليصل إلى عنان السّماء»[24].

إنّ هذه الرسائل في مجملها تتميّز بقيمتها الاعلاميّة، من خلال الشروحات التي احتوتها حول الظروف المأساويّة التي يعيشها الشعب اللّيبي، والتي من خلالها أمكن للسلطات الحاكمة في تونس الاطلاع على حقيقة الواقع الذي يعيشه المواطن اللّيبي سواء

---

(23) نفس الملف.

(24) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 1.

داخل ليبيا أو خارجها، وقد جاءت هذه الرسائل في وقت اشتدّت فيه الدّعاية الايطاليّة تجاه القضيّة اللّيبيّة.

وإذا نظرنا إلى القيمة الحقيقيّة للرسائل من ناحية العمل السياسي فإنّنا نجد أنّها تمثّل جانبا متواضعا أمام النّشاط الفعلي الذي قام به بعض المهاجرين السياسيّين في تونس، والذي ارتكز في الأساس على العمل السياسي المنظم من خلال اللّجنة التنفيذيّة للجاليات الطّرابلسيّة البرقاوية بتونس.

لم ينطلق العمل السياسي المنظم من خلال اللّجنة التنفيذيّة للجاليات الطرابلسيّة ــ البرقاوية الّا بعد سنة 1929 تاريخ تأسيس الجمعيّة، حيث كان العمل قبل ذلك ينحصر في العمل السرّي المحدود، من خلال الكتابة في الصحافة بأسماء مستعارة، والاتصالات السرية مع بعض تجمّعات المهاجرين[25].

وفي 18 أكتوبر 1929 نشرت صحيفة الصواب التونسيّة[26] الرسالة الموجّهة من بشير السعداوي رئيس اللّجنة التنفيذيّة للجاليات الطرابلسيّة ــ البرقاوية بدمشق إلى عموم الجالية الطرابلسيّة بالقطر التونسي، وقد جاء في هذا البيان (وغني عن البيان أن الجدال اليوم أصبح لا يقوم بالسيف وحده بل لا بدّ له من أقلام تعزّزه، وأراء تؤيّده ولذلك فإن اللّجنة التنفيذيّة منذ تألّفت أخذت على عاتقها الدّفاع عن حقوق الأمّة الطّرابلسيّة البرقاوية، والمطالبة بتحقيق الميثاق الوطني)[27].

وقد تضمّن البيان الذي نشرته جريدة الصواب نصوص الميثاق الوطني الذي يطالب به اللّيبيّون في الدّاخل والخارج، من ذلك :

1 ــ تأليف حكومة وطنية ذات سيادة قومية.

2 ــ دعوة جمعيّة تأسيسيّة لسنّ دستور للبلاد.

3 ــ انتخاب الأمّة مجلسا نيابيّا حائزا على الصلاحيّة التي يخولها الدستور.

وقد لاقت رسالة بشير السعداوي التجاوب العميق، والعناية الفائقة من قبل المهاجرين وبخاصّة السياسيّين منهم، وقد كتب بعض هؤلاء إلى السعداوي على العنوان الذي نشر ضمن الرسالة الموجّهة للمهاجرين، وقد أجابهم السعداوي على الفور، وزوّدهم بالطّريقة والكيفيّة التي تمكّنهم من تأسيس جمعيّتهم[28].

---

(25) ورد ذلك في المقابلة التي اجريتها مع الاستاذ أحمد زارم بمدينة طرابلس بتاريخ 1990/6/20.
(26) صحيفة الصواب التونسية العدد 596 بتاريخ 1929/10/18.
(27) نفس المصدر.
(28) زارم أحمد **مذكرات** ص 122.

تأسيس الجمعيّة :

كانت بنود الميثاق الوطني الأرضيّة التي انطلق منها عمل الجمعيّة باعتبار أنّ الميثاق يمثّل مطمح اللّيبيّين في الوصول إلى استقلال بلادهم، وقد تركّز نشاط الجمعيّة في البداية على شخصيّتين هما، أحمد زارم خليفة الرحيبي، الذي كان يعمل سائقا بأحد المحلّات التجاريّة الكبرى لبيع الآلات الزراعيّة بتونس العاصمة، ومحمد عبّاس المصراتي الذي كان طالبا بجامع الزيتونة المعمور[29].

ومنذ تأسيس الجمعيّة اقتدت بالمنهج والبرنامج اللذين تسير عليهما اللّجنة التنفيذيّة للجاليات الطرابلسية البرقاوية في دمشق، حيث أصبحت تحمل نفس الاسم، اللجنة التنفيذيّة للجاليات الطرابلسة البرقاوية بتونس.

وقد سعت اللّجنة منذ انطلاق نشاطها إلى استقطاب العديد من العناصر للدخول في عضويّة اللّجنة، واستطاعت الجمعيّة خلال فترة قصيرة كسب الكثير من الأعضاء الجدد خاصّة الطّلبة اللّيبيّين بجامع الزيتونة[30].

أهم نشاطات الجمعية :

1 ــ نشر الأخبار التي تصل إلى الجمعيّة حول تصرّفات الايطاليّين داخل ليبيا عن طريق الجرائد.

2 ــ توزيع المناشير على أفراد الجالية الليبيّة، تدعوهم للتّمسّك بمواقفهم النضاليّة وعدم التأثّر بأبواق الدعاية الفاشستية.

3 ــ القيام بالاتصالات المباشرة بتجمّعات المهاجرين في مختلف المناطق بالبلاد التونسيّة[31].

4 ــ احياء المناسبات التي لها علاقة بليبيا مثل ذكرى إعدام الشيخ عمر المختار يوم 1931/9/16[32].

5 ــ التنسيق لعقد بعض المؤتمرات لدراسة أوضاع الجالية اللّيبيّة يشارك فيها كل الزعماء والأعيان من المهاجرين اللّيبيّين في مختلف المناطق بتونس.

6 ــ التعاون مع قيادات الحزب الحرّ الدستوري التونسي ودعم المواقف النضاليّة للشعب التونسي ضدّ سياسة فرنسا[33].

---

(29) زارم أحمد **مذكّرات ص** 123.
(30) زارم أحمد **نفس المصدر ص** 140.
(31) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 1.
(32) **نفس المصدر ص** 306.
(33) ورد هذا المعطى في المقابلة التي أجريتها بحلق الوادي بمدينة تونس بتاريخ 1990/9/10 مع أحمد عباس (مواليد 1923 بمدنين) مناضل في صفوف الحزب الدّستوري القديم، ومن المنشقين عن سياسة الحبيب

وفي سنة 1934 إنضمّت مجموعة من الأعضاء الجدد إلى الجمعيّة، بعد أن انتشر نشاط الجمعيّة بين صفوف المهاجرين من خلال التأثير، والبيانات التي تصدرها، والتي توزّع على نطاق واسع[34].

اسم العضو	الجهة التي ينتسب إليها في ليبيا	صفته في المهجر
محمد شكري كويدر	بنغازي	عامل بحدائق حكومية ــ تونس
عبد القادر الورفلي	بني وليد ــ ورفلة	استاذ بالتعليم الحر ــ تاجروين
المبروك عمر الغرياني	غريان	طالب بجامع الزيتونة
أحمد تريفيس	زليطن	تاجر مواد غذائية
رمضان حسن طالب	سوق الجمعة	طالب بجامع الزيتونة (المدرسة القا
محمد غالب الكيب	صبراتة	استاذ تعليم حرّ
عمر مالك الغدامسي	غدامس	طالب بجامع الزيتونة
سالم النعيمي	تاجوراء	طالب بجامع الزيتونة
محمّد فياض الغدامسي	غدامس	طالب بجامع الزيتونة
مفتاح الدقيني	ساحل الاحامد، زليطن	تاجر مواد غذائية ــ تونس
مفتاح غليليب	زليطن	تاجر مواد غذائية ــ تونس
رمضان الفرجاني	ترهونة	أستاذ بالتعليم الحرّ
محمد خليفة بن عامر	ورشفانة	تاجر بالجملة ــ تونس
ابراهيم محمد السويحلي	زليطن	طالب بجامع الزيتونة
محمد علي الشعثاني	ككلة	صاحب مخبزة ــ تونس

ويلاحظ على الأعضاء المنتسبين للجمعيّة، أنّهم ينحدرون من مختلف المناطق في ليبيا من المنطقة الشرقيّة (بنغازي) ومن المنطقة الغربية (طرابلس) ومن الجنوب (غدامس)، إضافة إلى أنّهم يمثّلون مختلف الشرائح للمهاجرين منهم الطلبة، المعلّمون، العمّال، المثقّفون.

وبازدياد أعضاء اللجنة توسعت دائرة عمل الجمعيّة، التي أصبحت تعرف بجمعية الدفاع عن طرابلس وبرقة بتونس، وأصبح أحمد زارم الكاتب العام لهذه الجمعية، التي كان في مقدّمة اهتماماتها التصدّي للاعلام الايطالي الفاشي.

بورقيبة، وقد أفادني بأن محمد الشعثاني شيخ الطرابلسية بمدينة تونس وعضو جمعية الدّفاع عن طرابلس وبرقة قام باخفاء عدد 2 أكياس كبيرة معبأة بوثائق سرية على ذمة أحد أعضاء الحزب الدّستوري الذي كان منزله معرض للتفتيش من قبل الشرطة الفرنسية، وكان ذلك العمل في ذلك الوقت يعد من الأعمال الخطيرة.

(34) زارم أحمد **نفس المصدر** ص 140.

مواجهـة الاعـلام الفـاشـي :

مثلما استغلّت إيطاليا الدّعاية الاعلاميّة في تهيئة الرأي العام الأوروبي والايطالي في التمهيد لغزوها لليبيا سنة 1911[35] استعملت نفس الأسلوب الدّعائي في توطيد أركانها بليبيا، ولا سيما بعد وصول الحزب الفاشيستي للحكم سنة 1922.

وكانت السلطات الايطاليّة قد عمدت إلى وضع برنامج دعائي مغرض للاشادة بالنظام الفاشي الذي يتزعمه (موسوليني)، والذي كان يتملّكه هوس وجبروت العظمة للسيطرة على العالم، وإدخاله تحت الهيمنة الفاشستية، وكانت تونس تقع ضمن مستهدفات المخطّط الفاشستي نظرا إلى أنّه يوجد فيها عدد كبير من الجالية الايطالية، اضافة إلى أنّها تحتضن المهاجرين الليبيّين السياسيّين الذين يشكّلون خطرا على الوجود الفاشيستي بليبيا، لذلك ركزت مجموعة من القنوات الدعائيّة على الساحة التونسية منها :[36]

1 ــ القنصلية الايطاليّة بتونس،
2 ــ المركز الثقافي الايطالي الذي يعرف باسم الدانتي اليغاري
3 ــ صحيفة كوكدي
4 ــ صحيفة الوحدة
5 ــ إذاعة باري BARI الموجهة والتي تبثّ برامجها باللّغة العربيّة.

ومن الأنشطة الدعائيّة الفاشستيّة الأخرى، نشاط المصالح السرية الايطالية في توزيع العديد من الكتب والمجلات والجرائد المخصّصة للدّعاية داخل الأوساط التونسيّة والايطاليّة. وكانت الدّعاية الايطالية موجهة أساسا إلى الشعب التونسي، والمهجرين اللّيبيّين، والمالطيّين، واليهود بتونس[37].

وفي سنة 1937 أرسلت الحكومة الايطالية مبعوثين عنها إلى تونس، وقد تجول هؤلاء في المناطق التي يوجد فيها مهاجرون ليبيّون بصورة مكثّفة، وذلك لحثّهم على الرجوع إلى بلادهم، مع مدّهم بالعديد من الوعود، والتشجيعات، من ذلك تسوية موضوع أملاكهم وعقاراتهم المغتصبة.[38]

وإذا كانت الحكومة الايطالية صادقة في وعودها، لماذا تمّ اختيار هذا الوقت بالذات لحثّ المهاجرين للعودة إلى بلادهم؟

(35) البوري عبد المنصف حافظ **نفس المصدر ص** 134.
(36) التيمومي الهادي **نفس المصدر** ص 134.
(37) KHALED AHMED, Documents secrets du 2ème bureau Tunis-Maghreb dans la conjoncture de pré-guerre 1937-1940 Société Tunisienne de Diffusion, pp. 59, 60.
(38) KHALED AHMED. 72.

ألم تكن هناك أسباب محرّكة لذلك تتزامن مع هذا الأسلوب المفاجىء في السياسة الايطاليّة؟.

إنّ هجرة اللّيبيّين في أساسها لم تتمّ إلّا نتيجة للضغوطات والممارسات القهرية التي سلكتها السلطات الايطاليّة إزاء المواطنين من سلب للأرض والممتلكات، إلى نصب المعتقلات الجماعيّة والزّج بالنساء والشيوخ والأطفال بها بلا هوادة، وبأسلوب وحشي، وهو ما أجبر الأهالي تحت وطأة هذه الظروف القاسية إلى الهجرة بحثا عن مناطق الاستقرار والعيش.

إنّ ايطاليا التي تدعو المهاجرين إلى العودة إلى بلادهم سنة 1937، كانت قبل هذا التّاريخ ترغمهم على الهجرة، وتطارد الجماعات المهاجرة، وتقصفها بالطائرات[39] حتى المنطقة الحدوديّة بين تونس وليبيا، والتي تشرف عليها القوات الفرنسيّة[40].

وواضح من الوثيقة التي كتبت من قبل أحد زعماء المهاجرين الذين عاشوا ظروف مراحل الهجرة خطوة خطوة أن المطاردة والتنكيل كانا مسلطين على المواطنين اللّيبيّين حتّى يغادروا آخر شبر من تراب الوطن، لكن ايطاليا تتراجع عن هذه السياسة في سنة 1937، وتعمد إلى أسلوب الترغيب لحث المهجرين على العودة إلى ديارهم.

إنّ الأسباب الحقيقيّة التي تكمن وراء ذلك هو الظرفيّة التاريخيّة التي أصبحت تعيشها إيطاليا في ذلك الوقت، وهو تنامي المدّ الفاشيستي الامبريالي لاكتساح العديد من الاجزاء في العالم لتحقيق أحلام (موسوليني)، وترى إيطاليا أن وجود مهاجرين ليبيّين خارج بلادهم قد يعطي صورة معاكسة للدّعاية الفاشستية، وإضافة إلى ذلك أن عدد المهاجرين السياسيّين، قد وصل رقما قياسيّا إذ كان في بداية عام 1938 (6000) فرد، وهو ما يشكّل خطورة على السياسة الايطاليّة، وعلى الوجود الايطالي بليبيا، وضمان عودة هؤلاء المهاجرين السياسيّين في ذلك الوقت يخدم مصلحة إيطاليا للأسباب الآتية :

1 ــ إنّ وجود هؤلاء السياسيّين داخل ليبيا يسهّل على السلطات الايطاليّة مراقبتهم والتّحكّم في أنشطتهم.

2 ــ يصبح في إمكان السلطات الايطاليّة تصفية الحساب مع كل من يشكّل خطرا على مصلحة إيطاليا سواء عن طريق الزّج به في السجن، أو التصفية الجسديّة.

(39) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 1.

(40) يصف أحد المهاجرين الليبيين، وهو محمد بن الحاج حسن المشاي، مطاردة القوات الايطالية التي حاصرتهم برّا وجوّا إلى أن دخلوا التراب التونسي، يقول : «في سنة 1930 فاجأنا عدوّنا بالطيارات، وصاروا يضربوا في الناس، والابل حتي ماتت ناس كثيرة وإبل، وأمّا الجرحى كثيرون، مدّة شهرين والطيارات مداولات علينا بالضرب، فأمرا الناس بالرّحيل فرحلت، وصاروا يتبعوا فينا، ويضربون مسافة خمسة عشر يوما حتي بلغنا حدود دولة فرنسا الفخيمة والطيارات يضربوا فلمّا شافهم الفسيان بالحدود بين الداربوات فبطلوا الطيارات من الضرب ورجعوا».

3 ــ تجنّب الوقوع في إحراجات مع السلطات الفرنسيّة التي تعتبر حامية التراب التونسي، والتي كان لها موقف من النّشاط السياسي للمهاجرين.

موقف السلطات الفرنسيّة من نشاط المهاجرين السياسيّين :

بدأت سلطات الحماية الفرنسية منذ أن أحسّت بتحرّك بعض العناصر اللّيبيّة في ممارسة بعض الأنشطة السياسيّة بوضع رقابة صارمة لتتبّع تحركاتهم، ورصد كافة الاتصالات التي يقومون بها. وممّا يجدر ذكره أن حكومة اليمين الفرنسي كانت قد عيّنت (PERETTON بيروتون) مقيما عاما بتونس خلال الفترة 1933 - 1938، وقد تميّز حكم هذا المقيم بالشّدّة والصّرامة، وتكبيل الحريات، وممارسة القمع والارهاب ضدّ المواطنين.

وجاء في التقرير رقم 360 الذي أعدته المخابرات الفرنسيّة بتاريخ 1938/4/26 تحت عنوان (استعلامات حول الاسلام) الاشارة إلى متابعة جهاز الأمن الفرنسي لنشاط جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي التي يترأسها بشير السعداوي في دمشق، والعلاقة التي تربطها بفرعها في تونس الذي يديره أحمد زارم بن خليفة الطرابلسي، ومحسن ظافر المدني[41].

ان هذا التقرير الذي هو واحد من جملة من التقارير التي أعدتها المخابرات الفرنسية يوضح بجلاء اهتمام الأجهزة الفرنسية بمتابعة نشاط وتحركات عناصر هذه الجمعيّة منذ ميلادها سنة 1932 في مدينة دمشق، وذلك لأنّ سلطات الحماية الفرنسية كانت تخشى أن تنتقل هذه العدوى إلى تونس، وهو ما سوف يسبب لها العديد من المشاكل لا سيما وأن أنشطة الجمعيّة ترتكز أساسا على فضح سياسة الاستعمار الاستيطاني، وان كان الخطاب موجّها إلى إيطاليا الفاشستية إلّا أنّ فرنسا تحسّ بأنّها قاسم مشترك لايطاليا، فهي تحتلّ أرضا عربيّة، وتتحكّم في مقاليد ومقدرات شعب عربي.

وفي تقرير سرّي أرسله مدير الأمن إلى المقيم العام الفرنسي بتاريخ 1 مارس 1939 جاء فيه : «المدعوان، أحمد زارم، طرابلسي مقيم في صلامبو ــ كاتب عام جمعيّة الدّفاع الطرابلسي في تونس. محمد شكري، طرابلسي، 18، نهج الدبّاغين، رئيس الجمعيّة المذكورة قاما لدي بالمساعي التالية، يريدان رخصة جولان بداخل البلاد للاتّصال برفقائهم بالمتلوّي، أم العرائس، سبيطلة، تاجروين، الجريصة، القيروان، صفاقس، قابس، وكذلك في الوطن القبلي، الكاف، سليانة، باجة، ماطر، وبصفة عامّة في المناطق الموجود بها (الطرابلسيّة) يريدون تشجيعهم للثّبات ضدّ الدّعاية الايطالية الموجّهة ضدّهم، ولحثّهم للعودة إلى طرابلس»[42].

(41) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 1.

(42) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 1.

وقد تعدّدت قنوات الاتصال والعمل السياسي للمهاجرين اللّيبيّين في تونس، ففي الوقت الذي أسّس فيه أحمد زارم ومحمد شكري فرعا لجمعيّة الدّفاع بتونس، قام محسن ظافر بنشاط مماثل، ونرجح أنّه لم يكن على وفاق مع أحمد زارم ومحمد شكري لذلك كان على اتصال بجمعيّة الدّفاع الطّرابلسي البرقاوي في دمشق، واستغلّ عمله كتاجر للاتصال بالمهاجرين في كلّ المناطق التونسيّة، وقد أثار تحركه هذا جهاز المخابرات الفرنسيّة، حيث رصدت جميع الاتصالات التي قام بها، وقد أعدت ادارة الأمن العام تقريرا (سريّا)أرسل إلى المقيم العام الفرنسي بتونس بتاريخ 1939/5/8 جاء فيه «يشرفني إعلامكم أن السيد/محسن ظافر تاجر الآلات الصوتية 117 نهج القصبة غادر تونس في عشيّة يوم 1939/5/6، المدعو تحول إلى أهمّ المناطق المنجمية بالبلاد وتحت غطاء عملية تجارية اتّصل بعناصر طرابلسيّة.

محسن بن محمد ظافر المدني المولود بطرابلس 1889 والذي التجأ إلى تونس 1915 قام باتّصال بقادة (لجنة الدّفاع الطّرابلسي البرقاوي) والتي مقرّها في دمشق، وجلب في عدّة مرّات انتباه الشرطة بالدعاية التي قام بها لدى المهاجرين اللّيبيّين لاقناعهم للرّجوع إلى طرابلس، ويعتبر لدينا شخصا مشبوها فيه، والذي يتصرّف تجاه بلادنا لم يكن محدّدا بصفة واضحة، والذي كان مشبوها فيه سابقا بالدّعاية ضدّ إيطاليا التي قام بها في شهر مارس وأبريل الماضيين إثر جولة مماثلة دامت 45 يوما في الوسط ــ سوسة، صفاقس، سيدي بوزيد، قفصة، المتلوّي، توزر، نفطة، المضيلّة، الرديف، أم العرائس، القصرين، الحاجب، سبيطلة، الكاف.

وحسب تصريحه قد قام بالاتصال في جميع هذه المناطق بالعناصر اللّيبيّة، ولم يحصل على نجاح من ناحية تجارية، وتنقّله يظهر أو يبدو لغاية الدّعاية ولا للقيام بعمليات تجاريّة أو تحسين وضعه التجاري الذي هو متدهور، وتجدر الاشارة بهذه المناسبة أن محسن ظافر اتّخذ موقفا ضدّ المدعوين، أحمد زارم ومحمد شكري اللذين كوّنا في تونس العام الماضي منظمة تونسيّة تدعى (جمعيّة الدفاع) أهمّ الأشخاص الذين على اتّصال بمحسن ظافر في تونس :[43]

الشيخ محمود بن اسماعيل : تاجر بصفاقس.
الحاج اسماعيل بن اسماعيل : تاجر بالمتلوّي.
علي بوستّة : مشرف بمنجم المضيلة.
حسين الفيتوري : مشرف بمنجم المضيلة.
الشيخ الغطاسي : مشرف بمنجم المضيلة.
العربي شقلوف : تاجر بالرديف.
محمّد بن سليمان : تاجر بالرديف.

(43) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 5.

محمد الترهوني : تاجر بالرديف
محمد بن حسين : بدون عمل بالرديف.
محمد رحيمة : تاجر.
الشاوش مراد : تاجر.

إنّ هذه التقارير تبرز جملة من الحقائق منها صعوبة ممارسة العمل السياسي في تونس في ظلّ إدارة الحماية الفرنسية التي تحجر القيام بأي عمل سياسي الّا بإذن مسبّق من ادارة الأمن، وبما لا يتعارض ومصلحة الحماية الفرنسيّة، لذلك كان نشاط المهاجرين اللّيبيّين محدودا في هذا الجانب، على الرّغم من تحمّس الكثير من العناصر القياديّة له.

الملاحظة الأخرى التي تبرزها هذه التقارير، والتي شكّلت في حدّ ذاتها عائقا في إنجاح نشاط المهاجرين السياسيّين، وهو تشتّت الجالية اللّيبيّة في مناطق مختلفة من البلاد التونسيّة من أقصى الشّمال إلى أقصى الجنوب، وهو ما يجعل أمر الاتصال بهم، وجمعهم من الصعوبة بمكان، لا سيما وأنّ ظروف المواصلات في ذلك الوقت شاقّة وان وجدت بعض الوسائل فهي نادرة وباهظة التكاليف، وهو ما أثر على التئام المؤتمر العامّ للمهاجرين بمدينة تونس.

المؤتمر العام للجمعيّة :

يتكوّن المؤتمر العام للمهاجرين من القيادات السياسية، وزعماء المهاجرين في مختلف المناطق بالبلاد التونسيّة.

وقد سعت اللّجنة التنفيذيّة للجاليات الطّرابلسيّة البرقاوية منذ تأسيسها للاعداد لعقد المؤتمر العام للمهاجرين، الّا أن الصعوبة كانت تكمن في الحصول على الاذن من السلطات الفرنسيّة لالتئام المؤتمر، وكانت ردود السلطات الفرنسيّة بعدم الموافقة على عقد المؤتمر[44] ونتيجة لذلك اقتصر أعضاء الجمعيّة على اجراء اتصالاتهم الشخصيّة بزعماء المهاجرين، وعن طريق الرسائل.

وفي سنة 1939، وبعد جهود مضنيّة أمكن للجنة الحصول على الموافقة لعقد المؤتمر يوم 1939/7/17[45] وقد حضر الاجتماع :

أوّلا : أعيان المهاجرين من خارج مدينة تونس
محمد حسن المشاي المشاشة
سالم عبد النبي الزنتان
محمد غالب الكيب العلالقة
عمر ضياء المدفعي ككلة

(44) شعبة الوثائق والمخطوطات بمركز الجهاد ــ طرابلس. ملف 62 و 10.
(45) زارم أحمد **مذكّرات** ص 20.

محمد خليفة بن عامر	ورشفانة
علي محمد أبو ستة	المنشية ــ سوق الجمعة
حسن رضا	النواحي الأربعة
الجابري الصويعي	الختنة ــ النواحي الأربعة
محمد أحمد عريقيب	زليطن
حميدة علي المطماطي	بنغازي
أحمد الحاج خليفة بن مبارك	نالوت
محمود العش	طرابلس
مفتاح أحمد عريقيب	زليطن
الحاج اسماعيل بن اسماعيل	مصراتة

ثانيا : أعيان المهاجرين داخل مدينة تونس، وهم الأعضاء باللجنة التنفيذيّة.

استمرّ المؤتمر مدّة ثلاثة أيّام، لم يستطع التوصّل إلى نتيجة تذكر، بل كانت السمة البارزة داخل المؤتمر الصراع حول رئاسة الجمعيّة، وقد تدخّل الشيخ محمد حسن المشاي الذي كان أكبر الأعضاء سنّا لفض الاشكال[46] (هاكم رأي في الجمعيّة بعد سماعي مناقشاتكم التي استغرقت وقتا طويلا، رأيي : أن الناس الذين أسسوها وسيّروها كامل هذه المدّة الطويلة، ووصلوا بها إلى هذا المستوى من تلقاء أنفسهم، وبدافع من شعورهم، فاحيوا بها في نفوسنا ماضيا كدنا ننساه، وثأرًا طالما انتظرناه).

وعلى إثر هذا المؤتمر طلبت السلطات الفرنسية من الكاتب العام لجمعيّة الدّفاع الطرابلسي البرقاوي تغيير اسم الجمعيّة إلى جمعيّة التوادد والتراحم الاسلامي حتى لا تتعرّض الجمعيّة إلى المضايقات والمخاطر من قبل السلطات الايطالية، على أن تستمرّ الجمعيّة في نشاطها الذي اسست من أجله.[47]

وعندما بدأت نوايا الانجليز في تقسيم ليبيا قامت الجمعيّة كردّ فعل على مشروع التقسيم بتغيير اسم الجمعيّة إلى (جمعيّة الوحدة الليبيّة) بعد الحرب العالمية الثانية.

وعلى الرغم من القيود المفروضة من قبل سلطات الحماية الفرنسية فإنّ الروح الوطنية ظلّت حيّة في نفوس المهاجرين، يتّضح ذلك من المواقف المسجّلة للمهاجرين في كلّ القضايا الوطنيّة والقوميّة التي طرحت في ذلك الوقت، والتي عاشتها الساحة العربيّة من ذلك تهريب الأسلحة والذخيرة، وتزويد المقاومين في كلّ من طرابلس وجنوب الجزائر بهذه الأسلحة.[48]

(46) زارم أحمد **مذكرات** ص 203.

(47) جاء ذلك في المقابلة التي أجريتها مع الاستاذ أحمد زارم في مدينة طرابلس بتاريخ 1990/6/20.

(48) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 5.

أحمد زارم

هو أحمد زارم خليفة الرحيبي[49] الكاتب العام لجمعيّة الدّفاع عن طرابلس وبرقة بتونس،[50] من مواليد (بلدة الرحيبات) بالجبل الغربي بليبيا سنة 1906 تقريبا.

هاجرت أسرته إلى تونس إثر الغزو الايطالي إلى ليبيا سنة 1911، وكان قد تلقّى تعليمه في أحد مساجد بلدته الرحيبات، حيث درس القرآن الكريم، وبعض مبادىء العلوم الدينية.

بدأ نشاطه السياسي في المهجر بتونس من خلال الكتابة في بعض الصحف التونسيّة والمصريّة والجزائريّة والفرنسيّة للتنديد بسياسة ايطاليا ضدّ الشعب اللّيبي، وكانت أغلب تلك الكتابات تتمّ تحت أسماء مستعارة خشية التعرّض لوسائل القمع والارهاب التي تسلّطها السلطات الايطاليّة على رقاب الشعب اللّيبي.

وكان أحمد زارم من أوّل الذين تجاوبوا من المهاجرين الليبيّين مع النّداء الذي وجّهه بشير السعداوي من دمشق، ونتيجة ذلك التجاوب كان تأسيس الجمعيّة بتونس التي تولّى أحمد زارم الكتابة العامّة بها.

في سنة 1939 ساهم أحمد زارم رفقة محمد توفيق الغرياني وعون محمد سوف في الدّخول في مفاوضات مع الحكومة الفرنسيّة بالجزائر للقيام بعمل ثوري مضادّ لايطاليا يتمّ فيه توزيع السلاح على المهاجرين اللّيبيّين في كلّ من تونس ومصر، وكان قد تمّ التنسيق بين المهاجرين في مصر والسلطات الانجليزيّة في نفس الغرض[51] بيد أن ذلك العمل لم يكتب له النجاح بسبب تراجع فرنسا عن وعودها.

في سنة 1948 عاد أحمد زارم إلى ليبيا ليبدأ نشاطه السياسي من جديد داخل البلاد بدل المهجر، وتولّى أمانة حزب المؤتمر العام الذي أسّسه بشير السعداوي، كما أنشأ أحمد زارم جريدة (شعلة الحرية) التي كان من أهدافها المطالبة بالاستقلال والدّعوة للانضمام إلى جامعة الدول العربية، ونتيجة لنشاطه السياسي، تمّ إبعاده من ليبيا في عهد حكومة (محمود المنتصر) حيث عاد مهاجرا بتونس[52] واستمرّ بتونس حتى سنة 1961، حيث رجع إلى ليبيا.

وقد انكبّ بعد هذه الرحلة الطويلة من النشاط السياسي والنّضالي على تأليف بعض الكتب والمذكّرات، من أهمّها مذكّراته حول هجرته بالبلاد التونسية.

(49) في المقابلة التي أجريتها مع الاستاذ أحمد زارم أفادني بأن كلمة زارم ليست في التركيبة الأصلية لاسمه، ولكن كان قد اختار كلمة زارم للتمويه على السلطات الايطالية.

(50) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 1.

(51) زارم أحمد **مذكرات** ص 229.

(52) زارم أحمد **نفس المصدر** ص 343.

موقف القنصليّة العامة الايطاليّة بتونس من عناصر الحركة الوطنية الليبيّة :

من الأدوار التي لعبتها القنصليّة العامّة الايطاليّة[53] بتونس، تتبع نشاط المهاجرين اللّيبيّن، وخاصّة السياسيّين منهم وحبك المؤامرات ضدّ عناصر (جمعيّة الدّفاع)، محاولة منها لافساد كل الأنشطة والمخطّطات التي يعتزمون القيام بها لمعاضدة إخوانهم المجاهدين، ومساندة حركة المقاومة في ليبيا، وكان ذلك يتطلّب منها جملة من الاجراءات أهمّها تتبّع نشاط هؤلاء السياسيّين، ومراقبة جميع تحركاتهم، ولتسهيل هذه المهمّة بعيدا عن الجانب القانوني — السياسي الذي قد تثيره الحكومة الفرنسيّة اعتبرت ايطاليا كل المهاجرين اللّيبيّين يدخلون في إطار (الرعايا الايطاليّين)، وذلك بعد أن تمكّنت من بسط نفوذها على الأراضي اللّيبيّة، الّا أنّ الحكومة الفرنسيّة كان لها موقف مغاير إذْ اعتبرت أنّ المهاجرين اللّيبيّين يعتبرون (لاجئين) داخل الحماية الفرنسيّة وذلك خدمة لمصالحها الاستراتيجيّة ويطبق بشأنهم ما يطبق على المواطن التونسي من ذلك أن المهاجر اللّيبي الذي يبلغ من العمر (18) سنة مطالب بخدمة الجنديّة.

وقد دخلت الدولتان في حوار حول هذا الموضوع[54]، وكانت الاشكاليّة القانونيّة تدور حول من هم الذين يمكن اعتبارهم رعايا إيطاليّين؟ هل هم كلّ المهاجرين اللّيبيّين الذين هاجروا إلى تونس قبل وبعد الاحتلال الايطالي على حدّ سواء؟[55]. أم أنّ الأمر يعني الذين هاجروا بعد الاحتلال الايطالي فقط؟ كلّ هذه الأسئلة طرحت على بساط البحث بين الجانبين الايطالي والفرنسي.

وكانت السياسة الفرنسية إزاء إيطاليا غير متصلّبة نتيجة عدّة أسباب أهمّها وجود جالية ايطالية كبيرة بتونس، والموقف الايطالي نحو دول الحلفاء، والذي اتّسم بالمد والجزر، على الرغم من خيبة الأمل التي أصابت ايطاليا من نتائج الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918.

وبعد العديد من الاجتماعات في تونس، والاستشارات التي تمّت عبر باريس وروما توصلتا إلى توقيع اتفاقية في 1914/6/25[56] تنصّ على أن يكون رعايا ايطاليّين في تونس اللّيبيّون الذين :

(53) وان كانت القنصلية العامة الايطالية بتونس تحمل طابع الدبلوماسية المتعارف عليها دوليا، الّا أنّ دورها أثناء الحرب الايطالية الليبية تحوّل الى وكر للجوسسة، والمخابرات نظرا إلى المسؤولية الكبيرة التي كانت مناطة بالقنصلية بسبب وجود جالية ليبية كبيرة بتونس، وقرب المسافة بين تونس وطرابلس.

(54) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 2.

(55) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 1.

(56) يمكن الرجوع إلى (أطروحتنا) لمعرفة المزيد حول المهاجرين الليبيين بالايالة التونيسة قبل سنة 1911، وعلى وجه الخصوص خلال القرن التاسع عشر.

1 — جاءوا ليستقرّوا في الايالة التونسيّة بعد 1912/10/28[57].

2 — الحاملون لجوازات سفر ايطاليّة مصدّقة من طرف السلطات القنصليّة الفرنسيّة.

إلّا أنّ هده الاتفاقية عندما بدأ تطبيقها على أرض الواقع صادفتها العديد من الصعوبات، من ذلك أن أغلب المهاجرين الليبيّين لم يكن تنقّلهم من طرابلس إلى تونس بواسطة جوازات أو وثائق سفر،وهو الأمر الذي يجعل من الصعوبة تحديد وضبط تواريخ هجرة الأفراد، بالاضافة إلى ذلك، أنّ من مميّزات الهجرة اللّيبيّة لى تونس، ان المهاجر لا يجد أيّة صعوبة في الاندماج داخل المجتمع التونسي المسلم بسبب وحدة اللّغة والدين والعادات والتقاليد، وكان هذا السبب قد خلق (اشكاليّة) للحكومة الفرنسية في إحصاء سنة 1936[58] عندما أرادت أن تعرف عدد المهاجرين اللّيبيّين، وكانت الصعوبة تكمن في أنّها في الكثير من الأحيان لا تستطيع التمييز بين من هو تونسي ومن هو ليبي.

كانت القنصلية العامّة الايطاليّة تتابع تحركات أعضاء اللّجنة التنفيذيّة للجاليات الطرابلسيّة البرقاويّة بتونس، والتي يترعّمها كل من : أحمد زارم، محمد عباس، محمد شكري ومحسن ظافر.

ومن خلال وسائلها الخاصّة استطاعت أن تحصل على معلومات كافية حول أنشطة الجمعيّة وتحرّكات أعضائها، ويبدو أن مصدر المعلومات في بعض الأحيان يكون أحد المهاجرين، لا سيّما وأنّ الكثير من المهاجرين كانوا يتردّدون على القنصليّة الايطاليّة بسبب تجديد جوازات سفرهم أو الحصول على وثائق باعتبارهم (رعايا ايطاليا)، وكانت القنصليّة الايطاليّة تستخدم هذه الورقة كوسيلة ضغط لتنفيذ مآربها، والوصول إلى مبتغاها.[59].

يقول أحمد زارم في مذكّراته : «وهكذا فمن هؤلاء الثلاثة وغيرهم مع وسائلها الخاصة الأخرى علمت سفارة ايطاليا بكلّ تحركاتنا وعرفت عناصرنا المتحرّكة فأخذت تفكّر في الطريقة التي تمكنها من تسديد ضربة قاضية لهذه الحركة التي وقفت في وجه دعايتها وشلّت مفعولها في منطقة هي تحلم بالاستيلاء عليها».

بعد أن تجمّعت المعلومات الكافية لدى القنصليّة العامّة الايطاليّة، ماذا كان موقفها؟ وما هي مخطّطاتها نحو الحركة؟.

في سنة 1937 بدأت القنصليّة العامّة الايطاليّة في تونس ترسم مؤامرتها لوضع حدّ لنشاط العناصر المتحرّكة في اللّجنة التنفيذيّة، وقد تولّى هذه المهمّة، القنصل العام الايطالي

(57) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 1.

(58) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 1.
تقرير الاقامة العامة الفرنسية بتونس إلى وزير الخارجية الفرنسي في تونس.

(59) زارم أحمد **مذكرات** ص 150.

بتونس (السنيور روسو)، وتمثّلت الخطّة في استدعاء أحمد زارم الذي يعتبر من أهمّ العناصر المتحرّكة في اللّجنة، وإقامته بمدينة تونس (الكرم) بينما بعض أعضاء اللجنة موزّعون في مناطق نائية، يصعب الوصول إليهم، لذلك تقرّر توجيه الدّعوة لأحمد زارم، عن طريق أحد الوسطاء للحضور إلى مقرّ القنصليّة العامّة الايطاليّة لمقابلة القنصل العام الايطالي، وقد أبدى الوسيط لأحمد زارم أنّ نية القنصل الايطالي حسنة، وهي تدخل في إطار تحسين العلاقات بين الجمعيّة والقنصليّة وفض المشاكل القائمة بينهما[60].

وبتدخّل من المناضل التونسي (محيي الدين القليبي)[61] عدل أحمد زارم عن فكرته بعد أن تمّ تحديد المقابلة مع القنصل الايطالي، لعدّة اعتبارات أهمّها :

1 ــ الموقف النضالي، والدور النبيل الذي عرف به محيي الدّين القليبي داخل أوساط المهاجرين اللّيبيّين.

2 ــ الوقع الحسن الذي تركته كلمة محيي الدّين القليبي في نفس أحمد زارم، والتي جاء فيها : (ألا تدري أنّ مبنى السفارة قطعة من أرض ايطاليا فإذا دخلت هناك فلا يستطيع إخوانك ولا نستطيع نحن انقاذك حتى مع علمنا بوجودك هناك[62].

وفي تقرير أرسله القنصل العام لايطاليا بتونس إلى الحاكم الايطالي بطرابلس بتاريخ 1931 تحت عنوان «المتمرّدون» جاء فيه (وردت معلومات إلى القنصليّة الايطاليّة بتونس بأن الحاج محمد فكيني موجود الآن في المتلوّي جنوب تونس)[63].

وتشير هذه الوثيقة إلى أن الحاج محمد فكيني يرغب في الرجوع إلى طرابلس، والابتعاد عن العمل السياسي، كما يرغب في العمل بأرضه[64] وأنّ عددا كبيرا من الليبيّين يريدون الرجوع إلى أرض الوطن بعد أن تأكّد لديهم عدم نية الحكومة الايطاليّة في تسليط بعض

(60) **نفس المصدر** ص 165.

(61) محيي الدين القليبي (1900-1954) من أبرز قادة الحركة الوطنية في تونس، تولى منصب مدير الحزب الحرّ الدّستوري التونسي، ومندوب اللجنة التنفيذية بالشرق وسكرتير جبهة الدّفاع عن شمال افريقيا بالقاهرة، وهو زيتوني قديم، تولى رئاسة تحرير (جريدة الارادة) التي كانت لسان الحزب الدّستوري، وكان رفيقا للشيخ عبد العزيز الثعالبي، ولمّا أراد الحلفاء بعد الحرب العالمية الثانية تقسيم ليبيا كان لمحيي الدين القليبي مساهمة جادة في توحيد برقة وطرابلس، وأرسل لهذا الغرض عمر الهمامي وأحمد عباس إلى طرابلس، ثمّ سافر سنة 1947 بنفسه إلى طرابلس وكان من المساندين للنشاط السياسي للمهاجرين بتونس.

(62) زارم أحمد **مذكرات** ص 165.

(63) وثائق دار المحفوظات التاريخية ــ طرابلس ــ الوثائق الايطالية ــ وثيقة رقم 13537.

(64) أن الدعوى بأن فكيني يرغب في العودة لخدمة أرضه (حسبما جاء في التقرير) أمر مستبعد في ذلك الظرف لأن كل أراضي المواطنين الصالحة للزراعة، وحتى العقارات المخصصة لسكانهم تمّت مصادرتها بالقوة من قبل السلطات الايطالية.

العقوبات عليهم، كما تشير الوثيقة إلى أنّ عبد النبي بالخير موجود في ذلك الوقت بالجزائر، ويرغب هو الآخر في العودة إلى أرض الوطن.

وتوضح الوثيقة أن عدد المهاجرين الليبيّين بالجنوب التونسي يبلغ 8.000 مهاجر ومن خلال المعلومات التي أتى بها هذا التقرير نرجح أن المصادر التي كانت تستقي منها القنصليّة الايطاليّة بتونس معلوماتها لم تكن دقيقة إذ أن محمد فكيني لم يمكث طويلا بالمتلوّي بل انتقل إلى قابس، وفي ذات التاريخ الذي أشير إليه في التقرير بعث فكيني إلى باي تونس من قابس (محلة جارة) وليس من المتلوي برسالة يطلب فيها المساعدة، واستخدام أولاده في بعض الوظائف[65].

ويبدو أن التفكير في العودة إلى ليبيا في ذلك الوقت (عام 1931) سابق لأوانه لعدّة أسباب أهمّها :

1 ــ ان الجرح الذي سببته ايطاليا للمهاجرين الليبيّين لم يندمل بعد، وأن المهاجرين لا يزالون يعانون من أتعاب الرحلة الطويلة التي طوحت بهم صوب الصحراء الجزائريّة، ثمّ نحو الجنوب التونسي، وأغلبهم في ذلك الوقت لا زال يبحث عن منطقة الاستقرار المناسبة بتونس.

2 ــ كانت الأوضاع في ليبيا في سنة 1931 أشدّ ما تكون عليه، إذ كان الجلاد (غراتسياني) يحاول بشتّى الأساليب القمعيّة القضاء على حركة الجهاد في ليبيا، وقد شهدت تلك السنة اعدام الشّيخ عمر المختار في شهر سبتمبر 1931.

وقبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، وخلال سنتي 1937 و 1938 كثّفت ايطاليا دعايتها لاغراء المهاجرين للعودة إلى بلادهم، وقد تأثّر بهذا الموقف بعض المهاجرين الذين سارعوا بالعودة يحدوهم الأمل في أن تكون ايطاليا وفيّة لوعودها، إلّا أنّ الواقع كان غير ذلك، ومن بين الذين عادوا إلى ليبيا أحمد راسم كعبار، والشيخ المبروك الخروش الذي أودع السجن حال وصوله، ثمّ نقل إلى إيطاليا عند بداية الحرب العالمية الثانية ضمن بعض العائلات الليبيّة، وقد لقي حتفه داخل غياهب السجون الايطاليّة.[66]

علاقة المهاجرين بالمنظمات الايطاليّة المناهضة للفاشية

في ايطاليا وخارجها كان هناك بعض المنظمات التي تدعي لنفسها مناهضة سياسة الحزب الفاشستي بإيطاليا بقيادة زعيمه (موسوليني) وفي تونس التي كان يوجد فيها عدد كبير من المهاجرين الايطاليّين كان من المؤكّد أن تجد هذه المنظمات المناهضة لسياسة الحزب الحاكم في ايطاليا الجو المناسب لكسب المزيد من الأنصار، لا سيما وأن المهاجرين

(65) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 1.

(66) زارم أحمد **مذكرات** ص 463.

الايطاليّين بتونس لهم ارتباط مباشر في حياتهم اليوميّة مع العرب، وأن الثروات والمكاسب التي حقّقوها جاءت من خلال استغلال ثروات عربيّة، وجهد العمال العرب.

ان سياسة الحزب الفاشيستي الايطالي، ستجلب لهم الحقد والكراهية من قبل السكان العرب، لذلك كان تأييدهم ودعمهم لهذه المنظمات التي كان من أبرزها منظمة (أنتي فاشيسته)[67] التي بدأت نشاطها سريّا، ثمّ انطلقت بعد أن كثر أنصارها علنا، وأصدرت جريدة باللغة الايطاليّة، في مقرّها بالعاصمة التونسيّة.

ولقد قام بعض عناصر المنظّمة بعدّة أعمال تخريب موجّهة ضدّ سياسة الحكومة الايطاليّة من ذلك، انفجار قنبلة بإدارة جريدة (ليونيوني)[68]، وانفجار قنبلة أخرى بقنصلية دولة ايطاليا، أمّا القنبلة الثالثة فقد انفجرت بقاعة الانتظار بالقنصليّة الايطالية[69] وقد جرت هذه الاحداث خلال شهر أبريل (أفريل) 1929.

ومن نشاط هذه المنظمة أنّها قامت سنة 1938 بإرسال وفد للاتصال بالكاتب العام للجنة التنفيذيّة للجاليات الطّرابلسيّة — البرقاوية في منزله (بالكرم) بتونس ومفاتحته في إمكانيّة التعاون مع المنظمة التي تهدف أساسا إلى التّصدّي لسياسة الحكم الفاشي في إيطاليا، وكشف جرائمه، وقد قبلت اللجنة التنفيذيّة عرض المنظّمة الايطاليّة، وقد تم تزويدها بورقة تتضمّن مطالب الشعب اللّيبي، وبمقال ينتقد الدعاية الايطاليّة، وقد نشر المقال بطريقة محرفة تخدم مصالح ايطاليا، وبذلك انقطع الاتصال بين اللجنة التنفيذية الليبية والمنظمة الايطاليّة[70] التي لم تكن صادقة في وعودها، نظرا إلى أنّ الايطاليّين مهما اختلفوا سياسيا وايديولوجيا فإنّهم يلتقون أمام المصلحة الايطالية المتمثّلة في كسب المزيد من المستعمرات لتوسيع رقعة إيطاليا.

مفاوضات أخرى جرت بين اللّجنة التنفيذيّة للجاليات الطّرابلسيّة — البرقاويّة، ومنظمة ايطالية أخرى هي الرابطة الايطالية لحقوق الانسان، وقد تولّى المفاوضات في هذه المرّة محمد شكري عضو اللّجنة التنفيذيّة مع (ماريزي) رئيس الرابطة الايطاليّة لحقوق الانسان، وكانت المفاوضات تدور حول انخراط الجمعيّة اللّيبيّة في هذه الرابطة[71] إلّا أنّ المهاجرين اللّيبيّين قابلوا ذلك بالرفض ومقاومة هذه الفكرة التي تدعو إلى انخراط جمعيّتهم في إطار حماية حزب سياسي، واعتبروا أنّ ذلك سيلحق الضرر بجمعيّتهم التي لها أهداف معيّنة

(67) زارم أحمد **نفس المصدر السابق** ص 108.
(68) جريدة ناطقة باسم الغرفة التجارية الايطالية منذ 1885، وأثناء الحرب الليبية الايطالية تحولت الى اداة للاعلام الفاشي.
(69) جريدة الصواب التونسية عدد 579 بتاريخ 1929/4/26.
(70) زارم أحمد **نفس المصدر السابق** 109.
(71) KHALED AHMED P. 434.

تناضل من أجلها تختلف مع ما تهدف إليه المنظّمة الايطاليّة، إضافة إلى ذلك فإنّ انخراط جمعيّة المهاجرين في المنظمة الايطاليّة يسهل على الايطاليّين معرفة نشاط المهاجرين وبالتالي إحباط كافّة الأعمال المناوئة لايطاليا.

تأثير أحداث الحرب العالمية الثانية على المهاجرين اللّيبيّين

في سبتمبر 1939 اندلعت أحداث الحرب العالميّة الثانية، على إثر التوسّع الذي حقّقته ألمانيا بزعامة هتلر على حساب كل من النمسا وتشيكوسلوفاكيا، وباعتداء ألمانيا النازية على بولندة تحركت بريطانيا لحماية حليفتها بولندة، وقد تطوّر هذا النزاع، وتفاقمت أحداثه ليشمل معظم دول أوروبا، والولايات المتّحدة الامريكيّة.

ونتيجة هذه المستجدّات التي شهدها العالم، كثّف المهاجرون اللّيبيّون من اجتماعاتهم حيث اتّصل رؤساؤهم وجمعياتهم التي كانت منتشرة في مصر وتونس والشّام بعضهم ببعض، وتشاوروا في الأمر[72] لغرض اختيار أنجع السّبل لتحرير بلادهم، إلّا أنّ الأمر كان في غاية الصعوبة، فالموقف الايطالي لم يتحدّد بعد، والمهاجرون يخشون انضمام ايطاليا إلى دول الحلفاء، وهو ما يجعلهم بين فكي كمّاشة، اذ أن كلا من مصر وسوريا وتونس التي يوجد بها المهاجرون تقع تحت النفوذ الانجليزي والفرنسي، وانضمام ايطاليا إلى دول الحلفاء معناه تدعيم الموقف الايطالي في احتلال ليبيا، وبالتالي احباط أي تحرّك أو نشاط للمهاجرين اللّيبيّين بالخارج.

وفي تونس كانت تحرّكات أعضاء جمعيّة الدّفاع الطّرابلسي البرقاوي قد اتّسمت بالحماس منذ أن تدهورت العلاقات بين ايطاليا وفرنسا، وكانت خطب الزعيم الايطالي موسوليني قد أكّدت بما لا يدع مجالا للشّك تردّي العلاقات السياسيّة الايطاليّة الفرنسية، وفي إطار التمهيد لعقد اجتماع لأعضاء الجمعيّة الليبيّة بتونس، قامت الجمعيّة بإصدار اعلان عبر شركة (الشرق العربي للأخبار)[73] جاء فيه :

(علمت شركة الشرق العربي للأخبار من مصادر أكيدة أنّ المهاجرين الطرابلسيّين يوالون اجتماعاتهم واتصالاتهم استعدادا لعقد مؤتمر في القريب العاجل لتحديد موقفهم ورسم خططهم على ضوء الظروف الراهنة)[74].

إلّا أنّ الحكومة الفرنسية منذ أن علمت بهذا الخبر الذي نشرته بعض الصحف التونسيّة، طلبت تأجيل الاجتماع[75] بسبب الموقف المتوتّر في العالم، وحتّى تبعد عن نفسها

(72) الزاوي الطاهر أحمد **جهاد الليبيين في ديار الهجرة ص** 21.
(73) (الشركة العربية للأخبار) هي وكالة الأنباء كان مقرها في مبنى (الكوليزي) بتونس، وتأخذ عنها الصحافة التونيسة الأخبار والأنباء العالمية والمحلية.
(74) زارم أحمد **حتى لا يضيع التاريخ** دار الحرية للطباعة — طرابلس 1972، ص 45.
(75) زارم أحمد **نفس المصدر** ص 45.

تهمة تحريض وتشجيع المهاجرين الليبيّين للثّورة ضدّ إيطاليا، بيد أن نشاط المهاجرين استمرّ دون توقّف، برغم العراقيل، غير أن هذه العراقيل، والصعوبات سرعان ما تتلاشى، ويتغيّر الموقف لصالح اللّيبيّين.

منذ إعلان إيطاليا إنضمامها إلى ألمانيا في شهر يونية / جوان 1940 بعد أن تأكّد لها تنامي الزحف الألماني وسقوط فرنسا في أيدي الألمان، قرّر المهاجرون الليبيّون الانضمام إلى دول الحلفاء باعتبار أن ايطاليا أصبحت مناهضة لهذا الحلف، واعتبروا أن ذلك فرصة سانحة للانتقام من إيطاليا وطردها من بلادهم.[76]

ان انضمام ايطاليا إلى ألمانيا (دول المحور) كان أمرا مشجّعا لكافة المهاجرين اللّيبيّين بالخارج، باعتبار أن ذلك الموقف الذي اتخذته ايطاليا سيجعلها في موقف المعادي لدول الحلفاء، وهو ما سوف يعطي الفرصة لتقديم فرنسا مساعدتها العسكريّة للمهاجرين للقيام بالثّورة، وعمليات التخريب ضدّ الوجود الايطالي بليبيا.

---

(76) الزاوي الطاهر أحمد **جهاد الأبطال في ديار الهجرة ص 21.**

الفصل الخامس

الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمهاجرين

الفصل الخامس

الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمهاجرين

لم تعش الجالية الليبية في معزل عن المجتمع التونسي، بل كان الاندماج داخل المجتمع تلقائيا، ساعدتهم في ذلك وحدة اللغة، والدين، والعادات والتقاليد، وقد تأثروا سلبا وإيجابا بكل تقلبات الحياة الاقتصادية، وساهموا بدرجات متفاوتة في الدورة الاقتصادية للبلاد التونسية.

أوّلا : الحياة الاقتصادية

1 ــ علاقة المهاجرين بالفلاحة

تركز جلّ نشاط المهاجرين الليبيين في البلاد التونسية على العمل الفلاحي، باعتبار أنّ العمل الفلاحي كان المجال الأرحب الذي استوعب أعدادا هائلة من الأيدي العاملة، وكانت فرصة العمل متاحة لكافّة أفراد العائلة، خاصة في مواسم جني الثمار، حيث كان النساء والصبيان يشاركون في هذا العمل بأجر يقل عن أجرة الرجل، إضافة إلى أن العمل الفلاحي كان يتيح للكثير من العائلات المهاجرة التي ترتبط بصلة القرابة فرصة العيش في مكان واحد، حتى تحافظ على لحمتها، وترابطها الاجتماعي.

من الزراعات التي نجح فيها المهاجرون، وأقبلوا على تعاطيها بكل جدّية، زراعة الحبوب (القمح والشعير)[1] باعتبارها تمثل العنصر الأساسي لقوتهم اليومي، إضافة إلى ما توفّره من علف لحيواناتهم، بيد أن ذلك الحماس الشديد الذي أقبل به المهاجرون على تعاطي العمل الفلاحي كثيرا ما اصطدم في بعض المناطق التي حلّ بها المهاجرون بشيء من الاحباط نتيجة المنازعات، والاشكالية التي كانت عليها الأراضي الفلاحية في تونس.

لقد كان وضع الأراضي الفلاحية في تونس قبل انتصاب الاستعمار الفرنسي سنة 1881 ينحصر في الآتي :

---

(1) Emile Violard, Le control civil de Béjà - Tunis 1905.

ــ أراضي الباي
ــ أراضي القبائل والعروش
ــ أراضي الأحباس
ــ أراضي الملك الخاص
ــ الأراضي الأموات، الأحراش، الأودية، الجبال، الغابات[2].

وكان عنصر الانتاج، والأداة الفاعلة في خدمة الأرض هم (الخمّاسة) الذين كانوا يمثلون الحد الأدنى في السلم الاجتماعي للمجتمع التونسي[3] باعتبارهم الشريحة التي تعطي من عرقها وجهدها الكثير، ولا تجني سوى القليل.

ومنذ بداية الاستعمار الاستيطاني الفرنسي تغيّر نسق الفلاحة في تونس إذ أصبحت الأراضي الخصبة، وجلّ الأراضي المعدّة أساسا للفلاحة بأيدي المزارعين الفرنسيين بعد أن سلبت من أصحابها الأصليين، وهو نفس الأسلوب الذي طبّقته إيطاليا من استلاب الأراضي الليبية.

إن سياسة الاستعمار الاستيطانية تكاد تكون واحدة، ففي الوقت الذي نجد فيه فرنسا تدعي أن عملها في تونس (لم يكن لغرض البحث عن مواطن الشغل لفائض في اليد العاملة في بلاد فقيرة، إلّا أنّ الهدف كان لغرض فتح هذا البلد المتأخر فنيّا واقتصاديا، والذي لم يقع توظيف ثروته لرأسمال ومنتوجات فرنسا)[4] نجد إيطاليا تسير في نفس السياق إذ ترى أن دخولها إلى ليبيا، وإقامة المشاريع الزراعية الاستيطانية يمثل (هجوما على طريقة الحياة التي دامت قرونا)[5].

إن الاستعمار وإن ادّعى أنّه ما جاء إلّا لتعمير تلك الأراضي وخدمة المستعمرة، فإنّ الواقع غير ذلك وإنّما هو انتزاع خيرات تلك البلد، وتسخير أهلها لخدمة سياسة وأهداف المستعمر، جاء في مقال لمحي الدين القليبي، ينتقد فيه سياسة الاستعمار الاستيطاني[6] : (أصبحت الدولة تقطع كبار رجالها المستعمرات وتملكهم فيها الأرض ومن عليها، فترى في المستعمرات القطعان من البشر مستخدمين في أفضع صوره لانتاج ما تحتاجه رومة، ولتعمير مطامير رومة).

(2) أبو القاسم إبراهيم **نفس المصدر**
(3) التيمومي الهادي **نفس المصدر** ص 34.
(4) Poncet (J) **La colonisation et l'agriculture européennes** depuis 1881, E Ecole partyne De Hautes Etudes 1962.

(5) سيجرى كلوديو **نفس المصدر** ص 222.
(6) صحيفة النهضة التونسية، بتاريخ 1947/8/13.

وكان المزارعون الايطاليون بتونس يستغلون العمال العرب أبشع استغلال، وقد تناولت ذلك الصحافة التونسية بالنقد، جاء في صحيفة الصواب (ان اضطهاد العمال وهضم حقوقهم قد تجاوز الفرنسيين إلى المعمّرين الايطاليين الذين يختلفون عن السابقين من حيث الغطرسة والخيلاء والتظاهر على الضعفاء بالقوّة والعنف بل قد يفوقونهم احتراء وبراعة في حق العربي المسكين)[7].

إن الفلاحة في تونس منذ مطلع هذا القرن أخذت تتأرجح بين طرفي نقيض، طرف ينعم بالامكانات المادية والقروض، والأساليب العصرية المتطوّرة في مجال الانتاج الزراعي وهم (المزارعون الفرنسيون)، أمّا الطرف الآخر فهم الضحيّة الذين ظلّوا يراوحون في مكانهم وفقا للأسلوب البدائي المعروف منذ القرن التاسع عشر، والذي أدّى إلى تفقير الكثير من الفلاحين، وأكثر من ذلك أن المساحات التي كانت على ذمّة الفلاحين العرب أخذت تتضاءل، بينما الأراضي الخصبة التي على ذمّة المزارعين الفرنسيين أخذت في التوسّع، والازدياد، ولقد بلغ نصيب (المزارع الفرنسي الواحد) **250.000** هكتار من الأراضي الخصبة[8].

مشكلة الملكيــة

وفي ضوء هذه الوضعية الصعبة للأراضي في تونس، واجه المهاجرون الليبيون العديد من المشاكل، كان أهمّها، وأشدّها قسوة الأراضي التي أقاموا بها خيامهم لغرض السكن، والاستقرار، وقد جاء في رسالة بعث بها مدير الفلاحة والتجارة والاستعمار إلى المقيم العام للجمهورية الفرنسية بتونس تحت رقم4337/5 بتاريخ 1913[9].

(وبعد فالمنهي لجنابكم أنّ عامل الهمامة طلب صدور الاذن لخمسمائة نفر بالاقامة بكيفية مستمرّة بهنشير قمّوده الراجع لجناب الدولة فإنّ عددهم يستدعي ما يقرب من ثلاثمائة خيمة والمساحة الصالحة للحراثة اللازمة إعطاؤها لهم ربّما كانت متسعة بمكان.

والذي ألاحظ أنّه ليس من اللائق أن أنظر في مطلب كهذا لما يترتّب عليه من العواقب السياسية ونظرا لتعزيز الأمن العام وألاحظ أيضا أنّ أهالي الجهة يتصرّفون في شغل عظيم أراضي الهنشير المذكور والصالحة للحراثة فإذا أنزل الطرابلسيون المذكورون بالهنشير يترتّب عليه أخذ ما بقي به من الأراضي الصالحة للحراثة ويتعذّر فيما بعد كلّ محاولة إستعمار هناك).

لقد كان موقف عامل الهمامة متعاطفا مع المهاجرين الليبيين، نظرا لآثار الغزو الايطالي التي هزّت مشاعر المسلمين، بيد أن ملاحظة المقيم العام تركّزت على لفت نظر عامل

(7) صحيفة الصواب التونسية العدد 591 بتاريخ 1929/8/22.
(8) Poncet (J) p. 477
(9) أ.و.ت س.أ. صندوق 280. ملف 3.

الهمامة إلى عدم التدخل في مسؤوليات هي من مشمولات الحكومة الفرنسية[10] (يطلب من العامل أن لا يتدخل في مثل هاته الحالة لكونها ليست من إختصاصه).

وبتاريخ 1936/6/17 بعث المهاجرون القاطنون (بسيدي مهذّب) من عمل الصخيرة بوفد إلى أحمد باشا باي تونس يتكوّن من :

— الهادي الجورني
— محمد الجعفري
— علي محمد الطويل الجعفري
— الهادي الفيتوري.

وذلك للتباحث في تخصيص جزء من الأرض يقيمون فيها، والترخيص لهم (بالعشابة) لانقاذ حياواناتهم من الهلاك، ولا سيّما أن تلك السنة كانت ذات موسم ضعيف غير ممطر[11]. إن الحكومة الفرنسية كانت تضع العراقيل لتضييق الخناق على المهاجرين الليبيين، وعدم إفساح المجال أمامهم تملّك الأراضي، حتى لا تقع منافسة للمستوطنين الفرنسيين الذين أصبحت بيدهم جل الأراضي الخصبة، والمعدّة للفلاحة، وإزاء ذلك كانت تخلق المبرّرات الواهية للاجراءات التي تتخذها ضدّ المهاجرين، وكانت هذه الاجراءات في مجملها لا تمتّ إلى الواقع بصلة، لكنّها كانت مناورات سياسة تهدف بالدرجة الأولى إلى إخداع الرأي العام، ولخدمة أهداف الاستعمار الفرنسي.

وقد جاء في البرقية رقم 249 بتاريخ 18 مارس 1924 ، المرسلة من وزير الشؤون الخارجية الفرنسي، إلى السفير الفرنسي في روما[12].

(أرسلت عن طريق البريد، وبالأرقام البرقية التي وصلتني في 17 من هذا الشهر من المقيم العام الفرنسي في تونس بموضوع دخول عدد من المهاجرين الطرابلسيين، وكانوا في أسوأ حالات البؤس إلى أرض الايالة.

لأسباب إنسانية لم يكن ممكنا طرد هؤلاء الأشخاص، وموقفٌ من هذا القبيل يمكن له أن يكون مؤشر غضب (محميينا التوانسة). إذا استفسرتك الحكومة الايطالية في الموضوع، أنا مطالب بتوضيح بأنّه ليس لنا نية سياسية وكلّ ما حدث هو عمل إنساني ولا نشك أنّ الحكومة الملكية كانت تصرفت بنفس الطريق إذا وجدت نفسها في موقف مماثل).

(10) نفس الملف.
(11) أ.و.ت. س.أ. صندوق 280. ملف 1.
(12) وثائق المركز الجامعي / تونس، صندوق 32. ملف 1 وثيقة 85.

ومن المواضيع التي ارتبطت بإشكالية الأرض، والتي أخذت حيّزا مهمّا من المناقشات وردود الفعل بين المهاجرين والوزارة الكبرى من جهة، والاقامة العامة الفرنسية من جهة أخرى هي ربط امتلاك الأرض بموضوع الجنسية.

كان موضوع الجنسية من العراقيل التي وضعتها الحكومة الفرنسية أمام المهاجرين الليبيين، وكانت لهم مواقف، وردود فعل، تذكر منها ما جاء في الرسالة التي وجهها المهاجرون إلى الوزير الأكبر بتاريخ 1940/2/12 [13].

(كنّا كاتبنا رفيع الجناب منذ عامين طلبنا فيه منحنا الاشتراك بهنشير سي محمد كوكه من العمل المذكور مثل أجوارنا فلاحة المكان فرجع مكتوبكم لعامل المكان تحت عدد 618، وأمرنا بالتجنّس بالجنسية التونسية أو لا يمكن ذلك).

وجاء في رسالة عامل الهمامة[14] إلى الوزير الأكبر أنّ المهاجرين الليبيين رفضوا مقترح الوزارة الكبرى الداعي إلى مطالبتهم بالتجنس بالجنسية التونسية، وقد أفادوا في ردّهم على ذلك أنّهم (طرابلسية الأصل، ويمكن رجوعنا من حيث جئنا).

وكان رأي الوزارة الكبرى الذي هو رأي الاقامة العاملة الفرنسية بتونس واضحا وصريحا، أن لا حق للمهاجرين الليبيين في امتلاك الأرض دون أخذ الجنسية التونسية (والمراد أعلاه مهم بأنّهم إذا خرجوا عن الجنسية الطرابلسية واستوطنوا الايالة التونسية بدون أمل في الرجوع إلى طرابلس الغرب واعتنقوا الجنسية التونسية فلا شيء يمنعهم من طلب إثبات حقوق النزول)[15] وان بدأ موضوع فرض الجنسية أمرا محيّرا بالنسبة للمهاجرين الجدد، الذين رفضوها رفضا قاطعا، يتضح ذلك من ردّهم على الوزارة الكبرى والذي يحمل الجدّية المتناهية (يمكن رجوعنا من حيث جئنا)[16] فإنّ هذا الموضوع لم يعد يشكل أهمّية بالنسبة للمهاجرين القدامى ولا سيما أولئك الذين أنجبوا أبناء، وأصبح أبناؤهم داخل معترك الحياة جنبا إلى جنب مع أشقائهم أبناء تونس، ولم يعد للهوية الاقليمية أي أهمية تذكر، بيد أن السلطات الفرنسية كانت تثير موضوع الجنسية بين الحين والآخر خدمة لمصلحة فرنسا، وحتى تخلق نوعا من التفرقة بين السكان العرب، الذين ينحدرون من الأقطار المغاربية تونس — ليبيا — الجزائر — المغرب[17] والذين كان يجمعهم هدف واحد وهو مقاومة الاستعمار

(13) أ.و.ت. س.أ. صندوق 280. ملف 3.
(14) نفس الملف.
(15) نفس الملف.
(16) أ.و.ت. س.أ. صندوق 280. ملف 1.
(17) في المقابلة التي أجريتها مع الحاج احمد محمد عبد الله البنيني، أفادني بأنّه لم يشكل موضوع الجنسيّة أي أهمية في حياته خلال مدّة الهجرة التي قضاها بتونس، والتي امتدّت من سنة 1918 إلى سنة 1958 (ينظر الوثيقة رقم 28).

الأجنبي، وقد تجلّى ذلك في وقفة السكان العرب المسلمين ضد المتجنّسين بالجنسية الفرنسية، ورفض دفنهم بمقابر المسلمين[18] خلال الثلاثينيات.

وقد أثارت هذه القضية الحمية لدى السلطات الفرنسية التي سارعت باستغلال الجانب الديني من خلال الحصول على فتاوي من قضاة المجلس الشرعي لتأييد نواياها، بيد أنّ قضاة (المذهب المالكي) كانوا معارضين لدفن المتجنّسين بمقابر المسلمين، وهو الرأي المؤيّد لما كان يطالب به السكان المسلمون[19].

كانت فرنسا تهدف من وراء وضع العراقيل أمام المهاجرين الليبيين إلى عدم تمكينهم من امتلاك الأرض وذلك لتوفير الأيدي العاملة التي كانت تحتاجها فرنسا للعديد من المجالات وأهمها المزارع التي كانت على ذمة المزارعين الفرنسيين، والتي تستوعب أيديا عاملة كثيرة إضافة إلى المناجم والشركات وما تتطلبه من أيدي عاملة، وقد وجدت فرنسا ضالتها في الأعداد المتدفّقة ضمن أفواج المهاجرين القادمين من طرابلس.

نشاط الأيدي العاملة الليبية الفلاحية

اشتهر المهاجرون الليبيّون بحسن سلوكهم، وإتقانهم للعمل الفلاحي[20] ممّا جعلهم مطلوبين من قبل المزارعين الفرنسيّين، يصف (جون بونسي) العمال الطرابلسيّين بأنّهم (مثابرون في العمل ومستقرون، وأصحاب ثروات من الماشية)[21].

وقد ورد في شهادة أحد (المزارعين) الفرنسيين حول أهمية اليد العاملة الليبية، وما تمتاز به من مواصفات مهمة (أنّهم يملكون القدرة على تحمّل الحرارة القوية في الصيف وهم لطاف وثقاة، ويتعلمون بسرعة، أجرتهم تتراوح بين 1,50 فرنك و1,75 فرنك يوميا)[22] في حين نجد اليد العاملة الأخرى تتراوح أجرتها بين 1,50 و1,20 فرنك يوميا.[23]

ومن أهم الأعمال الشاقة التي تحتاج إلى جهود مضنية والتي قام بها المهاجريون الليبيون في تونس في نطاق العمل الفلاحي هو تحويل المناطق الغابية إلى أراضي فلاحية معدةّ لزراعة القمح والشعير، أو تحويلها لزراعة أشجار مثمرة، من ذلك على سبيل المثال تحويل عشرات

(18) المحجوبي علي **نفس المصدر** ص 90.
(19) **نفس المصدر** ص 91.
(20) Ph. Noel et . A. Renon : **L'embauchauche Institute De Delles Letters Arabes** Tunis, 1946.
(21) Poncet (J) p. 82
(22) الزواري رضا **تسرب الرأسمالية إلى تونس في عهد الحماية** التعاضديّة العمالية للطباعة والنشر، تونس 1982 ص 113.
(23) **نفس المصدر** ص 113.

الهكتارات بمنطقة (خنقة الحجاج) المعروفة بكثافة غاباتها إلى أرض معدّة لزراعة الكروم والزيتون[24] ونتيجة الأعمال الزراعية المهمّة التي أدخلت على هذه المنطقة، تحوّلت إلى منطقة زراعية مهمة، إذ (أصبحت مغطّاة برداء مخضوضر يدل دلالة أكيدة على وجود الانسان، وعلى مثابرته في العمل)[25].

وقد اتسع نشاط المهاجرين الليبيين في العمل الفلاحي ليشمل مناطق الوسط، والشمال حيث كانت لهم مساهمة كبيرة ومهمة في زراعة الأشجار، وعلى وجه الخصوص أشجار الزياتين في كلّ من صفاقس، وسوسة، وطبربة، والجديدة، وكان الأجر مقابل ذلك زهيدا جدّا[26].

وان أصبح العمل بالأجر اليومي هو السائد في العمل الفلاحي، في عهد الادارة الفرنسية فإنّ عمل (الخمّاسة)[27] الذي يعتبر العنصر المهم والمحرك الأساسي للانتاج الفلاحي بالايالة التونسية خلال القرن التاسع عشر قد شهد تقهقرا بسبب استقطاب الزراعة الأوروبية لاعداد هائلة من الأيدي العاملة، بيد أن الفلاحين العرب ظلّوا محافظين على مهنة الخمّاسة لارتباطها بتقاليد الفلاحة التونسية العتيقة، ولكونها تتلاءم وظروف الفلاّح المادّية.

وفي المواسم الفلاحية يكثر تنقل المهاجرين بين الوسط والشمال، وخاصة في موسم (الحصاد) بحثا عن المناطق الأكثر خصوبة، وإنتاجا، وتعرف هذه الفئة التي يكثر نشاطها، وتزداد حركتها في المواسم الفلاحية حيث تتنقل في مجموعات بحثا عن المناطق المنتجة، تعرف (بالهطاية)، وتشمل هذه النوعية كذلك الفلاحين التونسيين الصغار، الذين تحوّلوا نتيجة سياسة التفقير التي مارستها السلطات الفرنسية بسلبها الأراضي الخصبة من أصحابها الأصليين، وتسليمها إلى المزارعين الأوروبيين إلى خانة الفقر المدقع[28] الذي كان يشمل نسبة عالية من السكان العرب المسلمين.

لقد كانت العلاقة بين المُلاّك، والعمال علاقة العبد بسيّده، علاقة مبنية على الاستغلال، وأكل حق الأجير الذي يتحمّل كلّ ما يملي عليه مكرها لعدم توفّر فرص الشغل،

(24) في المقابلة التي اجريتها مع الحاج امقام احميد عبد الله (سبق التعريف به) أفادني بأنّه كان أحد المهاجرين بخنقة الحجاج، وقد اشتغل ضمن إخوته وأبناء عمّه البالغ عددهم (15) رجلا في اقتلاع الغابات وزراعة أشجار الزيتون والعنب عوضا عن أشجار الغابات غير المثمرة، واستمرّوا في تلك المنطقة لمدّة 20 سنة.
(25) القصاب أحمد **نفس المصدر** ص 107.
(26) ورد ذلك في رواية أحمد عبّاس عضو الحزب الدستوري القديم، في المقابلة التي أجريتها معه بحلق الوادي — بمدينة تونس.
(27) يتركّز عمل (الخمّاس) على عقد يربطه بصاحب الأرض لمدّة سنة، ويكون نصيبه خمس الانتاج بعد أن يستقطع منه السلفيّات والتسبقات التي قدّمها له صاحب الأرض، وغالبا ما يجد الخمّاس نفسه في آخر المطاف في ظروف قاسية حيث تذهب كامل حصّته لتسديد الدّيون.
(28) الزواري رضا **نفس المصدر** ص 115.

وقد وصل الأمر ببعضهم إلى أن يحرم على عماله امتلاك أي شيء، ولو طير واحد من الدجاج، وإجبار العمال بالسكن في أماكن نائية بعيدة عن الضيعة[29].

وكان بعض المزارعين الفرنسيين يسمحون للعمال العاملين لديهم بامتلاك عدد ضئيل من الحيوانات تمكينهم من الحصول على مادة الحليب، وكانت هذه الحيوانات لا تتعدى رأسا أو إثنين من البقر و(دابة) ليستعملها العامل في تنقلاته، وعدد من طيور الدجاج للحصول على البيض.

وفي حوار مع أحد الأعراف ومستخدم جديد، يوضح مدى المعاناة التي يعانيها العامل في ذلك الوقت، وكان أوّل الأسئلة التي وجهها المالك للعامل، ماذا تملك؟ فردّ عليه العامل (ما عندي إلّا بهيمة، وبقرة)[30] وقد فسر العامل الغرض من امتلاك البقرة و(البهيمة) التي تستخدمها زوجته في جلب الحطب، والماء.

(وكان من البهيمة ما عليناش حيبها تتسوّق عليها والمرأة تحطّب عليها وتملأ أمّا البقرة إسمعني كيفاش تدبّر : نقبلك زادة بالبقرة والدة وكي تعشر تنحي ولدها الكبير قبل ما تولد وتدّي العشابة[31] عشرة فرنك في الشهر)[32].

ونتيجة نشاط المهاجرين، وحذقهم، استطاع الكثير منهم أن يتخطّى خانة الاجراء ليصبح من ذوي الأملاك، حيث استطاع الكثير منهم أن يكونوا لأنفسهم، أملاكا، وثروات هائلة، تمثلت في امتلاك العديد من الأراضي المشجّرة، وغير المشجّرة، وقطعان من الغنم، والماعز، وحيوانات أخرى مثل البقر والخيول[33].

وفيما يلي نورد بعض العيّنات لحجم الثروة التي استطاع أن يكوّنها المهاجرون الليبيون بالبلاد التونسية[34] والتي تؤكّد أن المهاجرين الليبيين لم يكونوا مهمّشين بل كان لهم الدور المهم في الدورة الاقتصادية للبلاد التونسية.

1 ـــ بوجمعه بن محمد بن سلامة الطرابلسي، فلاح بالسلوقية
300 هكتار من الأرض.
100 رأس من الماعز

(29) ورد هذا المعطى في رواية الحاج بلقاسم محمد الواعر أحد المهاجرين اللّيبيّين بتونس (سبق التعريف به).
(30) Ph. Noel et. A. Renon p. 34.
(31) (العشابة) تعني كراء قطعة من الأرض المعشّبة لفترة وجيزة للاستفادة من تلك الأعشاب في تغذية الحيوان، وقد اعتمد المهاجرون اللّيبيّون على هذه الطريقة في استجار الأراضي المعشّبة لتنمية ثروتهم الحيوانيّة في مختلف المناطق من البلاد التونسيّة.
(32) Ph. Noel et. A. Renon. P 34.
(33) أ.و.ت. س.أ. صندوق 24. ملف 6.
(34) نفـــس الملـــف.

20 رأس من البقر
3 بغـال
4 خيـول

2 ـــ أحمد بن علي الطرابلسي ـــ فلاح ـــ السلوقية
10 هكتارات بهنشير ورفلة
20 شاة من الغنم إضافة إلى عدد من البغال والخيول.

3 ـــ صالح وحسن أبناء الشاوش نصر الطرابلسي. فلاح في مجاز الباب
30 هكتارا بهنشير ولجة الدخان
20 رأسا من البقر
20 رأسا من الغنم، وعدد من الخيول والبغال
20 رأسا من الماعز.

4 ـــ محمد بن محمد الطرابلسي العماري الخيتوني ـــ من مواليد ليبيا سنة 1908، ليبي الجنسية،[35]
15 هكتارا أرض زراعية، مشجّرة بها 311 شجرة زيتون، إضافة إلى بعض الأشجار المثمرة.
مكانها : سيدي عمر بوحجلة، ولاية القيروان.

5 ـــ أولاد بن مصطفى الطرابلسي ـــ فلاحة ـــ بنزرت.
50 هكتارا، أغلبها أرض صالحة لزراعة القمح والشعير، والقصّيبة
ـــ منها 6 هكتارات زيتون
ـــ عدد من قطعان الغنم والماعز والبقر، وعدد من الخيول،
الموقع : منزل الغول ـــ أوتيك ـــ بنزرت.

وفي تقرير للمراقب المدني الفرنسي بمجاز الباب سنة 1928، حول (أصحاب المكاسب) بمنطقة مجاز الباب، حيث ورد إسم أحد المهاجرين الليبيين في التقرير، وهو ابراهيم بن صالح بن احميده بن الحاج رحومة الطرابلسي[36]، الذي بلغت قيمة مكاسبه 500.000 فرنك أي نصف مليون فرنك،[37] في الوقت الذي نجد فيه أجرة العامل في الفلاحة لا تتجاوز 6 فرنكات[38] وقد انخفض هذا الأجر سنة 1933 إلى 3 فرنكات بسبب إنخفاض

(35) أرشيف القنصلية الليبية ـــ تونس.
(36) ينحدر ابراهيم بن صالح بن احميده بن الحاج رحومه الطرابلسي من قبيلة ورفلة، وهو من أعيان المهاجرين الليبيين بمنطقة مجاز الباب، وقد تولى مشيخة السلوقية.
(37) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 6.
(38) الزواوي رضا نفس المصدر ص 133.

معدّل الأجور إلى أكثر من 40/ نتيجة تأثير الأزمة الاقتصادية العالمية على الاقتصاد التونسي[39]. تلك بعض العيّنات على سبيل الذكر لا الحصر لتوضيح حجم الثروات التي استطاع المهاجرون الليبيون تكوينها ومدى علاقتهم بالوسط الفلاحي الذي يعتبر من أهمّ المجالات التي تفاعل معها المهاجر، باعتبار الفلاحة مصدرا للخير، والرزق الكريم، الذي قد لا يتوفّر في بعض مجالات الحياة الأخرى.

وإذا كان الكثير من المهاجرين قد استطاعوا تكوين ممتلكات مهمّة في تونس، من أرض فلاحية، وثروة حيوانية، وعقارات، فكيف كانوا يتصرّفون في هذه الأرزاق في أثناء عودتهم إلى ليبيا ؟

إن طبيعة الفلاح المتمرّس في هذا الميدان، والذي يتفاعل مع الأرض بشغف وحبّ، يعطيها من عرقه وجهده الكثير حتى يينع ثمارها، وتزهو أغصانها، يكون من الصعب عليه بيعها أو التفريط فيها[40] لذلك لجأ بعض المهاجرين ممّن اضطرّوا إلى العودة إلى ليبيا إلى عملية التوكيل، حيث تسند الوكالة إلى أحد الأقارب، أو الأصهار للتصرّف في الأرض، وإدارتها بتوكيل شرعي، يكون صادرا عن إحدى المحاكم الشرعية بالمنطقة، وتودع نسخة من التوكيل بالقنصليّة الليبية، باعتبار أن الموكّل يحمل الجنسية الليبية، وقد جاء في إحدى هذه الوثائق[41]

«وكل المكرم ابنه خليفة بن محمد الخيتوني المولود في 11 ماي 1927 ليبي الجنسية قاطن بسيدي عمر بوحجلة ولاية القيروان ليتولّى النيابة عنه في جميع أموره وكافة أسبابه وشؤونه بوكالة التفويض التام المطلق الموسع العام الداخل تحت عمومه كل فصل تصح فيه النيابة عرفا وقانونا من بيع وكراء ما يكرى، وبيع ماله غلة».

2 ـــ المهـــن الأخـــرى

لم يقتصر نشاط المهاجرين الليبيين على حرفة أو مهنة معيّنة، بل امتدّ نشاطهم ليشمل العديد من مجالات الحياة، بيد أن الفلاحة ظلّت المجال الذي يستأثر باهتمام أغلب المهاجرين، ومن أهم الأعمال التي استوعبت أيديا عاملة ليبية :

(39) المحجوبي على **نفس المصدر** ص 100.
(40) في المقابلات التي أجريتها مع العديد من المهاجرين الليبيين أصحاب الأراضي الزراعية، أفادوا بأنهم وصلوا الى امتلاك تلك الأراضي عن طريق شراء أراضي بيضاء تمّ تحويلها الى مزارع، أو عن طريق المغارسة حيث يتحمل المهاجر الجهد، والطرف الآخر الأرض، وبعد أن تصل الأشجار المزروعة الى الانتاج تتمّ عملية القسمة، وهذه الطريقة مكنت الكثير من المهاجرين من الانتقال من خانة الاجراء إلى أصحاب أراضي زراعية.
(41) أرشيف القنصلية الليبية، تونس.

المناجم : في منطقة الجنوب والشمال، وقد استوعبت أعدادا كبيرة من الأيدي العاملة الليبية[42] ونظرا لاستمرار توافد المهاجرين الليبيين فإنّ مناجم منطقة الجنوب كانت تستقطب الكثير من الأيدي العاملة، ومن خلال تقرير أعدّه البوليس الفرنسي بمنطقة المضيلّة بتاريخ 1910/6/22 حول عمال مصراتة العاملين بمناجم المتلوّي والرديّف، والمضيلّة[43].

وقد تمكّنت من وضع جدول زمني لتوافد المهاجرين الليبيين على البلاد التونسية، من خلال دراسة لعيّنة (من عمال مصراتة العاملين بمناجم المتلوّي والرديّف، والمضيلّة)[44] التي أفضى بها تقرير البوليس الفرنسي.

السنـــة	عدد العمال القادمين	النسبة إلى عدد عمال مصراتة بالرديف والمضيـلـة
1911	10	%3
1912	7	%2
1913	3	%0,93
1914	2	%0,62
1915	2	%0,62
1916	7	%2
1917	3	%0,93
1918	2	%0,62
1919	4	%1,25
1920	5	%1,56
1921	13	%4
1922	5	%1,50
1923	11	%3,34
1924	36	%11,25

(42) بن حميدة عبد السلام **نفس المصدر** ص 25.
(43) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 1.
(44) يوضح الجدول تكثف الهجرة خلال سنتي 1924 و 1930، وهو ما يؤكّد أسباب الهجرة التي أوردتها في الفصل الأوّل، كما يوضح الجدول تضاؤل الهجرة سنة 1938 بسبب الدعاية الايطالية التي تحد من الهجرة، وتدعو المهاجوين الليبيين بالخارج الى العودة الى ليبيا، أمّا في سنة 1939 فان تناقص الهجرة يعود الى اندلاع الحرب العالمية الثانية.

السنة	عدد العمال القادمين	النسبة إلى عدد عمال مصراتة بالرديّف والمضيلة
1925	5	%1,56
1926	4	%1,25
1927	—	—
1928	12	%3,75
1929	8	%2,25
1930	60	%18,75
1931	—	—
1932	2	%0,62
1933	12	%3,62
1934	8	%2,50
1935	5	%1,56
1937	9	%2,80
1938	1	%0,31
1939	1	%0,31

ومن الحرف التي مارسها المهاجرون، أعمال البناء، وفي الموانىء (عملة الرصيف) والمصانع، والمهن الخاصة الأخرى التي كان بعضها ملكا على ذمة المهاجرين، منها المقاهي — الحلاقة — المطاعم.

3 — التجـــارة

وقد أولت السلطات الفرنسية عنايتها بالتجارة الصحراوية (تجارة القوافل) التي تمر في اتجاه السودان، وأواسط أفريقيا عن طريق غدامس وغات، نظرا إلى ما توفّره التجارة من تبادل لجملة من البضائع المتنوعة[45] إضافة إلى أن فرنسا تهدف من وراء ذلك إلى تسهيل إرسال المبشّرين، والجواسيس، وتأمين وصولهم إلى تلك المناطق الافريقية البعيدة عن طريق القوافل التي تتوفر لديها الخبرات الكافية في معرفة مسالك الصحراء[46].

(45) يتضمّن الجدول الوارد في نهاية هذا الفصل حركة تجارة القوافل، وأنواع المبادلات التجارية بين تونس والسودان من جهة، وبين تونس وليبيا من جهة أخرى.

(46) تشابجي عبد الرحمن **الصراع التركي — الفرنسي في الصحراء الكبرى** ترجمة الدكتور علي اعزازي ص 97.

بيد أن هذه التجارة التي تعيرها فرنسا العناية الفائقة، كانت معرضة للكساد نظرا لازدهار تجارة طرابلس مع الجنوب عن طريق غدامس، غات، السودان، وقد استقطب هذا الخط القوافل التجارية الواردة من أواسط إفريقيا ممّا أثار انتباه السلطات الفرنسية التي حاولت قدر جهدها إفشال ذلك الخط، وإرغام الكثير من القوافل المتّجهة إلى طرابلس بالتوجه إلى تونس، وقد جاء في تقرير أعدّه القائد العسكري بمنطقة مدنين بتاريخ 1924/3/17[47].

«الاتفاقيات الفرنسية الايطالية قد تركت لجيراننا الطريق المباشر من غات إلى غدامس، وهو غير قابل للنقاش، وستكون تجارة القوافل القادمة من السودان لصالح طرابلس، وأنّه من المفيد مواصلة تنمية الحركة التجارية، ذلك بخلق طريق للقوافل مضمون بأكمله في الأراضي الفرنسية».

ورغم وجهة النظر الفرنسية التي تعتمد على توجيه التجارة، وفقا للمصلحة التي تخدم أهداف المستعمر، فإنّ التجارة بين القطرين استطاعت أن تشهد ازدهارا عن طريق النشاط الفردي للتجّار التونسيين والليبيين.

لقد كان للتجارة بين القطرين تونس وليبيا مساهمات كبيرة في حركة الهجرة حيث مكّنت الكثير من التجار من الاستقرار والعيش في المدن التي كانت لهم تجارة فيها، ففي مدينة بنغازي تمكّن العديد من التجار التونسيين من الاقامة بعائلاتهم، والاستقرار هناك خلال القرن التاسع عشر، ولم ينقطع التواصل التجاري بين طرابلس وتونس حتى في أحلك الظروف أيّام الاستعمارية الفرنسي والايطالي، بل أن طرابلس ظلّت السوق المفتوحة أمام المنتوجات التونسية، حتى في الأوقات التي أصبحت فيها بعض الأسواق مثل اليونان، وتركيا موصدة أمام الانتاج التونسي سنة 1920. (وقد بقيت البلاد الطرابلسية وحدها تشتري أنواعا مختلفة من البضائع، وبالخصوص الشاشية)[48].

وكانت الصحافة التونسية تولي اهتماما بالتجارة مع طرابلس، حيث تنشر أخبار التجار الطرابلسيين الذين يزورون تونس لغرض المبادلات التجارية (منذ أسبوع وصل الوجيه الحاج عمر أبو عون أحد أعيان طرابلس الغرب وكبار تجّارها بقصد إيجاد مبادلات تجارية بينه وبين أعيان التجّار هنا، فنرحّب به، ونرجو له طيّب الاقامة)[49].

وكان الميدان التجاري قد استقطب الكثير من المهاجرين الليبيين بتونس، حيث تخصّص بعضهم في تجارة الجملة، والبعض الآخر في تجارة التجزئة العادية، بيد أنّ الكثير من

(47) وثائق مركز التوثيق الجامعي بتونس صندوق 32. ملف 1 وثيقة 89.

(48) القصّاب أحمد **نفس المصدر** ص 195.

(49) جريدة الصواب التونسية العدد 584 تاريخ 1929/6/7.

هؤلاء التجّار لم تلههم تجارتهم عن قضية بلادهم، بل كان لهم دور نشيط في الحركة الوطنية الليبية من خلال جمعية الدفاع عن طرابلس وبرقة، ومن هؤلاء التجّار[50] :

اسم التاجر	نـــوع التجـــارة	مكـانـهـا
محسن ظافر المدني	تجارة الآلات الصوتية والموسيقية	بـاب سويقـة تـــونـس
بشير فهمي	علب النـدى	تـونـــس
رمضـان شـادي	تجارة مواد غذائيـة	تـونـــس
محمد خليفه بن عامر	تاجـر ــ بالجمـلـة	تـونـــس
محمد بن سليمان	تاجر مواد غذائيـة	الرديّـف
محمد الترهوني	تاجر مواد غذائيـة	الرديّـف
محمد رحيمــه	تـــاجـــر	ــ
الشاوش مـــراد	تـاجـــر	ــ
الحاج اسماعيل بن اسماعيل	تـاجـر مواد غذائيـة	المتلـــوّي
الشيخ محمد المسلاّتي	تـــاجـــر	بصفاقـس
العربي شقلوف	تـــاجـــر	الرديّـف
محمد حقيـــق	تـــاجـــر	سيدي محـرز تـــونس
يوسفل قرجـي	تـــاجـــر	تـــونـــس

كانت السلطات الفرنسية تعير اهتماما خاصا لتجارة تونس مع طرابلس، ولا سيّما في الفترات التي تشتد فيها أزمات الحرب كتلك التي حدثت خلال الحربين العالميتين والتي كانت فرنسا طرفا فيهما.

إن فرنسا كانت تخشى من تدفق الأسلحة عبر التجارة المتبادلة مع طرابلس، لذلك أحكمت المراقبة على التجارة المتبادلة مع طرابلس، وقد وصل الأمر بالقوات الفرنسية المرابطة بالحدود في أثناء الحرب العالمية الثانية إلى التفتيش الدقيق لكل القادمين من ليبيا وبتاريخ 1941/1/1 تمكنت السلطات العسكرية في بنقردان من حجز 8661 ليرة إيطالية وبندقية

(50) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 1.

و17 (خرطوشة)، إضافة إلى جمل و(حمار) على ذمة المهدي بن محمد. 5800 ليرة إيطالية على ذمة محمد الأمين، وهما من قصر الحاج.

وقد تمّ العثور على تلك المبالغ داخل (بردعة الحمار)[51] وقد ألصقت بهما تهمة الاتّجار في عملة أجنبية بدون ترخيص.

ونظرا للدور النشيط الذي كان يلعبه تجّار مصراتة المهاجرون بتونس في حركة التبادل التجاري بين القطرين، فقد عمدت السلطات الفرنسية في أثناء الحرب العالمية الثانية إلى تسليط أشدّ العقاب عليهم، وذلك بإيقاف نشاطهم التجارية كافة، وتحجير تنقّلهم، ممّا أجبر هؤلاء إلى إرسال مذكرة بتاريخ 1940/12/17 إلى المقيم العام الفرنسي بتونس[52] جاء فيها :

(فإنّنا نحن جماعة مصراتة من الجالية الطرابلسية بتونس قد وقع تحجير السير علينا وحرمنا حتى من ديارنا وصرنا في حرج شديد وضيق كبير واعتبرنا مسجونين في مساكننا فمثلنا مثل الأسرى الموضوعين في منطقة خاصة ودائرة محدودة ولا يخفى على سموّ جنابكم أنّنا من ذوي العائلات وأغلب أسباب ارتزاقنا من تعاطي التجارة وبهذا التحجير الذي أصبنا به من دون بقية الأجناس من سكّان الشعب التونسي واستمرّ تسليطه علينا أكثر من المحاربين الذين شملتهم شروط الهدنة ومع هذا لم تظهر لنا سوء نيّة لفرنسا).

إن أسباب تسليط العقاب على أهالي مصراتة المهاجرين بتونس، والذي يتزامن مع أحداث الحرب العالمية الثانية، إنّما يعزى إلى تخوّف فرنسا من تسرّب الأسلحة والذخيرة عبر الأراضي الليبية إلى حركة المقاومة في كلّ من تونس والجزائر، لا سيّما وأنّ أفراد جالية مصراتة يعتبرون من المتمرّسين في الميدان التجاري، وكانت مدينة مصراتة من المدن الليبية التي اشتهرت في الميدان التجاري منذ عهد قديم[53] وقد انعكس ذلك على سكان المدينة الذين تدرّبوا على ممارسة هذه المهنة منذ الصغر. وقد امتدّ نشاطهم إلى خارج حدود ليبيا، وخاصة في مصر وتونس.

استمرت السلطات الفرنسية في فرض المراقبة الحدودية على التجارة المتبادلة بين تونس وليبيا، وإخضاعها إلى المراقبة الجمركية الدقيقة، حتى تضمن إضافة إلى عدم تسرّب الأسلحة عدم إدخال السلع المنافسة للمنتوجات الفرنسية. جاء في مذكّرة مرسلة من وزير المالية الفرنسي إلى وزير الداخلية :

(51) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 1.
(52) نفس المصدر.
(53) ابن غلبون محمد بن خليل **التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار** تعليق وتصحيح الطاهر الزاوي ص.٢ مكتبة الفرجاني، طرابلس 1967 ص 175.

«المطلوب تشديد المراقبة، وردع هذا التهريب، لضمان حقوق الخزينة، وحماية الحياة الاقتصادية للبلاد، يرجى إشعار القائد المعني بالأمر لاتخاذ ما يراه مناسبا في المستقبل، على الصعيد الجبائي والاداري»[54].

وقد جاء هذا الرد على إثر تسرّب الكثير من القوافل التجارية بين الحدود الليبية والتونسية، وهو ما أزعج السلطات الفرنسية، واعتبرت أن ذلك يدخل في عمليات التهريب، وقد تمّ حجز الكثير من القوافل التجار ية، ومصادرة البضائع التي تحملها.

إن التجارة بين المناطق الحدودية التونسية والليبية استطاعت أن تفرض نفسها على سلطات الحدود، وهي لدى الأهالي من الأمور الروتينية في حياتهم اليومية اعتقادا منهم أن ذلك يتجاوز الحدود المصطنعة التي لا تشكل لديهم أيّة أهمية، فهم يعتبرون الأرض التونسية الليبية امتدادا لبعضها يتجلّى ذلك بكل وضوح لدى سكان (ذهيبة) وسكان (وازن).

وكان هؤلاء السكان يقفون إلى جانب التجار الذين يوفّرون لهم حاجياتهم اليومية وكانوا يتصدّون للعقوبات التي تفرض على التجارة من قبل السلطات الفرنسية والايطالية والتي تصل إلى حدّ مصادرة البضائع والسجن.

وفي سنة 1955 تعرض مجموعة من تجار نالوت الذين كانوا يترددون على منطقة تطاوين إلى مصادرة بضائعهم من قبل رئيس الشؤون الأهلية بذهيبة، الذي كان قد كلفهم في فترة سابقة بمهمة جلب السلاح من طرابلس، ولمّا رفضوا عمد إلى مصادرة بضائعهم، وقد وقف عامل تطاوين، والأهالي بتلك المنطقة إلى جانب تجّار نالوت، وأرسل عامل تطاوين بمذكّرة إلى وزير الداخلية بتاريخ 24 أكتوبر 1955 جاء فيها :[55]

(وبعد فالمعلم به الجناب أنّه حضر لدينا المذكورون والذين هم تابعون للايالة الطرابلسية عارضين علينا شكواهم المتضمنة أنّهم في الأشهر التي قبل الصيف الفارط كان رخص لهم نائب رئيس الشؤون الأهلية بذهيبة الدخول ببضاعات كالقمح والدقيق والحيوانات لبيعها إلى أهالي عملنا الذين هم في أشدّ الحاجة لذلك غير أنّ النائب المشار إليه كلّفهم أخيرا بجلب أشياء من الايالة الطرابلسية، وبما أن ما كلّفوا به تعذّر عليهم جلبه وإدخاله لقطر شقيق (يفهم منهم أن الطلب يتعلق بالسلاح لتشتريه السلطة الفرنسية) فلم يأتوا بشيء منه عند دخولهم في هاته الأيام إلى تراب العمل وبينما هم مطمئنون على أنفسهم وبضاعتهم المبينة بمقالهم حسب الترخيص لهم، إذ وقع القبض عليهم من طرف الجنود).

(54) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 1.
(55) أ. و. ت. س. أ. صندوق 280. ملف 1.

ثانيا : الحياة الاجتماعيّة

المصاهرة

من النتائج المباشرة للهجرة المتبادلة بين الشعبين الليبي والتونسي حدوث المصاهرة بين العائلات الليبية والتونسية وقد شجّع عمليات الزواج عدم وجود أية موانع أو حدود دينية، و قوانين وضعية، فالسكان في كلا القطرين يدينان بالاسلام، بل إنّهما يشتركان في اتّباع مذهب واحد، وهو (المذهب المالكي)، كما أن عادات، ومراسم الزواج تكاد تكون واحدة، في كلا البلدين، فالزواج في تونس وليبيا هو (خطبة وفاتحة وأملاك وعقد قران وزفاف)[56].

وكان الخطيب يتعذّر عليه التعرّف على خطيبته بحكم العادات والتقاليد السائدة لدى الشعبين، حيث كانت المرأة ملازمة للحجاب، ونادرا ما تخرج دون ارتداء ما يعرف في تونس (بالسفساري) وفي ليبيا (بالفراشية)، وفي الوسط الريفي يقل استخدام السفساري أو الفراشية حيث تستعمل النساء الريفيات الرداء أو الملحفة عوضا عن السفساري.

إن هندسة المباني التقليدية العربية تبرز مدى تأثّر البيئة الاسلامية بالحجاب (فمدخل المنزل يتكون من سقيفة أو سقيفتين تؤدّي إحداهما للأخرى وقلّما تجد نافذة تطل على العالم الخارجي، ووسط الدار منعزل تماما عن الخارج محوطا بحجرات الدار)[57].

لقد كانت الظروف الاجتماعية السائدة في البلدين عامل وحدة وتقارب بين المهاجرين، وسكّان البلاد الأصليين، حيث لم يجد المهاجر وجها للغرابة في العادات والتقاليد السائدة في تونس.

وكان الحلي الذي تستعمله المرأة في العديد من المناطق التونسية يكاد يكون هو نفس الحلي الذي تلبسه المرأة في ليبيا (فالحلي الطرابلسية وخاصة الخلخال والتكليلة، وبعض منسوجاتها كالفوطة الملوّنة التي تسمّى في صفاقس الزرزخانة من البضاعات الرائجة في هذه المدينة[58] وتلعب دورا أساسيا في حياة أسرها)[59].

إن هذه العوامل كلها كانت مشجّعة لحدوث عمليات المصاهرة بين العائلات التونسية والليبية، بيد أن عمليات زواج المهاجرين اقتصرت خلال الهجرات الأولى على العائلات الليبية، إذ (كان الليبي يختار شريكة حياته من بين الليبيات)[60] نظرا إلى أنّ

(56) الكعاك عثمان **التقاليد والعادات التونسية** الدار التونسية للنشر 1987 ص 89.
(57) د. أبو زهرة نادية، البركة والشرف والنساء بتونس، في **المجلة التاريخية المغربية. عدد10 - 11** 1978 — ص 131.
(58) مدينة صفاقس.
(59) الزواري علي **رسائل أحمد القليبي بين طرابلس وصفاقس** المعهد القومي للآثار والفنون، المكتبة التاريخية 1982 — ص 7.
(60) بن موسى تيسير **نفس المصدر** ص 35.

العائلات الليبية كانت تحافظ على وحدتها ولحمتها الاجتماعية، إضافة إلى أنّ بعض الآباء والأمّهات من التونسيين يرفضون زواج بناتهم للمهاجرين الليبيين بحجّة أنّهم سوف يحرمون من رؤية بناتهم في حالة عودة هؤلاء المهاجرين إلى طرابلس.

غير أنّ هذا الجانب لم يكن شائعا بين كلّ التونسيين[61]. فهذا النفور لم يدم طويلا، إذ بحكم استقرار المهاجرين في أغلب المناطق بالبلاد التونسية، بدأ التعارف، وأخذت الصلة تتوطّد بين العائلات الليبية، والتونسية، بحكم الجوار، وعلاقات العمل، وتطوّرت العلاقة إلى درجة المصاهرة، وتكوين العائلة الواحدة.

إن المصاهرة، وحالات زواج الليبيين من التونسيات قد سجّلت ارتفاعا كبيرا بعد ثورة الفاتح من سبتمبر سنة 1969[62] التي شجّعت الشباب الليبي على الزواج من العربيات، ونظرا لقرب تونس من ليبيا، وتشابه العادات، والتقاليد فقد كان الاقبال على الساحة التونسية أكثر من الساحات الأخرى.

وفي سنة 1989 وحدها سجّلت (94) حالة زواج، شملت مناطق مختلفة من البلاد التونسية، نذكر منها، تونس العاصمة، صفاقس، سوسة، القصرين، المهدية، الفحص، مدنين، قرنبالية، جرجيس، أريانة، بنزرت، منزل بورقيبة، القيروان، الكاف، نابل، طبلبة، حمام الأنف، بئر المشارقة، الدندان، بن عروس[63].

إن جملة من الملاحظات حول دراستنا لهذا الموضوع والتي أمكن التوصّل إليها، يمكن إجمالها على النحو الآتي :

١) — الملاحظ أن حالات الزواج لم تقتصر على منطقة أو جهة معيّنة، بل شملت أغلب المناطق في البلاد التونسية.

٢) — بلغ إجمالي حالات الزواج لسنة 88 و1989 (182) حالة، وهذا يعني إضافة 182 أسرة جديدة تحمل الدم التونسي والليبي خلال سنتين فقط، إضافة إلى المصاهرات القديمة المسجّلة كل سنة.

٣) — إن هذه الأسر الجديدة ستخلق بالضرورة تواصلا مستمرا بين القطرين بحكم الزيارات المتبادلة بين الأصهار، ولا سيّما في المناسبات الدينية والاجتماعية.

---

(61) ورد ذلك في المقابلة التي أجريتها مع فرج بن صالح (60 سنة) بتاريخ 1988/2/24 وهو متزوج من امرأة ذات نسب ليبي، من منطقة (ترهونه)، وقد كانت أسرتها ضمن المهاجرين الليبيين بمنطقة الفحص (هنشير القدال).

(62) وثائق أرشيف القنصلية الليبية — تونس.

(63) نفس المصدر.

ولقد كان لروابط المصاهرة بين الشعبين قديما وحديثا الأثر البالغ في حركة التواصل والترابط بين العائلات الليبية والتونسية، وهو ما ساعد على خلق نسيج اجتماعي مبني على صلة الرحم، والقرابة.

وحدة الأمثال والتعابير الشعبية

إن المهاجرين الليبيين في أثناء هجرتهم إلى تونس حملوا معهم العديد من الأمثال والتعابير الشعبية التي تزخر بها الساحة الليبية، وهي أمثال وتعابير تعبر عن تراث شعبي أصيل، توارثها الأبناء عن الآباء والأجداد، فهل وجد المهاجرون نقيضا لتلك التعابير والأمثال التي ألفوها في بلادهم ؟ أم أنّهم وجدوا نفس التعابير، والأمثال، وهو ما يجعلهم لا يشعرون بأنّهم أغراب بل هم بين إخوة يجمع بينهم التراث والثقافة الواحدة.

ومن خلال دراسة ميدانية قمت بها للعديد من المناطق بالجنوب التونسي منها، قفصة، تطاوين، قبلّي، قابس، مدنين، بنقردان وبعض المناطق الأخرى في ليبيا مثل، يفرن، غريان، ترهونة، مسلّاتة، الخمس، الزاوية، العجيلات، زوارة، لاحظت أن التعابير، والأمثال الشعبية تكاد تكون واحدة في البلدين منذ زمن طويل، ولا تختلف سوى اختلاف طفيف من حيث اللهجة، وفيما يلي نذكر بعض الأمثلة للتدليل على وحدة التعابير والأمثال الشعبية في كلا البلدين، سجّلتها مباشرة من بعض المشائخ المتقدّمين في السنّ في الجنوب التونسي، وبعض المناطق الغربية من ليبيا.

المعنى المقصود بالمثل	نص المثل في تونس	نص المثل في ليبيا
أينما كنت فثمّة عباد الله	الله وعباد في كل بلاد	نفس التعبير
لا تكن إنتهازيا	إذا كان صاحبك عسل ما تلحسوش الكل	نفس التعبير
المحافظة على سلامة الهيكل باعتباره جوهر الأشياء	إذا سلم العود اللحم مردود	نفس التعبير
الدنيا لا تدوم على حال واحد	الأيام كيف الريح في البريمة شرقي وغربي ما يدومش ديمة	الأيام كيف الريح في التبريمة غربي وشرقي ما يدومش ديمه
الاقتداء بالجار	أعمل كيف ما يعمل جارك وإلا قلّع باب دارك	دير زي ما يدير جارك وإلّا قلّع باب دارك

اختيار الجار الحسن	الجار قبل الدار	نفس التعبير
الحث على ممارسة الرياضة	تعشى وتمشّى	نفس التعبير
الانسان الجشع الذي لا يرضى بالقليل	اعطوه الكراع مد يده للـذراع	نفس التعبير

تقلبات الأيام وحظوظ الانسان منها	ان كان جت تجيبها سبيبه وان كان مشت تقطع السلاسل	نفس التعبير
حظوظ الانسان في الدنيا	نواصي واعتب، والبعض من الذريـة	نفس التعبير
الحث على الوحـدة	حمل الجماعة ريش	نفس التعبير
الحث على الايفـاء بالتزامات الديون	خوذ ورد وشارك الناس في مـالهـا	نفس التعبير
الحث على حذق الصناعة	صنعت اليدين خير من ملك الجديـن	نفس التعبير
اختلاف الناس في الطبائع والميـول	طير البر ما يلايمش طيـر البحـر	نفس التعبير
على المرء أن يأتي بالدليل والبرهـان	هذا حصانك وهـاذي السـدرة	نفس التعبير

وبالاضافة إلى التعابير والأمثال الشعبية، هناك الألفاظ الشعبية، أي المصطلحات المستعملة في مختلف أوجه الحياة، والتي لم يجد المهاجرون الليبيون أي وجه للغرابة فيها، من ذلك الأدوات المصنوعة من الصوف، الشعر، الوبر، الجلود، سعف النخيل، والحلفاء.

وتعتبر هذه الأنواع مواد خاما للعديد من المصنوعات التقليدية التي أجادت في صنعها أنامل المرأة التونسية والليبية، وهي تشكّل في أغلبها نماذج هندسية واحدة من حيث الشكل والحجم، ولم تكن معرفة تلك الصناعات وأجادتها قد تمّت بواسطة معاهد التدريب المهني أو المدارس ولكنّها تكتسب من خلال الممارسة اليومية وتتوارثها الفتيات عن أمّهاتهنّ وجدّاتهنّ، ومن هذه المصنوعات[64].

(64) المرزوقي محمد مع البدو في حلهم وترحالهم الدار العربية للكتاب 1984 ص 258.

(أنسجة الشعر تشمل كل ما يستعمل للخيام وللحمل : الغرارة، الفليج، الحوية، الخرج، المخلاة).

وهذه المصنوعات تعتبر ضرورية ومهمة في حياة أهل الريف، مثل بيت الشعر الذي أساسه الفليج، حيث تشد مجموعة من (الفلجان) إلى بعضها لتكون الخيمة، التي كانت لها أهمية بالغة في حياة البدو باعتبارها السكن المريح داخل الوسط الريفي.

أمّا الجلود، فيصنع منها، الشكوى لصناعة اللبن، المزود لحفظ الدقيق، القربة لحمل المياه، السرج لركوب الخيل، الدلو يستعمل لسحب الماء من الآبار، الرقعة توضع تحت الرحا لحفظ الدقيق.

إن للوحدة الجغرافية والمناخية تأثيراتها المباشرة على السكان في منطقة الجنوب التونسي، والمنطقة الغربية من ليبيا، إذ بالاضافة إلى وحدة العادات والتقاليد نجد وحدة اللباس التي تتمثّل في الحولي والوزرة، والرداء، والفوطة، ومثلما في ليبيا تشتهر بعض المناطق بصناعة الحولي، من ذلك الحولي النالوتي، نسبة إلى بلدة نالوت، أو الحولي الجبالي نسبة إلى منطقة الجبل الغربي (جبل نفوسه) نجد في تونس الحولي الجريدي نسبة إلى منطقة الجريد، كما تشتهر (شنتّي) و(الدويرات) بالمصنوعات الصوفية، وأهمها الحولي الذي يصنع من الصوف الأبيض النقي، عكس الوزرة التي تصنع من الصوف الخشن في ألوان أخرى قد تكون دهماء أو حمراء اللون، (من بين المصنوعات الصوفية الحولي، وهو لباس بدوي يكون أبيض اللون يلبسه البدوي في المناسبات كالأعراس والحفلات بمختلف أنواعها، وينسج الحولي في (المسدي) المنسج ويبلغ طوله عادة 10 أذرع وعرضه 3 أذرع، وتشتهر منطقة الدويرات بصنع الحولي ويختلف الحولي العربي عن الحولي الجريدي وهو يمتاز بالوشمة أو الطابع وهي نقوش توضع بالشملة ويشد الحولي على الكتف بواسطة خيط يسمّى التوكمية)[65].

عادات المهاجرين الليبين في تونس

إن النسيج الاجتماعي للشعبين التونسي والليبي قلّما يجد المرء نظيرا له في أقطار أخرى، وهي لحمة زادتها الهجرة المتبادلة بين السكان في القطرين دعامة ورسوخا، ومن البصمات التي لا تزال شاهد عيان على التأثيرات التي أحدثتها الهجرة الليبية في أوساط المجتمع التونسي عادة شرب الشاي، وليس معنى ذلك أن شرب الشاي لم يكن معروفا في تونس فعادة شرب الشاي قديمة في أغلب المجتمعات، لكن كان للشاي الطرابلسي طابعه الخاص، ولا تزال طريقة إعداد الشاي الليبي حتى وقتنا الحاضر تختلف عن الطريقة التي ي

(65) جريدة الصباح تاريخ 1990/3/15.

بها إعداد الشاي في المجتمعات الأخرى، ويعبر الشاعر والأديب الطاهر عبد الرزاق[66] عن أهمية الشاي في الحياة اليومية :

لم يدر ما لذّة الدنيـــا وبهجتها
من لم يكـن من كؤوس الشاي قد شربـــا

ومن لوازم شرب الشاي تلك الكأس الصغيرة التي تستخدم في شرب الشاي، وتعرف داخل المجتمع التونسي (بالكأس الطرابلسية) وهو دليل على الأثر الذي تركه المهاجرون الليبيون في هذا الجانب.

يتحدث الأستاذ بشير محمد الصالح بن مراد[67] في مذكّراته الخاصة وهو الذي عايش المهاجرين الليبين عن قرب، يقول :

(ومن مشهور أمرهم أنّهم كانوا يحبون الشاي كثيرا، يطبخونه بطريقة خاصة وحتى يصير لونه داكنا، ولا يشربون منه إلّا النوع المعروف بالشاي الأحمر ومن غريب الأمر أنّهم يشربونه في كؤوس صغيرة من بلّور عادي تعرف عند أهل تونس (الكأس الطرابلسي) وهي زهيدة الثمن، ولعلّهم كانوا العامل الأصلي في تعميم شرب الشاي الأحمر بالعاصمة، وليس معنى هذا أن التونسيين يجهلون شرب الشاي أو أن الطرابلسيين هم الذين أدخلوه إلى تونس، ذلك أن التونسيين يشربون الشاي منذ أزمنة بعيدة، ففي أوساط العهد الحسيني كان شرب الشاي منتشرا، وإن كانت القهوة أقدم شربا وأعمّ، وأنّما الطرابلسيون حبّبوا فيه الطبقات الشعبية وعمّموا شربه بينهم خصوصا على طريقة طبخهم، بل وكان من لوازم عدّة العامل إذا انتقل من بيت إلى بيت آخر أو إلى عمل آخر أن يصحب البرّاد والكانون والكأس الطرابلسي).

والذي نلاحظه على هذه المعلومات التي أفادني بها الأستاذ (بن مراد) أنّها تصور بشكل جلي إقبال الليبيين على شرب الشاي، والذي يصل إلى حد الادمان، وهي عادة يبدو أنّها لاقت الاستحسان داخل أوساط المجتمع التونسي، الأمر الذي جعل هذه العادة تزداد انتشارا وعلى نفس الطريقة الطرابلسية.

وكان العمال المهاجرون يحرصون على تناول الشاي في الصباح، وفي الظهر وحتى في أثناء ساعات الدوام، ولم يجدوا ممانعة من قبل الأعراف، وأصحاب العمل، وحتى بعض

(66) من علماء الزاوية الغربية ولقد ولد بقرية الأبشات سنة 1283 هـ درس بالأزهر في مصر، وتولى الافتاء في مدينة الزاوية، سافر إلى الآستانة سنة 1319 هـ ضمن وفد ليبي رفع شكوى للسلطان عبد الحميد الثاني ضد تدخلات ايطاليا في ليبيا. (عن كتاب أعلام ليبيا للطاهر الزاوي).

(67) ينظر الوثيقة رقم (29) بالملحق الخاص بالوثائق.

المزارعين الفرنسيين كانوا يشاركون العمال في شرب الشاي بل أنّهم استحسنوا تلك الطريقة الطرابلسية التي يتم بها إعداد الشاي، والتي تعطي نوعا من الشاي المركز القوي[68].

النشاط الاقتصادي والاجتماعي للمهاجرين الغدامسيين بمدينة تونس

وإن ظل المهاجرون الليبيون يشكلون لحمة واحدة، من حيث ترابطهم الاجتماعي والسياسي بغض النظر عن المناطق التي ينحدرون منها، إلّا أن بعض الفرق حاولت الاحتفاظ بخصوصيّاتها من ذلك، الغدامسيون.

غدامس، الهويّة والتاريخ

واحة غدامس من أهمّ الواحات الليبية بمنطقة الجنوب الغربي، ومازال هذه المدينة محافظة على أصالتها ومقوماتها الحضارية من خلال مبانيها، وأزقتها العتيقة، وقد أدرجت في (اليونكسو) المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم باعتبارها إحدى المعالم التاريخية في العالم.

وفي القرن السابع الميلادي دخل الاسلام إلى غدامس عن طريق القائد عقبة بن نافع الذي عزّز التواجد الاسلامي في الشمال الافريقي بجعل القيروان مركزا رئيسيا للمسلمين بأفريقيا[69]

ومن الأحداث التي سجلت في أثناء تواجد جيش عقبة بن نافع بغدامس اكتشاف (ماء عين الفرس) التي تعد من المقومات الحياتية في غدامس، والتي تستند قصة إكتشافها[70] إلى أن جيش عقبة قارب على الهلاك من شدّة العطش بالصحراء، فتضرع عقبة إلى الله أن ينجيه وجيشه من العطش، فاهتدت فرس عقبة إلى منبع الماء، وبذلك أطلق عليها عين الفرس.

والسكان في غدامس ـــ حسب التقسيم القديم ـــ يتركبون من عشيرتين هما بني وليد وبني وازيت، وكلّ عشيرة تنقسم إلى عدد من اللمحات، تكان تكوّن العشيرتان متكافئتين من حيث عدد الأفراد، وذلك وفقا لما جاء في دراسة (هنريكو دي أغسطيني) التي صدرت

(68) ورد ذلك في رواية الحاج أحمد محمد البنيني الذي عمل مشرفا على العمال باحدى المزارع التي كانت على ذمة أحد المزارعين الفرنسيين بخنقة الحجاج، وقد لاحظ أن تعاطي شرب الشاي كان يعطى للعامل شحنة من النشاط والحيوية، وهذه الفكرة كان الفرنسيون يلاحظونها جيّدا.

(69) البلاذري، الامام أبو الحسن **فتوح البلدان** دار ومكتبة الهلال بيروت 1983 ص 25.

(70) د. ريموند موني (طرق التجارة عبر الصحراء بين ليبيا ومناطق السفانا في النيجر وتشاد قبل الفتح العربي) في **مجلة البحوث التاريخية** السنة 3 العدد 1 ـــ 1981.

سنة 1917 [71] والتي أشارت إلى أنّ عدد أفراد بني وليد 2500 نسمة وعدد أفراد بني وازيت 2500 نسمة.

وللغدامسيين لغتهم الخاصة التي يتحدثونها فيما بينهم، وقد حافظوا عليها حتى في أثناء هجرتهم بتونس[72] ونتيجة لطبيعة غدامس الجغرافية فقد ارتبط سكانها بممارسة التجارة الصحراوية والتنقل عبر المدن التجارية الكبيرة منها طرابلس الغرب، تونس، السودان، وامتد نشاط الغدامسيين حتى أواسط إفريقيا، ونتيجة لذلك فقد عرفت المدينة هجرة العديد من أبنائها الذين اضطرتهم ظروف الحياة إلى العيش بعيدا عن واحتهم، ومن البلدان التي شهدت هجرة مكثفة للغدامسيين مدينة تونس.

ولم يكن الغدامسيون غرباء على تونس، فالروابط التاريخية بين غدامس وتونس عميقة، وضاربة بجذورها في أعماق التاريخ. يشير هنري دي أغسطيني إلى وجود فروع صغيرة من عشائر غدامس تنحدر من ورغمة في تونس[73].

انحدر الغدامسيون الذين هاجروا إلى تونس من عدّة أحياء بغدامس هي : تانقزين — بن وليد — تفرفره — أولاد بالليل — أولاد جارسان — أولاد بن مازيغ — أولاد بالخير.[74]

وقد ارتبط الغدامسيون بمهنة تجارة القوافل منذ عدّة قرون، وكانت تجارتهم مزدهرة مع تونس خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في عهد الدولة الحسينية إذ كانت غدامس تمثل منطقة (ترانزيت) للتجارة بين أواسط إفريقيا وتونس، ونتيجة التنقل المستمر بين تونس وغدامس، استقرت العديد من العائلات الغدامسية في العاصمة التونسية، وقد كانت لهم دار كبيرة بمثابة الوكالة التجارية في نهج (البلاغجية) بالعاصمة[75].

وتشير مراسلات محمد عبد الحميد الغدامسي[76] إلى أنّه كان الوكيل التجاري لغدامس بتونس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقد ازدهرت التجارة في عهده بين البلدين حتى تاريخ دخول الاستعمار الفرنسي إلى تونس سنة 1881.

---

(71) دي أغسطين هزيكو نفس المصدر ص 528.

(72) يحيى الجيلاني بن الحاج والمرزوقي محمد **معركة الزلاج** الشركة التونسية للتوزيع 1974 — ص 142.

(73) دي أغسطيني هنريكو **نفس المصدر — ص** 527.

(74) ورد ذلك في رواية الشيخ محمد بن أحمد سانو الغدامسي في المقابلة التي أجريت معه بتاريخ الجمعة 1/19/ 199 (بدار الجماعة) بنهج غرنوطة المتفرع من شارع الباشا بتونس العاصمة والتي كانت إحدى الدور التي سكنها الغدامسيون منذ مطلع هذا القرن (من مواليد غدامس 1900).

(75) الحشائشي (محمد عثمان) **رحلة الحشائشي إلى ليبيا 1895** تقديم علي المصراتي، دار لبنان للنشر — بيروت 1965 — ص 116.

(76) مراسلات محمد عبد الحميد الغدامسي الذي عمل كوكيل تجاري لتجارة غدامس بتونس 1287هـ — 1297 هـ، هي عبارة عن مراسلات شخصية كان يتبادلها مع أصدقائه وأقاربه في غدامس، ويتطرق في بعضها إلى شؤون التجارة ونظرا للمكانة التي يحظى بها محمد عبد الحميد الغدامسي داخل الأوساط

وظل الغدامسيون الذين استقروا بتونس على صلة بذويهم في غدامس عن طريق الرسائل، ومن خلال القوافل التجارية التي تتنقل بين غدامس وتونس[77].

ومن أعيان الغدامسيين الذين عرفوا في تونس :

«الحاج عمر الوحشي، محمد الطاهر الوحشي، الحاج الطاهر بن هارون، الحاج محمد بن الحاج الثني، محمد بن بلقاسم بن عبد الواحد، أبو بكر بن الحاج، الحاج محمد بن عربي وإخوانه، البشير بن الامام، قاسم بن علي محلا، محمد بن وليد، محمد بوزماله وإخوانه، الحاج محمد هيبة وإخوانه، متيضن القنجي وإخوانه، الحاج علي الثني وإخوانه، الحاج محمد الثني عرف الناظر، محمد بن جميع، محمد بن سالم بن علي، قاسم بن موسى بن كنس، محمد بن عمر الوحيشي، أحمد بن الحاج قاسم وأبناء عمّه، محمد بن محمد الزملي، محمد بن عبد الرحمان بن رشيد، محمد بن أحمد بن رشيد، أبناء محمد بن محمد بن محمد رشيد، أبناء الحاج علي بن رشيد، أبناء الحاج علي ديفو، خميس بن علي واده، الحاج محمد بن خالد، محمد وأحمد أبناء القاسم بن أحمد محمد وخميس أبناء جردو، الحاج علي مسري، محمد بن علي بن عمر الثني القاطنين بالممالك السودانيّة ولهم خبرة عظيمة بأحوال السودان وممالكه وجدودهم منذ أحقاب متطاولة بتونس يرون أنفسهم كأبناء تونس في جميع الحقوق»[78].

طبيعة الطريق بين غدامس وتونس

كانت الرحلة من غدامس إلى تونس شاقة وعسيرة، وتكتنفها العديد من المخاطر، إذ جلّ المسافة التي يقطعها المهاجر تتمّ عبر الصحراء حيث الفيافي والقفار التي تنعدم فيها المياه والأشجار، وكانت الرحلة في عهد المستعمر أشدّ وأكثر صعوبة فكثيرا ما كانت القوافل التجارية تتعرض إلى التنكيل والمصادرة ممّا يجبر أصحاب القافلة إلى البحث عن مسالك بعيدة عن أنظار حراس الحدود والدوريات، وظلّت الإبل أهمّ وسائل النقل نتيجة تكوينها الجسماني الذي يتحدى مشاق الصحراء، والرحلة من غدامس إلى تونس تأخذ الخط الآتي الذي اعتاد عليه الغدامسيون غدامس — تطاوين — قابس — تونس، وقد اكتسب الغدامسيون الخبرة العملية في هذه الطريق فعملوا كمسيرين للقوافل التجارية التي تتردّد بين غدامس وتونس[79].

الغدامسية فإن رسائله كانت ذات بعد شمولي، إذ كانت لسان حال كل المهاجرين الغدمسيين، فمن خلالها أمكن للغدامسيين في غدامس تتبع أخبار جاليتهم بتونس.

(77) أ.و.ت. س.أ. صندوق 232 ملف 459.

(78) الحشائش (محمد عثمان) **نفس المصدر** ص 130 - 131.

(79) رواية الطيب بن أحمد واو الغدامسي، أجريت معه المقابلة يوم الجمعة 1990/1/26. وهو أحد الممرضين الغدامسيين بمستشفيات تونس (متقاعد).

وتستغرق الرحلة بين غدامس وتونس خمسة عشرة يوما، حسبما جاء في رواية الشيخ محمد بن أحمد سانو الغدامسي الذي هاجر إلى تونس عن طريق القوافل سنة 1918، وللتأكد من صحّة هذه المعلومة، أمكن إجراء المقارنة بين المسافة التي تربط غدامس بمدينة طرابلس باعتبار أنّ المسافة بين غدامس ـــ تونس تكاد تكون نفس المسافة غدامس ـــ طرابلس، وفي دراسة للدكتور سلفاتور بونو[80] حول تجارة طرابلس عبر الصحراء أشار إلى أنّ مجموع الأيام التي تستغرقها رحلة القافلة من طرابلس إلى غدامس مرورا بعدّة محطات منها، جنزور ـــ زواره ـــ زرير ـــ الوطيه ـــ نالوت ـــ سيناون ـــ غدامس[81] تتراوح بين 13 و 15 يوما، وهو ما يؤكد صحة رواية محمد بن سانو.

ونتيجة لموقع غدامس المهم كانت تمثل النافذة التي تطل من خلالها التجارة الليبية على الدول الأفريقية «فمن بين الخطوط الرئيسية الأربعة للتجارة عبر الصحراء كانت ثلاثة تمتد عبر التراب الليبي، وكان أهمها طرابلس ـــ غدامس»[82].

ونظرا للأهمية التي كانت عليها غدامس فقد شدّت إليها أنظار العديد من الدول الأجنبية من بينها الدولة العثمانية ـــ فرنسا ـــ إيطاليا، وقد أعطت فرنسا العناية والاهتمام بغدامس باعتبارها تمثل شريان الحياة للتجارة الصحراوية وحلقة الوصل بين العديد من الأقطار الإفريقية منها، السودان، ليبيا، الجزائر، تونس، كما أنّها نقطة عبور لرجال الطوائف الدينية الذين كانوا محلّ تتبع ومراقبة من قبل السلطات الفرنسية.

وكان المبشرون الفرنسيون قد تسربوا إلى الصحراء ووصلوا إلى غدامس، حيث قاموا بوضع مخطط يتمثل في إجراء الكشف على المرضى، وتقديم الأدوية مجانا، وذلك بقصد التقرب للسكان، وتهيئة الأرضية لانجاح مهامهم التبشيرية، بيد أن استيلاء فرنسا على تونس سنة 1881 أثار نفور سكان غدامس والسلطات التركية، واعتبروا أنّ أولئك الفرنسيين إنّما هم جواسيس يعملون لصالح التغلغل الفرنسي في الصحراء[83].

وكانت فرنسا قد أبرمت معاهدة سنة 1862 مع زعيم (الأزرقيين أخنوخن)، وتركزت أساسا على ضمان الصداقة والتعاون مع الطوارق مع إعفائهم من دفع الضرائب على تجارتهم مع الجزائر مقابل سلامة التجار الفرنسيين والجزائريين القاصدين السودان[84].

(80) د. بونو سلفاتور (تجارة طرابلس عبر الصحراء) في **مجلة البحوث التاريخية** السنة الثالثة العدد الأول ـــ مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي 1981.
(81) كورو (فرانشيسكو) **ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني** تعريب خليفة التليسي ط /أولى ـــ دار الثقافة بيروت 1975 ـــ ص 29.
(82) بروشين ن. أ. **نفس المصدر ص** 41.
(83) تشايجي عبد الرحمان **نفس المصدر** ص 97.
(84) عطية مخزوم الفيتوري (فرنسا وقضية الحدود الليبية) **مجلة البحوث التاريخية الطبعة 11** العدد 2 ـــ 1989 ص 169.

وقد أثار ذلك مخاوف بريطانيا والدولة العثمانية وبإيعاز من الباب العالي قام والي طرابلس بدراسة الوضع «واقترح على حكومته تحويل غدامس إلى قضاء، وتعيين قائمقام قويّ والتساهل مع تجارها الذين بيدهم التجارة السودانية، وتأمين الرخاء لسكانها لكي تكون قلوبهم مع الدولة في هذه النقطة الحسّاسة»[85].

وقد جاء في تصريح لوزير المستعمرات الفرنسي (الأميرال كلوى Cloué) بتاريخ 1881/6/18 التوصية بضرورة احتلال غدامس باعتبارها نقطة استراتيجية لتجارة القوافل، وأوصى أيضا بإنشاء خطّ جمركي بين قابس وغدامس لقطع الطريق أمام مهربي الأسلحة والذخيرة[86].

وتابعت الدولة العثمانية تصريحات المسؤولين الفرنسيين وتحركات القوات الفرنسية تجاه غدامس بكل حذر ويقظة. وفي سنة 1896 تأكد لدى الحكومة العثمانية أنّ فرنسا تضع مخطّطا لاحتلال غدامس. وكانت فرنسا قد ازدادت تشبثا بغدامس بعد المعاهدة الفرنسية الانجليزية عام 1890 التي تركزت أساسا على تقسيم المستعمرات، وضمان حريّة تنقل المبشرين المسيحيّين التابعين لكلا البلدين داخل القارة الافريقيّة، وكانت فرنسا ترى أن وضع يدها على غدامس يضمن لها السيطرة على المنطقة الشمالية للقارة الافريقيّة.[87]

النظام الاجتماعي للمهاجرين الغدامسيّين بتونس

تركز استقرار المهاجرين الغدامسيّين في تونس العاصمة عكس بقيّة الجالية الليبية التي توزّعت في شتّى مناطق من البلاد التونسيّة.[88]

والملاحظة الجديرة بالاهتمام أن المهاجرين الغدامسيّين كان بعضهم من صغار السّن الذين يأتون للعمل في تونس في سنّ مبكّرة إذ تتراوح أعمارهم بين 12 و 15 سنة[89] ممّا أطلق عليهم مثلا كان شائعا في غدامس وتونس «غدامس تولد وتونس تربّي»[90] ويذهب الحشائشي إلى تفسير آخر لهذا المثل وهو أن أعيان غدامس كانوا يرسلون أبنائهم الذين تتراوح أعمارهم بين الثامنة والعاشرة إلى تونس لحفظ القرآن الكريم وتعلّم الكتابة[91].

(85) تشايجي عبد الرحمان **نفس المصدر السابق** ص 71.
(86) تشايجي عبد الرحمان **نفس المصدر السابق** ص 119.
(87) تشايجي عبد الرحمان **نفس المصدر السابق** ص 143.
(88) أبو القاسم ابراهيم نفس المصدر ص 88.
(89) رواية الشيخ محمد بن أحمد سانو الغدامسي.
(90) التيمي عبد الجليل **الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وليبيا وغرب إفريقيا خلال العصر الحديث** منشورات المجلة التاريخية المغربية 1981 ص 22.
(91) الحشائشي (محمد عثمان) نفس المصدر ص 127.

ومن المعتقدات التي كانت شائعة في المجتمع التونسي التفريق بين الغدامسي، والطرابلسي، وكأن لا صِلَةَ البتّة بينهما، فالإسم المشاع لليبيا في ذلك الوقت (طرابلس) وكلمة «الطرابلسيّة» تعني اللّيبيّين بينما الغدامسي كان يعتبر مواطنا إفريقيًا لا صلة له بطرابلس[92]

ومن السّمات البارزة للحياة الاجتماعيّة للغدامسيّين، اللّحمة والتّرابط، وإعانة بعضهم، والاحترام المتبادل بين الصغار والكبار، ومازال هذه الصفات متأصلة في الكثير من الأسر الغدامسيّة وقد برز ذلك من خلال المقابلات التي أجريناها مع بعض العائلات الغدامسيّة التي تعيش في تونس منذ 70 سنة، من ذلك أنّ الغدامسي لا يدخّن أمام والده أو عمّه، رغم تطوّر أساليب ونمط الحياة المعاصرة، والغدامسيّون مسالمون بطبعهم حتى أنّ هذه الصفة فسرت تفسيرا خاطئا من بعض الغزاة واعتبروا أنّها ضعف، وتخوّف من الحرب بينما الواقع غير ذلك فالغدامسي مسالم بطبعه، وفي معاملاته مع الناس، لكنّه في أثناء الكفاح التحريري أثبت حضوره، ففي معركة الزّلاج يوم 1911/11/7 كان للغدامسيّين المهاجرين بتونس دور داخل المعركة لمناصرة أشقّائهم التونسيّين[93].

لقد كان الغدامسيّون في تونس العاصمة موزّعين على أربعة أماكن كلّ واحد منها يعرف (بدار الجماعة) وهي عبارة عن سكن كبير يتكوّن من عدّة غرف، وفي الغالب تكون هذه الغرف مفتوحة على بعضها، وتتسع لإيواء عدد يتراوح بين 40 و 70 شخصا من الغدامسيّين الغزاب، وكانت دار الجماعة بنهج غرنوطة المتفرع من نهج الباشا من أكبر هذه الدّور إذ كانت تتّسع لعدد يفوق 70 شخصا[94] وكان وجود الغدامسيّين يكاد يكون منحصرا بالنسبة للعزاب في المناطق التالية :

1 - (دار الجماعة) — نهج غرنوطة — المتفرع من نهج الباشا.
2 - (دار الجماعة) — باب سويقة
3 - (دار الجماعة) — سوق النحاس
4 - (دار الجماعة) — الحفصيّة

وكلّ دار من هذه الدّور تضمّ مجموعة ترتبط بصلة القرابة، وتنتمي إلى أحد الأحياء بغدامس، والتي سبق ذكرها، وعلى سبيل المثال (دار الجماعة) بالحفصية يقطنها الوافدون من حي (بن مازيغ) بغدامس، و (دار الجماعة) بنهج غرنوطة يقطنها الغدامسيّون الوافدون من حي (تانقزين) وهم أولاد سانو وأولاد واو.

(92) رواية الأستاذ محمد الصالح بن مراد (متقاعد) زيتوني قديم، وعضو سابق في بعثة الجامعة العربية في باريس، وهو إبن المرحوم فضيلة الشيخ محمد الصالح بن مراد شيخ الاسلام في عهد المنصف باي.
(93) يحيى الجيلاني بن الحاج والمرزوقي محمد **نفس المصدر ص** 142.
(94) رواية الطيب من أحمد الغدامسي (سبق التعريف به).

ويرأس كلّ دار من هذه الدّور أكبر الغدامسيّين سنًا في الدّار، ويتولّى شؤون الدّار من حيث الكراء والنّظافة والإشراف، ويتدخّل لفض أيّ خلاف قد ينشب داخل الدّار وهو بمثابة (شيخ القبيلة) وعنده تحفظ الأموال باعتباره موضع ثقة كل سكّان الدّار، ومن الأساليب التنظيميّة التي اتبعها الغدامسيّون في حفظ أموالهم داخل (دار الجماعة) وخاصة الأموال التي تكون على ذمّة صغار السّن، إذ توضع النقود في (محصلة) يكتب عليها اسم الشخص، وتكون عهدة لدى الشّيخ المشرف على الدّار، ويضاف إليها بين الحين والآخر مبالغ جديدة، ولا يتمّ التصرف في تلك المحصلة إلّا إذا كان الشّاب يريد العودة إلى غدامس أو شراء أشياء هامّة.

كانت (دار الجماعة) بمثابة دار الضيافة للغدامسيّين القادمين من غدامس، خاصّة أولئك الذين كانوا يعملون في تجارة القوافل، كانت هذه فرصة للغدامسيّين المهاجرين بتونس، إذ عن طريق أولئك الوافدين يتمّ التعرف على أخبار أهلهم وذويهم في غدامس، وعن طريقهم تأتيهم بعض الأشياء كالتمر والبخور، والأطباق، والأحذية التقليديّة التي تبعث بها عائلاتهم من هناك، وفي المقابل كانت هذه وسيلة لإرسال مبالغ ماليّة إلى عائلاتهم، وبعض السّلع، كالشّاي، والقهوة والملابس.[95]

كان للغدامسيين طابعهم الفلكلوري المميز الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بطابع الفنون الشعبية الإفريقية، ومازالت فرقة الفنون الشعبية بغدامس تحافظ على أصالة فنونها التقليدية الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ.

لقد حافظ المهاجرون الغدامسيون على هذا الفن، ففي (دار الجماعة) توجد بعض الآلات والطبول التي يمارسون بها فنهم الشعبي في المناسبات، ولا يخلو عرس الغدامسيين بتونس من تقديم ألوان من فنهم الشعبي، بالاضافة إلى ذلك كانت (دار الجماعة) تضم مصاحف القرآن الكريم حيث كثيرا ما يتجمعون لعمل (ختم القرآن)، وأداء بعض المدائح والأذكار خاصة في المناسبات الدينية والأعياد[96].

النشاط المهني للغدامسيين بتونس :

ومن المهن التي مارسها الغدامسيون في تونس، العمل في المخابز والمقاهي والمطاعم، وكانت هذه المهن لا تتطلب نشاطا عضليا كبيرا، لذلك كانت تتلاءم خاصة مع صغار السّن.

(95) رواية الهادي أحمد واو الغدامسي بتاريخ 1990/1/27. إبن علي واو الغدامسي ممرض سابق بمستشفى الرابطة.
(96) رواية الشيخ محمد بن أحمد سانو الغدامسي.

كما اشتغل الغدامسيّون أيضا في الحراسة، وخاصة حراسة البيوت، ونظرا لما عرف به الغدامسي من استقامة، وحسن خلق سمح له بالمعمل داخل البيوت، وقضاء بعض الحاجيات من الأسواق عكس العمال الآخرين من جنسيات أخرى الذين لم يكن مسموحا لهم العمل داخل حرمة البيوت[97].

وفي المستشفيات كان وجود الغدامسيين متميّزا إذ يغطي عدّة مجالات منها :

1 ـــ الخفارة
2 ـــ التمريض
3 ـــ إدارة مطابخ المستشفيات

وفي مستشفى (الرابطة) كان يوجد سبعون مستخدما غدامسيا يعملون داخل المستشفى في عدّة مجالات[98] ولم يقتصر تواجدهم على هذا المستشفى بل كانت هناك أعداد أخرى تعمل في كلّ مستشفيات العاصمة.

وفي سنة 1930 تعرضت العاصمة التونسية إلى (وباء) أودى بحياة بعض الأفراد، وقد جندت كلّ المستشفيات التي كان يرأسها أطباء فرنسيون لمقاومة هذا الوباء وحصاره، وقد بذل الغدامسيون جهدا استحق من خلاله بعضهم أوسمة من الصنف الرابع، وقد تمكنت من الاطلاع على وسامين حصل عليهما كلّ من محمد بن أحمد سانو الغدامسي والطيب أحمد واو الغدامسي بتاريخ 1930/2/28، وتوضح الوثيقة (رقم24) نموذجا للشهادات والأوسمة التي منحت للمستخدمين الغدامسيين من قبل أحمد باشا بأي الثاني، ملك المملكة التونسية سنة 1930.

ونظرا إلى أن أغلب المهاجرين كانت تنقصهم الوثائق الرسمية من شهادة ميلاد وجوازات سفر، فإن كثيرا منهم وخاصة المستخدمين لدى الجهات الحكومية كانوا يضطرون للاستعانة (بالمفتي) للحصول على شهادة الميلاد بعد أن يشهد على ذلك مجموعة من المسلمين الذين لهم معرفة تامة أو تربط بينهم صلة القرابة.[99].

(97) ورد هذا المعطى في المقابلة التي أجريت مع الأستاذ بشير محمد الصالح بن مراد (سبق التعريف به).
(98) رواية الطيب أحمد واو الغدامسي. (سبق التعريف به).
(99) توضح الوثيقة رقم (4) إن علي بن أحمد بن علي واو الغدامسي، اضطر إلى تقديم شهادة ميلاد إلى إدارة المستشفى الصادقي، فتمكن من الحصول على هذه الوثيقة من المفتي المالكي (عبد الوهاب الكرارطي)، وتبين الوثيقة أن المعني بالأمر من مواليد سنة 1903، وقد شهد على صحة هذه المعلومات مجموعة من أقاربه منهم :
أحمد بن محمد بن موسى الغدامسي
أجير يومي، يسكن بنهج الحاجي عدد 6 تونس.
الطاهر بن عمر بن مالك الغدامسي عمره 77 سنة.
الساكن بباب سعدون زنقة سحنون عدد 7 تونس.

وكما أسلفت سابقا كانت مراسلات محمد عبد الحميد الغدامسي المتنفس الذي يروح عن نفس المهاجر الغدامسي شدّة الأتعاب، ويخفف عنه وقع الفراق، ومن خلالها يتعرف على أخبار الأهل والوطن، ويعلم بكل ماهو طارىء جديد.

وإن كانت هذه المراسلات تمثل جانبا واحدا أي الرسائل الواردة من غدامس فقط فإنه لا يوجد أي أثر للرسائل التي كان يبعث بها إلى غدامس محمد عبد الحميد الغدامسي، إلا أنّنا نلاحظ من خلال بعض الرسائل توجيه بعض العتاب لمحمد عبد الحميد على عدم المراسلة، وهذا يدلّ على أنّه كان قليل المراسلة، ونرجح أن سبب ذلك يعود لكثرة الوافدين من غدامس والذين يحملون معهم كل أخبار أهل غدامس، وبذلك يصبح في غير حاجة لما تأتي به الرسائل من أخبار، إضافة إلى أن الرسائل المكتوبة كانت لها بعض العيوب حيث تأتي مفتوحة، ومعرضة للضياع ويمكن أن يطلع عليها كل من تقع في يده، لذلك كان للرسائل الشفويّة، دورها ولاسيّما الأخبار الشخصيّة وذات الصبغة السريّة، وهناك إشارة إلى ذلك في أغلب الرسائل (وجميع الخبر تسمعه من القادمين إليك).[100]

والرسائل الواردة من غدامس تحمل في معظمها السلام والتحية الشاملة إلى كل الغدامسيين بتونس (وتبلغ السلام إلى من هو منكم وإليكم)[101].

وإذا كان المهاجر يعاني شتّى الأتعاب في ديار الهجرة، وتتملكه الحيرة والقلق عن أخبار الوطن والأهل، فإن أهل المهاجر وذوية بموطنه الأصلي يكونون أشدّ قلقا وأكثر عناء يتلهفون لمعرفة أخبار مهاجريهم، وهم يتطلعون دائما للأخبار التي يأتي بها القادمون من تونس، وتصور رسالة بعثت بها بنات محمد عبد الحميد الغدامسي بعد أن هزّهن الشوق والحنين لرؤية والدهنّ بعد غياب طويل (كل يوم نبكي أن كان تجري الدموع ادير مسقى من غدامس إلى تونس)[102].

وقد وقعت تزكية هؤلاء من قبل محمود العبيدي وحسن العبيدي
ويزداد الموقف صعوبة وتعقيدا في حالات الوفاة خاصة بالنسبة لأولئك المهاجرين الذين يعيشون داخل المدن إذ أن بطاقة الهوية شيء هام وضروري لاتمام إجراءات الدفن التي تم بواسطة السلطات البلدية في المدن.
ويروى الدكتور أحمد بن ميلاد الذي كان يعمل طبيبا خلال الأربعينات بالمستشفى الصادقي بأنه استدعي ذات يوم لمعاينة حالة وفاة بنهج الفزازنة (بباب سويقة) حيث يقيم مجموعة كبيرة من المهاجرين الليبيين هناك، وبعد إجراء كشف على الميت تأكد له أن الميت هو أحد المهاجرين القادمين من فزان ولا تتوفر لديه بطاقة الهوية، وإكراما لهذا الميت المسلم صادق الدكتور بن ميلاد على وثائق الدفن وأعطاه اسما مستعارا (محمد بن عبد الله) حتى لا يحدث أي إشكال لدى البلدية والسلطات الفرنسية.
(100) أ.و.ت س.أ.خ 24 ص 232 م 459.
(101) أ.و.ت نفس الملف.
(102) أ.و.ت س.أ. صندوق 232 ملف 459.

وكثيرا ما تحمل بعض الرسائل في طياتها أخبار مفجعة فهي تارة تعزي وتارة تنعى وقد مات لعبد الحميد ولد بتونس حزن عليه أهل غدامس، وقد وصلته بعض الرسائل من مدينة غدامس فيها التعزية والمواساة (...عظم الله أجرك وأحن (نحن) وإياك عزانا واحد والله وجعنا يابر ولكن هذا ما وعد الله ما ينفع كان الصبر رحمة الله علينا وعليه ويرزقك إنشاء الله ما أبرك منه)[103].

ومن جهة أخرى كانت الرسائل الواردة من غدامس لا تخفى إبلاغ المهاجرين بحالات الوفاة حتى يشاطروا بعضهم الأحزان ويشاركوا في التعزية (وتوفت رحمة الله علينا وعليها وعلى جميع المسلمين فاطمة بنت الحاج علي بن الحاج محمد بن يوسع، تبقى تعزي لنا سيدي السنوسي بن يوسع وسيدي متيضا بن أحمد)[104].

وفي رسالة أخرى ورد ذكر جملة من حالات الوفاة

(وقد توفي الحاج محمد المرتضى وأحمد بن محمد بزمالة وسيدي المختار بن محمد بن الحاج قاسم بن عبد الله)[105].

ونظرا للشمولية التي تمتاز بها مراسلات محمد عبد الحميد الغدامسي فقد كانت الوسيلة التي يتم من خلالها معرفة كل أخبار المهاجرين الغدامسيين في مدينة تونس من قبل أهلهم وذويهم في بلدهم غدامس (ولا بد يا أخينا أعطينا خبر عمنا محمد وإبن عمنا أبوبكر بن بلقاسم وأخبر ابن عمتنا سيدي الطاهر بن الفقي يستخبر عنهم، وجملة ناسنا كلهم في خير الحمد لله)[106].

التجارة :

ظلت غدامس لعدة قرون تمثل مركزا تجاريا مهما بأفريقيا ونقطة عبور للسلع والبضائع المتبادلة بين الشمال والجنوب.

والغدامسيون بالاضافة إلى تجارتهم المتبادلة بين تونس وغدامس، امتلك بعضهم محلات تجارية في مدينة تونس، استمرت هذه المحلات على ذمتهم حتى في أثناء عودة بعضهم إلى غدامس[107].

---

(103) أ.و.ت س.أ. نفس الملف.
(104) أ.و.ت س.أ. نفس الملف.
(105) أ.و.ت س.أ. نفس الملف.
(106) أ.و.ت س.أ. نفس الملف.
(107) ورد ذلك في رواية محمد بن أحمد الغدامسي ينظر الملحق الخاص بالوثائق.

ومن العائلات الغدامسية التي نالت حظوظا وافرة في الميدان التجاري عائلة (الثني)[108] وكان أحد أفراد هذه العائلة وهو محمد زنقاح الثني الغدامسي يملك مكتبة مهمة لبيع الكتب بمدينة تونس، خلال الثلاثينيّات من هذا القرن، وكانت توفر الكتب لطلبة جامع الزيتونة، ويتم الاعلان عن الكتب القيمة الجديدة التي تدخل المكتبة والأسعار التي تباع بها وذلك بواسطة الصحافة اليومية تمكينا لطلبة الجامع الأعظم وفروعه من اقتناءها[109].

وكانت مراسلات محمد عبد الحميد الغدامسي قد اهتم في جزء منها بالمبادلات التجارية التي هي عبارة عن مجموعة طلبات يبعث بها أهالي غدامس إلى وكيلهم التجاري بتونس، والتي تتركز على شراء بعض السلع من تونس منها، الحرير، العسل وبذور زراعة الخضروات، والمرجان، والأواني الفخارية، ولايدخل ذلك في التجارة المتبادلة بين تونس والبلدان الأخرى عن طريق غدامس[110].

ونظرا لما امتاز به الغدامسيون من حذق لمهنة تجارة القوافل كمسيين وأصحاب رؤوس أموال، ووكلاء استعانت بهم الدولة العثمانية تمثيل تجارة طرابلس مع بعض الدول.

وللوكيل حرية التصرف نيابة عن موكله في البيع وفق الأسعار المعمول بها في الأسواق وكانت هناك ثلاثة عوامل يتم الاتفاق عليها ودراستها قبل انطلاق القافلة، وهي، الأسعار، أنواع السلع، أمن طريق القافلة[111].

وفي تقرير أعده القائد العسكري الفرنسي بمدنين حول الحركة اليومية لتجارة القوافل بالجنوب التونسي بتاريخ 1924/3/17، أشار فيه إلى أن الطريق المباشر بين غات وغدامس إذا ترك مفتوحا على ما هو عليه وفقا للاتفاقية الفرنسية الايطالية، فإن تجارة القوافل القادمة من السودان ستكون لصالح طرابلس[112] واقترح القائد العسكري ضرورة خلق طريق للقوافل مضمون بأكمله داخل الأراضي الفرنسية[113] ولاحظ أن الطريقة العملية الآتية هو إعطاء الأولوية لتشجيع حركة المبادلات التجارية عن طريق الجنوب التونسي.

---

(108) عائلة الثّني من (أعيان) الغدامسيّين بتونس، هاجرت إلى تونس خلال القرن التاسع عشر، واشتغلت في التجارة، ومن أهمّ أفراد هذه العائلة الحاج علي الثّني وإخوانه، الحاج محمد الثّني عرف الناظر.
(109) صحيفة النهضة (التونسية) العدد 2151 بتاريخ 1930.
(110) أ.و.ت.س.أ.خ 24 ص 232 م 459.
(111) الشريف خديجة علي (طريقة تقويم تجارة القوافل الغدامسيّة للسلع والبضائع) **في مجلة البحوث التاريخيّة** س 10 ع 1 1988.
(112) و.م.ج صندوق 32 ملف 1 وثيقة 11.
(113) المقصود بالأراضي الفرنسية الواردة بالتقرير أراضي المحميّات الفرنسية في افريقيا بما في ذلك الجنوب التونسي وغدامس.

وقد جاء في التقرير تفصيل لحركة تجارة القوافل عبر الجنوب التونسي إلى غدامس، غات خلال عامي 1923، 1924[114].

(من مارس 1923 إلى جانفي / يناير 1924)

عدد القوافل	عدد الرجال	عدد الحيوانات	نوع البضاعة	القيمة الاجمالية بالفرنك الفرنسي
12	129	222	أقمشة متنوعة، قمح، شموع، صابون، قطران، تبغ، سكر	184.160 صادرات
15	176	21	قطران، شاي، سكر	160.370 صادرات
6	59	139	تمر، أقمشة صوفية، نحاس، خرفان، ماعز	— واردات
10	141	196	قطران، أقمشة متنوعة حبوب، تبغ، سكر	122.515 صادرات
7	126	455	تحف، زرابي، أقمشة صوفية تمور، حليب، أدوات دبغ	— واردات
11	88	239	حبوب، فتائل، صابون، قطران زيت، شاي، تبغ، سكر	113.000 صادرات
4	41	82	زرابي، صوف، تحف، أشياء مختلفة	—
11	135	247	زيت، أقمشة، صابون، قطران دقيق، تبغ، سكر	239.760 صادرات
3	15	39	—	— واردات

(114) و.م.ج نفس الملف.

وممّا سبق نلاحظ أن الترابط الاجتماعي بين المهاجرين الليبيين والشعب التونسي ترابط قويّ ومتين، تجلّى ذلك في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

وهذا النسيج الاجتماعي الواحد ساعد على توحيد المواقف ضد الاستعمار الأجنبي الايطالي والفرنسي الذي كان يهيمن على الشعبين التونسي والليبي، ومن أبرز هذه المواقف حركة المقاومة على الصعيدين العسكري والنقابي.

الفَصْل السَّادس

دَور المهاجرين في حَركة مُقاومة الاستعمار الفرنسي والايطالي

الفصـــل السّـــادس

دور المهاجرين في حركة مقاومة الاستعمارين الفرنسي والايطالي

إنّ تلاحم الشعبين الليبي والتونسي في النضال ضد الاستعمار الأجنبي ليس وليد الصدفة، أو نتيجة ظرف معيّن بل هو إمتداد لما يربط الشعبين من وحدة جغرافية، ووحدة اللغة والدين، وصلة الرحم، وقد تجلى ذلك التلاحم منذ أن وطأت أقدام المستعمرين الفرنسيين التراب التونسي سنة 1881 حيث شارك المهاجرون الليبيون إخوانهم في تونس كل مراحل المقاومة، وأصبح الجنوب التونسي، والمنطقة الغربية من ليبيا إمتدادا لبعضهما، وأصبح المجاهدون يقومون بعملياتهم الحربية ضدّ مواقع العدو في كلا الواجهتين.

ويزداد التلاحم بين الشعبين رسوخا على إثر الغزو الايطالي الذي تعرضت له ليبيا سنة 1911، حيث هب الشعب التونسي يقدم المتطوعين، والمساعدات لحركة الجهاد في ليبيا، وكانت معركة الزلاج التي وقعت يوم 1911/11/7 أولى الأحداث التي عبر من خلالها الشعب التونسي عن مساندته لكفاح الشعب الليبي ضد الاعتداء الايطالي.

معركة الـزلاج

شهدت المنطقة العربية عبر تاريخها الطويل العديد من الأحداث والملاحم النضاليّة المهمة التي خاضها أبناء هذه الأمة بروح عالية، شعارهم في ذلك النصر أو الشهادة. ولئن سجل التاريخ العربي جلّ هذه الملاحم والمعارك إلّا أنّ بعضها لا يزال يستحق البحث والدراسة من قبل المتخصصين في حركة التاريخ الحديث والمعاصر. وإنّ القيام بهذا العمل يعد من الأعمال المهمة وطنيّا وقوميّا، إذ أنّ ذلك يعبر عن الوجدان الحيّ لهذه الأمة لما ينطوي عليه من إعادة بناء الذات، وإطلاع الأجيال القادمة على حقيقة التاريخ العربي، بعيدا عن التشويه والدس الذي فرضه الغربيون والمستشرقون الذين كتبوا الكثير عن التاريخ العربي في وقت كان فيه المواطن العربي منشغلا بالحروب، إضافة إلى معاناة الفقر والجهل الذين فرضهما

الاستعمار، ومن المواضيع التي تستدعي إعادة الدراسة والتمحيص تلك المعارك التي تجسد فيها التيار القومي الوحدوي، ومن هذه الملاحم، معركة الزلاج بتونس[1].

تعدّ معركة الزلاج التي جرت أحداثها في السابع من نوفمبر **1911** أي بعد بضعة أسابيع من بداية الغزو الايطالي لليبيا إحدى ملاحم النضال العربي ضدّ الاستعمار الأوروبي وسياساته الاستيطانية.

وتحظى مقبرة الزلاج بالإجلال والإكبار والقدسية الخاصة لدى السكان المسلمين باعتبارها تحتضن (مقام أبي الحسن الشاذلي)[2] والعديد من قبور العلماء الأجلاء أمثال (ابن عرفة) الفقيه المعروف كما تحتضن هذه المقبرة العديد من قبور الشهداء والمناضلين الذين قدموا أرواحهم فداء لحريّة واستقلال أمتهم العربية[3] ونتيجة ذلك فهي تشد أنظار الكثير من زوار مدينة تونس من رجال الفكر والسياسة في البلاد الاسلامية والعربية لزيارتها وللترحم على أرواح الشهداء.

وتعود أحداث الزلاج ـــ حسبما تشير إلى ذلك العديد من المصادر والمراجع التاريخية إلى قرار السلطات الفرنسية بتسجيل المقبرة ببلديّة العاصمة لتصبح داخل الهيمنة الفرنسية وبالتالي تحويلها إلى أغراض أخرى، ليست بحديقة أو منتزه كما لوحت بذلك بلدية العاصمة في ذلك الوقت، ولكن المرجح أن الهدف كان تحويلها لأغراض استراتيجية، لاسيّما وأنّ المكان الذي تقع فيه المقبرة يعتبر مفتاح المدينة من الجهتين الشرقية والجنوبية، إضافة إلى المكان المرتفع الذي يصلح للأغراض الدفاعية، والمراقبة العسكرية.

وقد حاولت السلطات الفرنسية قبل القيام بإجراءات التنفيذ جس نبض السكان المسلمين، لادراكها لخطورة العامل الديني، الذي يمكن أن يشعل فتيل الثورة ضدّ الوجود الفرنسي، وبالفعل كان الخبر قد راج بين السكان الذين كان ردّهم متسما بالغضب والتهديد،

(1) الزلاج هي مقبرة تقع بالجنوب الشرقي لتونس العاصمة في منطقة مرتفعة تطل على المدينة ويعود أصل تسميتها بالزلاج إلى أنّها كانت على ذمة أحد المصلحين وهو محمد الزلاج القيرواني وقد تبرع بها لتكون مقبرة للمسلمين تستوعب موتاهم الذين كانوا في ضائقة نتيجة لصغر المقابر الموجودة بتونس العاصمة ونتيجة تذبذب النمو الديمغرافي وكثرة عدد الوفيات في بعض الفترات التاريخية بسبب تفشّي الأوبئة والمجاعات.

(2) هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار ولد بقرية (غمارة) من بلاد المغرب سنة 593 هـ، وقد جدّ في طلب العلم، وارتحل في سبيل ذلك إلى العديد من المدن الاسلامية منها تونس، القاهرة، دمشق، المدينة المنورة، بغداد، وهناك جالس العلماء.
وهو صاحب الطريقة الشاذلية التي انتشرت في الكثير من الأقطار الاسلامية، وعلى وجه الخصوص في منطقة المغرب العربي، واستهوت هذه الطريقة العلماء، وعامة الناس على حد سواء.

(3) الجيلاني بن الحاج يحيى ومحمد المرزوقي **نفس المصدر** ص. 19.

وقد وجه السكان تحذيرات للبلدية ورئيسها، ونبهوا إلى مغبّة أي إجراء تتخذه البلدية بحق المقبرة التي هي حق لكلّ المسلمين.

وإزاء ذلك كانت السلطات الفرنسية قد وجدت نفسها أمام الأمر الواقع إمّا التراجع عن قرارها بشأن المقبرة، أو إتمام إجراءات تسجيل المقبرة بالبلديّة، وبالتالي الدخول في مخاطرة مع السكان المسلمين والتي ستكون نتائجها سيئة على الوجود الفرنسي بتونس.

وعليه كان التراجع هو السبيل الذي إرتأته السلطات الفرنسية، وقد تأكد ذلك من خلال تأكيدات البلدية وبالتراجع عن قرارها بخصوص المقبرة، وآخرها ما أعلنه شيخ المدينة يوم **6** نوفمبر **1911** بتراجع البلدية، وإلغاء قرارها السابق[4].

لقد تزامن قرار السلطات الفرنسية بشأن مقبرة الزلاج مع اندلاع المعارك فوق الأرض الليبية، والتي أظهرت فيها إيطاليا مدى الحقد والكراهية للعرب والمسلمين، وهو حقد صليبي متأصل منذ القدم، وقد تجلى ذلك من خلال الأسلوب الوحشي الذي أظهره الجنود الايطاليون من السكان، وخاصة النساء والأطفال، وتهديم وحرق مساكن المواطنين بلا هوادة[5].

وكانت هذه الأخبار السيّئة قد انتشرت في كامل البلاد التونسية، وكانت مبعث إنزعاج وتشنج للأعصاب، وإذا كانت العديد من المصادر التاريخية تعزو الأسباب المباشرة لانتفاضة الزلاج إلى قرار السلطات الفرنسية المتعلق بالمقبرة، ومع اتفاقي بأنّ موضوع المقبرة كان في مقدمة الأسباب المحركة للانتفاضة، بيد أنّني ومن خلال دراسة المراحل التي أدت الى الانتفاضة العارمة يوم **1911/11/7**، نلاحظ أنّ السبب المباشر أصبح يوم **6**نوفمبر **1911**عندما أعلم شيخ المدينة السكان بتراجع السلطات الفرنسية عن قرارها الخاص بتسجيل المقبرة في غير قوّة تأججه، وعنفوانه التي كان عليها قبل **6** نوفمبر **1911** ومن البديهي أن انتفاء السبب ينفي حدوث الفعل، لكن غضب الجماهير، وإصرارها على مؤازرة أشقائها في طرابلس الذين يخوضون أشرس المعارك، إمتزج بموضوع المقبرة ليشعل شرارة الصدام صبيحة **1911/11/7** مع الشرطة الفرنسية، والجالية الايطالية التي كانت تقطن بصورة مكثفة في المناطق القريبة من مقبرة الزلاج.

وقد دخلت الجالية الايطالية في مناوشات وتحرشات مع السكان العرب منذ بداية الغزو الايطالي لليبيا في **5** أكتوبر **1911**، وقد كان مكان المقبرة مسرحا مناسبا أمام الجماهير لتصفية الحساب مع الايطاليين، ولا سيّما وأنّ السكان العرب كان سلاحهم في ذلك الوقت الحجارة، والعصي. بينما كان أفراد الجالية الايطالية يملكون الأسلحة النارية التي كانت

(4) الجيلاني بن الحاج يحيى ومحمد المرزوقي **نفس المصدر** ص. 20.

(5) تيسير بن موسى **نفس المصدر** ص. 25.

السلطات الفرنسية تغض عنها الطرف بينما تقيم الدنيا ولا تقعدها إذا ضبط مواطن عربي يحمل مسدسا متواضعا[6].

كانت تعيش في تونس العديد من الجاليات العربية، وعلى وجه الخصوص الجالية المغاربية، ليبيا ــ الجزائر ــ المغرب، وكانت الجالية الليبية تعيش في مناطق متفرقة من البلاد التونسية[7] وكان الغدامسيون موجودين بالعاصمة بأعداد هائلة نظرا لتخصصهم في الأعمال التجارية منذ القدم، حيث كانت قوافلهم التجارية دائمة التنقل بين غدامس، وتونس[8].

وقد شارك المهاجرون الليبيون إخوتهم في تونس في كل المحن التي عاشتها البلاد، السياسية منها والاقتصادية. «لقد كان المهاجرون الليبيون بالبلاد التونسية جزءا لا يتجزأ من التركيبة الاجتماعية والاقتصادية للبلاد التونسية، وقد تأثروا سلبا وإيجابا بكلّ تقلبات الحياة السياسية بالبلاد، وساهموا في كلّ الأحداث السياسية الكبرى التي جدت بها بدرجات متفاوتة»[9].

وكانت معركة الزلاج إحدى الملاحم التي تجسدت فيها الروح النضالية الواحدة للعرب، إذ شارك في هذه الملحمة، التونسي، الليبي، الجزائري، المغربي، السوداني[10].

لقد كان السابع من نوفمبر 1911 يوما مشهودا في تاريخ مدينة تونس، ومنذ الصباح الباكر كان تدفق الجماهير من مختلف أحياء المدينة (كان يوما عابسا ينذر بالشر، السماء مظلمة ملبدة بالغيوم، والسحب كثيفة، والرياح الباردة تزمجر وتصفع الوجوه بلمسات زمهريرها النافذ إلى العظام، والمدينة مغلقة الأبواب، والأسواق خاوية على عروشها، كلّ شيء غاضب : الطبيعة والبشر، لا ينتظر هذا الغضب إلّا حركة من الحركات لتنفجر براكينه ويضطرم جحيمه)[11].

جرت المصادمات بين الجماهير ورجال الشرطة، ثمّ أخذت الشرطة تطلق الرصاص على أبناء الشعب الذين سقط منهم أعداد من الجرحى والقتلى، وساهمت الجالية الايطالية في المعركة بإطلاق الرصاص من الأحياء التي كانت تقطنها، لكن الجماهير كانت أقوى من الرصاص، فأرادت أن تنتقم من الايطاليين، وتثأر للعدوان الايطالي على ليبيا، فكانت

(6) أ.و.ت. س.أ. صندوق 280 ملف 1 1 - 280.
(7) ابن أبي ضياف (أحمد) **اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان** كتابة الدولة للشؤون الثقافية ج2 ص. 167.
(8) الصفاقسي محمد مقديش **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار** تونس **1903** ج 2 ص. 88.
(9) أبو القاسم إبراهيم **نفس المصدر** ص. 101.
(10) الجيلاني بن الحاج يحيى ومحمد المرزوقي **نفس المصدر** ص. 38.
(11) الجيلاني بن الحاج يحيى ومحمد المرزوقي **نفس المصدر** ص. 20.

الجماهير تردّد «الجهاد في سبيل الله»[12] وهي تتصارع مع رصاص الجالية الايطالية وقوات الشرطة الفرنسية.

وكانت خسائر الايطاليين، والشرطة الفرنسية ثمانية أشخاص أسقطتهم الجماهير في ميدان المعركة[13].

وقد ألقت السلطات الفرنسية القبض على أعداد كبيرة من المتظاهرين، وقد قدم منهم 72 شخصا للمحاكمة أمام المحكمة الفرنسية الجنائية كان من بينهم ثلاثة ليبيين[14].

رحومة بن مبروك الطرابلسي **41** سنة من منطقة الزاوية الغربية
حسن بن بلقاسم بن علي **30** سنة من غدامس[15]
مصطفى بن محمد بن الطيب **23** سنة من غدامس
محمد بن علي الشاذلي الطرابلسي[16] حكم عليه بالاعدام ثم بالأشغال الشاقة[17].

وقد حكم بالاعدام على مجموعة من أبناء تونس، كان في مقدمتهم[18] :

الشاذلي بن عمر القطاري **21** سنة من أبناء تونس العاصمة
المنوبي بن علي الجرجار **31** سنة من أبناء تونس العاصمة

وكانت عملية الأعدام التي أقدمت عليها السلطات الفرنسية فاجعة أليمة لدى السكان المسلمين.

إذ لم تستطع معها وسائل القمع، والأسلوب البشع الذي مارسته السلطات الفرنسية أن تلجم هدير الجماهير الغاضبة، وأن تبعدها عن ممارسة دورها القومي لمناصرة حركة الجهاد في ليبيا.

(12) الجيلاني بن الحاج يحيى ومحمد المرزوقي **نفس المصدر** ص. 24.
(13) الجيلاني بن الحاج يحيى ومحمد المرزوقي **نفس المصدر** ص. 90.
(14) الجيلاني بن الحاج يحيى ومحمد المرزوقي **نفس المصدر** ص. 38.
(15) حسن بن بلقاسم بن علي ومصطفى بن محمد الطيب من أبناء المهاجرين الغدامسيين الذين استقروا بمدينة تونس خلال القرن التاسع عشر، وعندما ألقى عليهما القبض كانا يتحدثان اللغة الغدامسية، وقد دون ذلك في التحقيق الذي أجرته معهم محكمة الجنايات.
(16) محمد بن علي بن الشاذلي الطرابلسي (1889 - 1947) مقر إقامته (السبالة) ولاية بنزرت، حكم عليه بالاعدام في 3 جوان 1912 بتهمة القتل في أحداث الزلاج، ثمّ استبدل الحكم في 1912/10/17 بالأشغال الشاقة مدى الحياة وذلك بموجب مرسوم صادر عن رئاسة الجمهورية الفرنسية، وقد استشهد بصفاقس في 1947/8/5.
(17) بوذينة محمد **مشاهير التونسيين** شركة فنون الرسم والنشر والصحافة 1988 ص. 388.
(18) المحجوبي علي **نفس المصدر** ص. 34.

التلاحم مع انتفاضة 1915

أبرزت انتفاضة 1915 مدى عمق التلاحم بين المجاهدين الليبين، والتونسيين في مقاومة الاستعمار الأجنبي المتمثل في القوات الفرنسية، والايطالية، ولقد مرّت هذه الانتفاضة التي اندلعت احداثها في موفى صائفة 1915 بالعديد من المعارك التي قادها خليفة بن عسكر النالوتي خلال الفترة من 1915 إلى 1918[19] وقد اتّسمت معارك الجنوب بالأهميّة، والحدّة، ممّا جعل فرنسا تعيرها كامل عنايتها، وذلك بتسخير قوّات إضافية لتعزيز موقف القوات الفرنسية المنتصبة في الجنوب، وفي المناطق الحدودية مع ليبيا، وقد عبر القبطان الفرنسي (رفوكس) على أن أحداث منطقة الجنوب سنة 1915 لا تقل ضراوة وأهمّية عن أحداث القتال في الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918[20].

وتعود أسباب انتفاضة 1915 إلى انضمام مجموعة من المجاهدين التونسيين إلى صفوف إخوانهم المجاهدين الليبيين الذي استطاعوا أن يلحقوا بالجيش الايطالي سنة 1915 خسائر فادحة أجبرت القيادة العسكرية الايطالية على ترحيل الكثير من كتائب جنودها المنتشرة بالدواخل إلى مدينة طرابلس لتعزيز موقفها هناك، وللدفاع عن المعقل الرئيسي للايطاليين في مدينة طرابلس، وقد كانت أخبار هذه الانتصارات قد هزت مشاعر الأخوة التونسيين، باعتبار أن تلك الحرب كانت تمثل الجهاد المقدس ضد الاستعمار الأجنبي والدفاع عن راية الاسلام[21] وكان جل المجاهدين التونسيين الذين انضموا إلى خليفة بن عسكر من قبائل الجنوب التونسي، أولاد دياب — أولاد شهيدة — طرايفة — مخالبة — كراشوة — مرازيق — ورغمة[22].

وكانت هذه القبائل تشعر بالمرارة، وهي ترى القوات الفرنسية تهيمن على الأراضي التونسية، وتسلب خيراتها، لذلك كان السكان ينتظرون الفرصة المواتية التي يثأرون فيها للجرح الذي لم يندمل بعد، وفي تلك الأجواء كانت فرنسا تشعر بتحرشات قبائل الجنوب، وتحالفها مع الانتفاضة التي يقودها خليفة بن عسكر في مناطق غرب طرابلس، لذلك قامت فرنسا من جهتها بأخذ احتياطاتها اللازمة، وفي 1915/6/15 عينت المقدم لوبوف (Le Bouff) على منطقة الجنوب العسكرية، وأرسلت تعزيزات إضافية إلى المنطقة تمثلت في 320 ضابطا و 13.000 بين ضباط صف وجنود[23].

---

(19) المرزوقي محمد **الدغباجي** ص. 78.

(20) Raffoux (capitaine) le front sud tunisien pendant la guerre 1914 - 1918.

(21) المرزوقي محمد **دماء على الحدود** الدار العربية للكتاب ص. 38.

(22) القشاط محمد سعيد **خليفة بن عسكر** ص. 54.

(23) ليسير فتحي **الاستعمار الفرنسي وقبائل أقصى الجنوب 1882 - 1918**، شهادة الكفاءة في البحث 1987 كلية العلوم الانسانية والاجتماعيّة — تونس.

بـداية المعارك

وكانت ساحة الجهاد بليبيا قد تعززت بعودة بعض زعماء وقادة الجهاد ومنهم الشيخ سليمان الباروني الذي عاد من تركيا بعد أن كان مهاجرا في تونس، وسوف المحمودي الذي عاد من مصر بعد أن هاجر إلى تونس سنة 1913، وكذلك سيف النصر وأحمد المريض[24].

وفي شهر سبتمبر 1915 كانت أولى المعارك التي خاضها المجاهدون التونسيون والليبيون ضد القوات الفرنسية، ونتيجة التحاق أعداد كبيرة من المجاهدين التونسيين بخليفة بن عسكر، كانت فرنسا تتحين الفرص للانتقام من سكان (وازن) التي يوجد بها الكثير من المجاهدين التونسيين، وفي أثناء ذلك وقعت أولى الاصطدامات في (المرطبة) يوم 1915/9/13 حيث اصطدمت مجموعة من المجاهدين يقودها محمد بن مذكور[25] وقد الحقت هزيمة بالفرنسيين حيث قتل إثنان من الفرنسيين وعادت بقية الدورية مهزومة إلى حاميتها بمركز ذهيبة.

وكان رفاق محمد بن مذكور في تلك الأثناء المنتصر عبد اللطيف من أولاد (دياب) والمبروك الأبيض من الحميدية (الودارنة)[26].

ونتيجة تلك الهزيمة التي لحقت بفرنسا قرّر قائد حامية (ذهيبة) الانتقام من أهالي وازن، وتقدمت الحملة الفرنسية للهجوم على وازن يوم 1915/9/17، غير أنّ فطنة خليفة بن عسكر، وخبرته في حركة الجهاد حالت دون تقدم القوات الفرنسية، وفي رواية المجاهد يوسف بن عامر عبد الله بن عامر الوازني (من أهالي وازن) الذي اشترك في تلك المعركة (استطاع المجاهدون صد التقدم الفرنسي في هذا اليوم وأرجعوه إلى الخلف نحو ذهيبة. ورجع المجاهدون إلى وازن حيث باتوا في ضيافة أهلها)[27].

---

(24) المرزوقي محمد **الدغباجي** ص. 52.

(25) محمد بن يحيى بن مذكور هو أحد أبطال حركة الجهاد ضدّ فرنسا وإيطاليا، وهو من أولاد شهيدة، وينحدر في الأصل من قبيلة السبعة اللّيبيّة، التي كان قد هاجر أفرادها إلى الأراضي التونسيّة خلال القرنين الثامن عضر والتاسع عشر، وقد استقرّ بعضهم بالجنوب التونسي بقبيلة أولاد شهيدة بمنطقة تطاوين، يقول محمد المرزوقي عن محمد بن مذكور (لم يتردّد لحظة، واجتاز الحدود تاركا زوجته وأطفاله ليلتحق بأبناء عمّه المجاهدين من عرش السبع والمحاميد وتقلّد السّلاح ضدّ إيطاليا، وغامر مغامرات كثيرة وحضر أربع عشرة معركة حربيّة ضدّ الطّليان، وجرح مرّتين). عن كتاب دماء على الحدود — للمرزوقي. وقد انتقل محمد بن مذكور إلى الرّفيق الأعلى خلال معركة رمادة التي جرت في شهر جوان / يونيه 1916.

(26) المرزوقي محمد **الدغباجي** ص. 54.

(27) القشاط محمد سعيد **خليفة بن عسكر** ص. 60.

وكان المجاهدون بقيادة خليفة بن عسكر قد تتبعوا تراجع القوات الفرنسية، وقاموا بالهجوم على مركز ذهيبة، واجتازوا الحصن الذي كانت تقيمه القوات الفرنسية، وعزلوا المنطقة بقطع الخطوط الهاتفية التي كانت تربط ذهيبة بمنطقة تطاوين[28].

وتوالت المعارك بعد ذلك بين المجاهدين والقوات الفرنسية، وكانت أهمها معركة (أمّ صويغ) يوم 1915/10/12، ومعركة الرمادة يوم 1916/6/16 واستطاع المجاهدون في أثناء ذلك تحقيق المزيد من الحاق الهزائم بالقوات الفرنسية التي كانت تستنجد بالتعزيزات التي كانت تصلها بين الحين والآخر، والمتمثلة في الأسلحة والجنود.

إنضمام محمد الدغباجي إلى خليفة بن عسكر

في أثناء تلك المعارك سجل انضام الكثير من المجاهدين الليبيين والتونسيين إلى صفوف المقاومة التي يقودها خليفة بن عسكر، ومن أبرز هؤلاء محمد الدغباجي الذي كان أحد الجنود بالحامية الفرنسية[29] بذهيبة عندما هاجمها المجاهدون يوم 1915/9/17، واغتنم الفرصة لينضمّ لصفوف المجاهدين[30].

وإن لم يبرز اسم الدغباجي في انتفاضة 1915 لأسباب أهمها أنّه لا يزال حديث العهد بحركة الجهاد، ولوجود الكثير من القيادات التي كانت على خبرة كافية بطرق النضال الشعبي، فإن نجمه بدأ يسطع منذ سنة 1918 حيث دخل في حرب عصابات مع القوات الفرنسية انطلاقا من الحدود الليبيّة، وقد جاء في رسالة بعث بها محمد الدغباجي إلى (خليفة الحامة) الذي كان يلح على الدغباجي في العودة إلى أهله[31] بتاريخ 1920/2/16 (أنتم تطلبون هذا الرجوع إلى ديارنا، لكن ألسنا في ديارنا؟ إنّه لم يطردنا منها أحد بعد، فحركتنا تمتد من فاس إلى مصراته وليس هناك أحد يستطيع إيقافنا).

---

(28) ليسير فتحي **نفس المصدر**

(29) المرزوقي محمد **الدغباجي** ص. 55.

(30) محمد بن صالح بن محمد الدغباجي (1885 - 1924) ينحدر من عائلة فقيرة تسكن الخيام بالحامة بقابس وتعتمد على تربية الماشية من إبل وغنم، إضافة إلى زراعة القمح والشعير، وتلقى تعليما متواضعا بحفظه بعض سور القرآن (بكتاب الدوار) وفي سنة 1907 أصبح محمد الدغباجي من المجندين في الجيش الفرنسي، وفي أثناء انتفاضة الجنوب سنة 1915 كان الدغباجي بحامية ذهيبة، وقد اغتنم تقدم المجاهدين بقيادة خليفة بن عسكر ناحية ذهيبة لينظم إلى صفوف المجاهدين، وكان لمحمد الدغباجي علاقة مهمة بحركة الجهاد في ليبيا، وعلى علاقة وطيدة بخليفة بن عسكر.
وقد ألقت القوات الايطالية القبض على خليفة بن عسكر ورفيقه محمد الدغباجي في 1922/5/28 حيث سلم الدغباجي إلى القوات الفرنسية التي نفذت فيه حكم الاعدام سنة 1924.

(31) المرزوقي محمد **الدغباجي** ص. 61.

وكان محمد الدغباجي في حركته النضالية هذه يعتمد على بعض المجاهدين الليبيين ومن بينهم أحد المهاجرين الليبيّين بتونس (عمر كريد الحامدي)[32] الذي رافقه في حركته النضالية ضدّ الاستعمار الفرنسي، وشاركه في أغلب المعارك التي خاضها ضد الفرنسيين، ومن أهمّها معركة (خنقة عيشة) ومعركة (الزلوزه) ومعركة (المغذية) والتي جرت أحداثها خلال عام 1920 داخل الأراضي التونسية[33].

لقد سجل الشعر الشعبي تلك الملاحم التي خاضها المجاهدون التونسيون والليبيون ضد القوات الفرنسية والإيطالية، فهذا الشاعر محمد بن المبروك معيز[34] يتحدث عن رحيل نجع المحالبة إلى ليبيا للانضمام لانتفاضة خليفة بن عسكر سنة 1916 في معركة (أمّ صويغ) وكيف كانت حرارة الاستقبال لهم من قبل إخوتهم الليبيين[35].

أحنا الخيل شديناهم ... مراحيلنا من بينهم جبناهم
نواظير حد طرابلس فتناهم ... عرض بينا شرهان فارح بينا
سنوات عشنا بالقدر معاهم ... ودرنا عملنا كيف ما حبينا

وكان لاقدام السلطات الايطالية على إعدام خليفة بن عسكر سنة 1922 الأثر السيء في نفوس المجاهدين في كل من تونس وليبيا، ولا سيما أولئك الذين خبروا شجاعة وبطولة خليفة بن عسكر في ميدان الجهاد أيام الانتفاضة التي قادها بن عسكر سنة 1915 بالجنوب التونسي، فهذا الشاعر علي بن عبد الله النائلي[36] الذي شارك خليفة بن عسكر في حركة المقاومة ضدّ الفرنسيين والايطاليين، يعبر في قصيدته زجلية عن الجريمة التي ارتكبتها إيطاليا بإعدامها خليفة بن عسكر[37].

شنقوه تمّ نهاره ... وبعثوا جواباته مع الطيّاره
وخانوه دولة طاليا الغدارة ... قال ريت مكحلة المرافيد به
وحصلوا على اللي رايهم في شكاره ... وفي غيبته لعبت علينا حيّة

* * *

---

(32) عمر كريد الحامدي ينحدر من قبيلة الحوامد الليبية، وهو أحد المهاجرين الليبيين الذين ناضلوا إلى جانب محمد الدغباجي في مقاومة الأستعمار الفرنسي وشاركه في أغلب المعارك التي خاضها.

(33) القشاط محمد سعيد **خليفة بن عسكر** ص. 207.

(34) الشاعر محمد بن المبروك معيز هو أحد رجال المقاومة بالجنوب التونسي، من (المحالبة) برمادة شارك بسلاحه وبلسانه في انتفاضة الجنوب ضد الاستعمار الفرنسي والايطالي.

(35) القصيدة منشورة بكتاب خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام، للأستاذ محمد سعيد القشاط ص. 277.

(36) الشاعر علي بن عبد الله النائلي من منطقة ذهيبة، شارك في انتفاضة الجنوب سنة 1915، وقد هزه خبر إعدام خليفة بن عسكر سنة 1922 على أيدي القوات الايطالية فسجل ذلك في قصيدة زجلية مطوله.

(37) القصيدة منشورة بكتاب خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام للأستاذ محمد سعيد القشاط ص. 275.

منين كان فوق الضايـــــــل　　عاش حرّ ماهزش قطاعـه مايل
فيـه الـدول متحلفـــة وغلايــــل　　عدو دينــا لو كان عيهم نيــــه
أنـــا نخبرك راني قديم ودايــــل　　التـو حبهم قاعـــد شهــوده في

عودة المهاجرين الليبيين الذين شاركوا في انتفاضة 1915

كان نجع نالوت قد هاجر إلى تونس في أواخر عام 1914، واستقر به المقام في منطقة (قبلي)، ولقد عاضد رجال هذا النجع خليفة بن عسكر في انتفاضته بالجنوب، وكان عمرو بن عسكر، شقيق خليفة بن عسكر من بين المهاجرين في منطقة قبلي، وعلى إثر انسحاب خليفة بن عسكر إلى داخل الأراضي الليبية، قرّرت فرنسا الانتقام من عائلات المهاجرين وفي مقدمتهم عائلة المجاهد خليفة بن عسكر[38].

ولقد زج بالكثير من المهاجرين الليبيين في السجون الفرنسية ومن بينهم : سعيد صالح عسكر، أحمد الناكوع، سعيد بلقاسم، خليفة ابراهيم العزابي، أحمد الصويعي المحمودي، وقد استمر هؤلاء في السجن لمدّة 3 سنوات[39].

ولم يتمكن المهاجرون وعائلاتهم من العودة إلى ليبيا إلّا في أواخر عام 1917 على إثر الهدنة التي وقعت بين خليفة بن عسكر والفرنسيين.

النضال في صفوف الحركة النقابية التونسية

كانت الحركة النقابية في تونس منذ تأسيسها على يد محمد علي الحامي في 1925/1/19 في شكلها القديم (جامعة عموم العملة التونسية) لها ارتباط وثيق بالحركة الوطنية التونسية[40] نظرا إلى أن الاستعمار الفرنسي الذي كان قد استحوذ على مقدرات البلاد وخيراتها قد خلق وضعا مأساويا تمثل في الفوارق بين ما ينعم به الفرنسي الذي جاء من وراء البحار وبين المواطن العربي صاحب الحق، ومع تنامي هذه الفوارق إزدادت الكراهية والحقد للفرنسيين والأوروبيين عموما، وأصبح العمال يتحينون الفرصة للتعبير عن غضبهم وسخطهم تجاه تلك الأوضاع المزرية التي يعيشونها، وعلى الرغم من عدم اعتراف الكنفدرالية العامة للشغل (س.ج.ت) بالاضرابات، فقد أصرّ العمال العرب على تنظيم بعض الاضرابات سنة 1924 رغم كل الظروف والصعوبات التي كانت تواجههم وقد (قدمت الحركة العمالية التونسية يوم 11 سبتمبر في بنزرت شهداءها الأولين : مقتل عاملين من عملة الرصيف وجرح

(38) القشاط محمد سعيد **خليفة بن عسكر** ص. 107.
(39) القشاط محمد سعيد **خليفة بن عسكر** ص. 1#7.
(40) المحجوبي علي **نفس المصدر** ص 117.

أو إيقاف 40 آخرين وحصول عمال [illegible]رصيف على جزء من مطالبهم، وابتداء من شهر أكتوبر تكونت عدّة نقابات تضمّ عمالا و[illegible]رفين تونسيين)[41].

وكان لمحمد عي الحامي الدور البارز والمهم في هذه المرحلة، باعتباره المؤسس والمنظر لجامعة عموم العملة التونسية، يتضح ذلك من الوقفة الجريئة التي اتخذها بمجرد انتهاء الجمعية من صياغة القانون الأساسي، وهو التحول إلى منطقة الجنوب للالتقاء عن قرب بالعمال، وتحريضهم على الانخراط في العمل النقابي[42].

إن تركيز جامعة عموم العملة التونسية على عمال منطقة الجنوب يعود إلى الأسباب التالية :

أولا : أن محمد علي يعرف أكثر من غيره الظروف الصعبة التي يعيشها عمال مناجم الجنوب، باعتباره ابن الجنوب، ومن الذين عايشوا عن قرب ظروف الطبقة الكادحة بالمناجم وما تعانية من الجور المفروض عليها من قبل الشركات الفرنسية.

ثانيا : تمثل منطقة المناجم بالجنوب أكبر تجمّع للعمال بالقطر التونسي.

ثالثا : إن كسب ذلك العدد الهائل من العمال سيزيد حتما في أهمّية الحركة النقابية التونسية.

وكان عدد عمال المناجم يتجاوز العشرون ألف عامل[43] يمثل العمال الليبيون 50 % بينما العمال الجزائريون 10 % والعمال التونسيون 40 %[44].

وممّا يؤكد الأهميّة التي يمتاز بها عمال المناجم لدى المسؤولين بالحركة النقابية التونسية خلال مختلف الفترات، تكرّر الزيارات من قبل هؤلاء المسؤولين، وفي مقدمتهم محمد علي الحامي، صالح بن يوسف، فرحات حشاد.

وفي أثناء الزيارة التي قام بها صالح بن يوسف بتاريخ 1937/12/31 لمنطقة المناجم بالجنوب التونسي، أكد على أهميّة العمال المهاجرين الليبيين، وجاء في الكلمة التي ألقاها بتلك المناسبة (أن من حق العمال الطرابلسيين الانخراط في الاتحاد التونسي للشغل)[45].

إن الانخراط في الاتحاد العام التونسي للشغل، وإن بدأ للوهلة الأولى إنّه يشكل مطلبا عمّاليّا، إلّا أنّه في ظل الادارة الاستعمارية يصبح العمل النقابي خاضعا لأبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية، يفرضها واقع الاستعمار، ومطلب الشعب في التحرر من ذلك الكابوس

(41) بن حميدة عبد السلام **نفس المصدر** ص. 61.
(42) الحداد الطاهر **نفس المصدر** ص. 139.
(43) **نفس المصدر** ص. 141.
(44) Kraïem Mustapha P. 154.
(45) Khaled Ahmed P. 248.

المهيمن على سيادة البلاد وخيراتها، يقول فرحات حشاد[46] (إنّه لا يمكن التفريق بين العمل النقابي، والعمل الوطني بالنسبة لشعب يرزح تحت نير الاستعمار، إنّ الداء الذي يصيبنا مأتاه واحد).[47]

وعليه كانت مسؤولية انخراط العمال الليبيين المهاجرين في صلب الاتحاد العام التونسي للشغل يحتم عليهم تحمل مهام جسام يخوضونها جنبا إلى جنب مع أشقائهم العمال التونسيين.

فما هو موقف العمال المهاجرين؟ وكيف كان دورهم النضالي من خلال الاتحاد التونسي للشغل؟.

لقد سبقت الاشارة إلى أن العمال الليبيين المهاجرين تركز نشاطهم بدرجة أكبر في منطقة المناجم بالجنوب التونسي في كل من المتلوي، الرديف، المضيلة، أم العرائس، وقد استأثر عمال المناجم باهتمام خاص من قبل قادة الاتحاد العام التونسي للشغل، نظرا لما امتازوا به من نضال وكفاح أهلهم إلى أن يكونوا قدوة العمل النقابي في تونس (إن عمال المناجم امتازوا بتقاليد نضالية عريقة، وتمرسوا بالعمل النقابي منذ بداية الاحتلال)[48].

لقد قام عمال المناجم بالعديد من الاضرابات، تذكر منها اضرابات 1937, 1936, 1949, 1947 وكانت بعض هذه الاضرابات لغرض المطالبة بتحسين أوضاعهم الماديّة، والمساواة بالعمال الأوروبيين، أمّا الاضرابات الأخرى فكانت تضامنا مع بقيّة الشغيلة العربية في البلاد التونسية، وقد امتازت اضرابات عمال المناجم بصلابتها، وبنفسها الطويل كتلك التي اندلعت في 1949/2/18، والتي استمرت 45 يوما[49] وقد بلغت جملة الاضرابات التي قام بها عمال المناجم بمنطقة الجنوب خلال سنتي 1936 - 1937 (14 اضرابا)، (إنّ الانتفاضات

---

(46) فرحات حشاد من مواليد 1914/2/2، ينحدر من عائلة فقيرة، تعمل بالصيد البحري ببلدة «العباسيّة» التي تقع شمال قرقنة، ونتيجة ظروفه العائلية اقتصر تعليمه على المرحلة الابتدائية، حيث دخل بعد ذلك معترك الحياة، بدأ عمله (قابضا) بفرع الشركة التونسية للنقل بصفاقس، ومن هناك انطلق عمله النقابي من خلال نقابة النقل التابعة لجامعة عموم العملة التابع لـ (س.ج.ت.). وفي سنة 1938 أطرد من عمله بسبب نشاطه النقابي.
وقد عرف فرحات حشاد بأخلاقه الطيّبة، وإخلاصه للعمل النقابي والطبقة الكادحة، وعندما أحسّ بالظلم الاجتماعي المسلط على الطبقة العاملة من قبل النقابات الفرنسية، قدم استقالته، وسافر إلى صفاقس ليؤسس هناك في سنة 1945 الاتحاد النقابي لعمال منطقة الجنوب التونسي، ومن هناك انطلق الدور النضالي والتحريري لفرحات حشاد، والذي أزعج السلطات الفرنسية، ممّا أجبرها على تدبير المؤامرة الدنيئة سنة 1952 لاغتياله بواسطة العصابة الفرنسية المعروفة (باليد الحمراء).

(47) جريدة الرسالة التونسية بتاريخ 1952/1/4.

(48) بحيرة سعيد **نفس المصدر**

(49) بن حميده عبد السلام **نفس المصدر** ص. 95.

الواسعة لكامل سنة 1937 من الـ 3000 عامل بمناجم المضيلة، الرديف، وأم العرايس قد انتهت إلى مصرع 17 عاملا قتلوا بأيدي الاستعماريين)[50].

ونتيجة المواقف النضالية لعمال المناجم الذين قدموا الأرواح الزكية دفاعا عن مطالبهم الشرعية، إستاء العمال الأوروبيون، وطلبوا من المقيم العام حرمان العمال العرب من حقوقهم النقابية[51].

كانت السلطات الفرنسية تقف على أهبة الاستعداد لقمع أي تحرك عمالي، وتمّ التركيز على ضرب القيادات النقابية، وإبعادها عن المنطقة، حتى تمحو من مخيلة العامل التفكير في حقوقه النقابية، ويظل عبدا مطيعا لأهداف المستعمرين، ومن القيادات الليبية البارزة بمناجم منطقة الجنوب محمد حسن الخيتوني[52] الذي أزعج بنشاطه النقابي في صفوف عمال المناجم السلطات الفرنسية، التي رأت فيه خطرا على مصالحها، فقرّرت طرده من مقر عمله بقفصة إلى طرابلس، وأدرج اسمه في قائمة الممنوعين من دخول تونس، على الرغم من وجود عائلته بمقر عمله في قفصة،[53] وبرغم كلّ المحاولات التي بذلها للسماح له بزيارة أسرته في تونس، والتي من بينها التوسط لدى أحمد بن صالح الأمين العام للاتحاد العام التونسي للشغل، إلّا أن كلّ تلك المحاولات باءت بالرفض من قبل السلطات الفرنسية عقابا لكل من ينشط في صفوف الاتحاد العام التونسي للشغل الذي مثل جزءا لا يتجزأ من حركة المقاومة الوطنية في تونس.

لقد كان التلاحم كبيرا بين العمال التونسيين، وإخوانهم العمال الليبيين المهاجرين (إلى درجة أن كثيرا من العمال الليبيين المقيمين في القطر التونسي — وخاصة في منطقة مناجم الفوسفاط بقفصة، التي كانت تسكن بها جالية ليبية كبيرة — قد انضمّوا إلى الاتحاد العام التونسي للشغل ولعب بعضهم فيه دورا قياديا بارزا وتعرضوا — مثل زملائهم التونسيين — إلى عسف الشركات الرأسمالية الاستغلالية وقمع السلطات الاستعمارية)[54].

---

(50) الذوادي زهير **نفس المصدر** ص. 256.

(51) Kraïem Mostapha P. 154.

(52) محمد حسن الخيتوني أحد العمال الليبيين المهاجرين بمنطقة قفصة، ينحدر من منطقة (الختنة) بالنواحي الأربعة، مناضل في صفوف الاتحاد العام التونسي للشغل، ومن المحرضين للطبقة الكادحة لنيل حقها النقابي كاملا، رغم الظروف القاهرة التي كانت مسلطة من قبل الاستعمار الفرنسي.

(53) بو يحيى سالم «محاولة في دراسة العلاقات بين الحركة النقابية التونسية والحركة النقابية الليبية 1949 - 1959» **في المجلة المغربية** عدد 42 ص. 73.

(54) د. بويحيى سالم نفس المصدر ص. 75.

ولم يقتصر النشاط النقابي للعمال المهاجرين على المناجم والشركات فحسب بل شمل مختلف مجالات العمل، وعلى وجه الخصوص الميدان الفلاحي[55] الذي كان يستوعب هو الآخر أعدادا مهمّة من الأيدي العاملة الليبية، جاء في أحد التسجيلات التي أجريتها مع أحد المهاجرين الليبيين الذي مايزال على قيد الحياة، والذي كان مسؤولا نقابيا بأحدى الضيعات التي كانت على ذمة أحد المزارعين الفرنسيين[56] ما يلي : (ناضلت في صفوف الحركة النقابية، وكنت في خنقة الحجاج بقرنبالية مسؤولا نقابيا بأحدى الضيعات الفلاحيّة التي كانت على ذمة أحد المستعمرين الفرنسيين، وكان ذلك في عهد المناضل المرحوم فرحات حشاد الذي تعلمنا منه كيف يكون النضال النقابي ضد سياسة المستعمر الفرنسي الذي يريد أن يستغل عرق وجهد الطبقة العاملة، ونتيجة عملي النقابي وتحريضي للعمال طردت من عملي، وتمّ إبلاغ كل الفرنسيين الذين كانت بيدهم أغلب فرص الشغل بتونس بعدم تشغيلي وقد تضررت عائلتي، ولحقتها الخصاصة من جراء ذلك العمل، وعلى الرغم من وقوف الاتحاد العام التونسي للشغل إلى جانبي إلّا أن الحكم كان لصالح الفرنسي باعتبار أن السلطة كانت بيد فرنسا).

ويشير هذا المسؤول النقابي إلى العناصر القيادية لفرع الاتحاد العام التونسي للشغل بقرنبالية الذين ارتبط بهم بحكم العمل النقابي :

(من النقابيين الذين اشتغلت معهم الأخ عمارة الهمامي وهو مناضل وإنسان مخلص، ويمثل الاتحاد العام التونسي للشغل بالفرع الجهوي بقرنبالية، ومن المسؤولين النقابيين الذين أعرفهم من أصل ليبي الأخ (عزيز ربيع) وهو مسؤول نقابي على مكتب الاتحاد بخنقة الحجاج وهو من بلدة (هون) بليبيا).

وفي منطقة سليمان[57] كانت إدارة الاتحاد المحلّي للشغل يتولاها أحد المهاجرين الليبيين[58] وقد بذل هذا الفرع جهودا كبيرة، ونضالات مستميتة من أجل ضمان حقوق العمال، وقد دعا بتاريخ 1956/8/28 إلى الاضراب نتيجة الغبن الذي لحق بعمال المنطقة من قبل الفرنسيين، وقد تمثلت مطالب الاتحاد في الآتي :[59]

---

(55) ينظر الوثيقة رقم (20) بالملحق الخاص بالوثائق، والتي توضح مشاركة العمال الليبيين العاملين في الفلاحة في صفوف الاتحاد العام التونسي للشغل.

(56) ورد ذلك في الجلسة التي عقدتها مع الحاج امحمد محمد عبد الله البنيني بتاريخ 1988/1/20.

(57) بلدة سليمان تقع شرق مدينة تونس على البحر، وبالقرب من حمام الأنف، وهي منطقة فلاحية، وقد أقيمت بها في السنوات الأخيرة بعض الفنادق السياحية نظرا لموقعها الجميل على البحر، وبلدة سليمان من المناطق التونسية التي استقرت بها أعداد كبيرة من المهاجرين الليبيين، نظرا لطبيعتها الفلاحية وموقعها المتوسط ولا تزال بعض العائلات الليبية تعيش بهذه المنطقة حتى وقتنا الحاضر.

(58) صالح بن محمد الطرابلسي، من مواليد 1917، تولى مراقب الاتحاد العام التونسي للشغل بمنطقة سليمان.

(59) و.م.ق.ت. أ. 2 - 16.

— رفض العمل ثلاثة أيام في الأسبوع (فلاحة بلدة سليمان)
— رجوع العمال المطرودين وعددهم 6 عمال
— دفع الأقدمية والراحة السنوية الخاصة

إن ما سبقت الاشارة إليه لا يعدو سوى ذكر لبعض العينات من العناصر الليبية التي عملت في صفوف قيادات الاتحاد العام التونسي للشغل، وهو ما يؤكد الأهميّة التي كان يوليها العمال الليبيون للاتحاد العام التونسي للشغل، الذي يمثل أحد النضالات الجادة في وجه الاستعمار الأجنبي.

إن الاتحاد العام التونسي للشغل كان يمثل طموحات العمال، وملاذهم الوحيد في حلّ مشاكلهم في وقت أصبحت فيه فرنسا تهيمن على مختلف أوجه الحياة في تونس، فكلما اشتد الأذى والجور بالعامل توجه إلى الاتحاد طالبا النجدة لاسترداد حقه الذي اغتصب، جاء في إحدى الوثائق الموجهة إلى أحمد بن صالح الأمين العام للاتحاد التونسي للشغل بتاريخ 1956/7/20 من قبل أحد العمال الليبيين، وهو بوجمعة بن حسن بن صالح الطرابلسي، الساكن بقبلاط، ولاية باجة الذي تعرض إلى الطرد والاهانة، وسلب حقوقه من قبل المزارع الفرنسي (جورج جوردان) ولمّا حاول إقناعه بالحسنى، كان رد الفرنسي قاسيا وعنيدا (وزيادة على ذلك فإنّه هددني إذا رجعت لطلب من عنده العمل، وقال لي إذا وجدتك فوق أرضي فإنّي أطلق عليك الرصاص، وهكذا يهان الفقير الذي يسعى بكد وحزم وجدّ ليطعم عائلته الكثيبة)[60].

إن كل هذه التصرفات، والأساليب ليست بغريبة على الاستعمار، فالاستعمار في حقيقته هو استيلاب الأرض ومن عليها، وتسخير ذلك لخدمة المستعمر، وفي العديد من الحالات تمّ التنكيل بالعمال لا لتقاعس أو تهاون في العمل، ولكن لأسباب سياسية، يشتم منها أن هذا العامل أو ذاك له ارتباط أو تعاطف بحركة المقاومة في تونس، ففي 1955/7/18 طلب أحد العمال الليبيين أحمد بن حمودة بن الحاج عمر الطرابلسي الذي كان يعمل في إحدى الضيعات التي كانت على ذمة إحدى الفرنسيات (مدام شيل) بمنطقة مجاز الباب، طلب التحول إلى مدينة تونس للمشاركة في استقبال عودة الرئيس الحبيب بورقيبة إلّا أنّ صاحبة الضيعة رفضت طلبه، وتمّ طرده من عمله، وقد عرض الموضوع على الاتحاد العام للتونسي للشغل[61] الذي لم يتأخر في معالجة كل مشاكل الشغيلة التي تعرض عليه، وفقا لامكاناته المتاحة في ظل إدارة الاحتلال الأجنبي.

---

(60) م.ت.ق.ت. ب. 3 40.

(61) نفس المصدر.

ومن اهتمامات الاتحاد العام التونسي للشغل الجانب التثقيفي للعمال وذلك لخلق كوادر نقابية فاعلة في صفوف العمال، ومدركة تماما لمهامها النقابية، ومن أجل ذلك قام الاتحاد العام التونسي للشغل بالعديد من الدورات على مستوى الشغيلة المغاربية، وعلى مستوى العمال بالبلاد التونسية، جاء في مذكرة بعث بها أحمد بن صالح الأمين العام للاتحاد العام التونسي للشغل إلى وزير الشؤون الاسلامية للحكومة التونسية بتاريخ 1955/9/3 (إن الاتحاد التونسي للشغل ينظم تحت إشراف الجامعة الدولية للنقابات الحرة مدرسة صيفيّة لفائدة الشغالين الليبيين والمغاربة والتونسيين، وذلك في باب برنامج التكوين النقابي الذي هو ركن من أركان التقدم الاجتماعي)[62].

وقد عبر الاتحاد العام التونسي للشغل عن بعده المغاربي من خلال توجهات قادته، وعلى رأسهم فرحات حشاد الذي كان همه بث الحماس في نفوس الشغالين المغاربة من أجل رفع مستوى الانتاج ومقاومة الاستعمار الأجنبي المهيمن على البلاد المغاربية، يقول حشاد : (إن شعب شمال إفريقيا لما يقاوم الاستعمار فإنه يعمل في ذات الوقت من أجل القضاء على أسس الرأسمالية والاقطاعية المحليّة المتعاونة مع الاحتلال)[63].

علاقة الاتحاد العام التونسي للشغل بالحركة النقابية الليبية

أوْلى الاتحاد العام التونسي للشغل إهتمامه ورعايته للحركة النقابية الليبية منذ ولادتها، والتي تعود إلى سنة 1949، وكان الاتحاد التونسي يضع في مخططه خلق وبناء حركة نقابية مغاربية قويّة تتصدى بما لها من قوة لكل مخططات الاستعمار، إنّها (جبهة اتحادية تتراصّ فيها قوات طرابلس الغرب الحرة وتونس الطموح والجزائر العربية المسلمة والمغرب الأقصى القريب إلى القلوب)[64] ولتحقيق هذه الغاية النبيلة قدم الاتحاد العام التونسي للشغل لاتحاد نقابات عمال ليبيا كل المعلومات والوثائق التي من شأنها مساعدة النقابيين الليبيين على بناء اتحادهم على أسس صحيحة إضافة إلى ذلك أرسل الاتحاد التونسي للشغل أحمد التليلي[65] إلى طرابلس في مطلع عام 1951 لتقديم المشورة اللازمة للنقابيين الليبيين.

ولقد عبر فرحات حشاد عن كبير سعادته لولادة اتحاد نقابات عمال ليبيا[66] (...فكرة تأسيس بل تحقيق النقابات بالقطر الليبي الشقيق راجين أن تكلّل أعمالكم في هذا

(62) أ.و.ت. س.د صندوق 35 ملف 24.
(63) بحيرة سعيد **نفس المصدر**
(64) د. بويحيى سالم **نفس المصدر** ص. 61.
(65) أحمد التليلي من الأعضاء البارزين في قيادة الحركة النقابية بتونس، وهو عضو في الهيئة الادارية للاتحاد العام التونسي للشغل، ورئيس الاتحاد الجهوي بقفصة.
(66) د. بويحيى سالم **نفس المصدر** ص. 62.

الشأن بالنجاح والفلاح... إنّ رائدنا هو أن تحتل جميع الأقطار العربية مكانتها السامية بسائر الميادين التقدمية، ومن بينها الميدان الاجتماعي الذي يعود على عمالنا بفوائد جمة).

ومنذ ولادة اتحاد نقابات عمال ليبيا، بدأ السعي حثيثا من قبل النقابيين الليبيين لبناء تعاون مثمر بين العمال العرب، وعلى وجه الخصوص مع الحركة النقابية المغاربية، يقول أحمد بن صالح الأمين العام للاتحاد العام التونسي للشغل[67] (نحن نرمي معا عمالا ليبيين وتونسيين إلى تقوية الحركة العمالية بكامل شمال إفريقيا وأن مجهود إخواننا الليبيين الأعزاء لجد مشكور في العمل على النهوض الاقتصادي والاجتماعي بليبيا).

ولقد تفاعلت الحركة النقابية الليبيّة مع سائر الأحداث التي شهدتها المنطقة العربية وخاصة تلك الأحداث التي عاشتها تونس سنة 1952 نتيجة سياسة الاستعمار الفرنسي، والتي اضطرت الشعب التونسي لطرح قضيته أمام هيئة الأمم المتحدة، وكان اتحاد النقابات الليبية قد ساند بكل قوة مطالب الشعب التونسي، وفي هذا الصدد أرسل الاتحاد الليبي بتاريخ 1952/3/20 مذكرة إلى كل من مجلس الأمن والجامعة العربية والأمين العام لهيئة الأمم المتحدة، ومكتب العمل الدولي بجنيف، والجامعة العالمية للنقابات الحرّة ببروكسل، وجاء في تلك المذكرة[68] (... النظر في هذه القضية الحيوية... وتنفيذ ما يمكن تنفيذه حتى يصبح هذا القطر الشقيق حرّا بين شعوب العالم).

موقف السلطات الفرنسية من أسلحة المهاجرين

كان موضوع قضية أسلحة المهاجرين الليبيين التي اصطحبوها معهم في أثناء دخولهم الأراضي التونسية من المواضيع التي أولتها السلطات الفرنسية كامل عنايتها منذ سنة 1913، وكانت الاجراءات تتم في بعض الفترات بصورة تعسفية وبأوامر صارمة، وفي بعض الفترات تتم بشيء من المرونة حيث يترك الأمر للمراقب المدني لمعالجة هذه المواضيع مع شيوخ المهاجرين، وفقا للأنظمة والاجراءات الادارية المعمول بها[69].

إن فرنسا لم يكن لها موقف ثابت تجاه المهاجرين الليبيين خلال السنوات التي سبقت الحربين العالميتين، بسبب ارتباط ذلك بمواقف فرنسا وعلاقتها مع الدول الأجنبية وخاصة إيطاليا، وهذا ما جعل فرنسا تتخذ موقفا صارما تجاه المهاجرين الليبيين الذين اضطروا إلى الهجرة إلى تونس سنة 1913 بأعداد وافرة. ومن الاجراءات التي اتخذتها السلطات الفرنسية إرغام المهاجرين على تسليم اسلحتهم، وقد واجهوا ذلك بالرفض إلّا أنّه بعد أن استحال الأمر أمامهم في الاحتفاظ بأسلحتهم، رضخوا لهذا الأمر، وقاموا بتسليمها باستثناء البعض من

(67) صحيفة طرابلس الغرب العدد 3366 بتاريخ 3 سبتمبر 1954.
(68) د. بويحيى سالم **نفس المصدر** ص. 67.
(69) أ.و.ت. س.أ. صندوق 280 ملف 1.

المهاجرين الذين نجحوا في إخفاء أسلحتهم في أماكن متناثرة بعيدة عن أنظار المراقبة العسكرية الفرنسية[70].

وقد سجل الزجل الشعبي ذلك في العديد من القصائد، فالشاعر خليفة الربعي، وهو أحد المجاهدين الذين قرّروا الهجرة إلى تونس سنة 1913، يقول متحسرا على بندقيته التي استلمها منه الفرنسيون بالحدود التونسية[71].

خلـــــيتها مدفونـــــــة	وعـايش بلاهـا عيشتي مغبونـة
ابنـادم يحكـر في الغـلب بعيونه	ولا عادش اندبـروا ورا جراحـي
مقاديـــر ربّـــي والعـــدو لزونـا	ويا نفس رومي للصغى وارتاحي

لم تكتف سلطات الحماية الفرنسية بهذا الأمر الذي أذعن له أغلب المهاجرين، ولكنها التجأت إلى أسلوب أكثر قمعا بسبب انزعاجها من التواجد المكثف للمهاجرين بمنطقة الجنوب والذي يضمّ أبرز زعماء الجهاد في ليبيا، متذرعة في ذلك بصغر حجم الأراضي التونسية، وعدم قدرتها على استيعاب ذلك العدد[72]، وقد خيرتهم بين حلّين، أمّا التجمع في مكان واحد، أو الرحيل إلى مكان آخر خارج الأراضي التونسية، ونتيجة المضايقات الفرنسية التي فرضت على زعماء حركة الجهاد في ليبيا وجماعاتهم، اضطر بعضهم إلى الرحيل إلى مصر وتركيا والبعض الآخر تقهقر إلى المنطقة الحدودية الليبية، وقد وصل الأمر بالسلطات الفرنسية إلى شن هجوم على المهاجرين بالقرب من الحدود التونسية، وصادف ذلك اليوم أحد أيام عيد الاضحى[73] وكان لذلك تأثيره على سوف المحمودي أحد زعماء المهاجرين الذي سجل هذا الحدث في قصيدة طويلة يقول في أحد أبياتها : (في عيد في عرفة علينا غاروا).

وبقدر ما كان للسلاح من أهميّة، وقيمة في نفسيّة المهاجر باعتبار أن السلاح يمثل رمزا للجهاد ضد المستعمر، وأداة للمحافظة على الشرف، فإن الظروف التي أحاطت بالمهاجر كانت أصعب، وأشدّ، ممّا أجبر البعض على الرضوخ لبيع سلاحه في الطريق بمبلغ مالي يواجه به المصاريف التي تتطلبها رحلة الهجرة من ليبيا إلى تونس[74].

إن قضية الأسلحة كانت من المواضيع الشائكة التي لم تجد لها السلطات الفرنسية ــ رغم كل الاجراءات ــ حلّا جذريّا، وإن نجحت في سنة 1913 في سحب أغلب أسلحة المهاجرين، فإنّ مردّ ذلك إلى حصر المهاجرين في مكان واحد، أمكن معه للقوات الفرنسيه

(70) الزاوي الطاهر **جهاد الأبطال في طرابلس الغـرب** ص 30.

(71) الزاوي الطاهر **نفس المصدر** ص. 178.

(72) القشاط محمد سعيد **سوف المحمودي**... ص. 48.

(73) القشاط محمد سعيد **خليفة بن عسكر**... ص. 201.

(74) **موسوعة رواية الجهاد** الجزء الثاني منشورات مركز جهاد الليبيين / طرابلس 1985 ص. 115.

التحكم والسيطرة على جلّ المهاجرين، وبالتالي أصبح من السهل سحب أسلحتهم، إضافة إلى ذلك أنّ المهاجر كان مرهقا من ظروف الحرب المشتعلة بالأراضي الليبية، وأغلبهم من أصحاب العائلات الذي يهمهم بالدرجة الأولى توفير ظروف الأمن والاستقرار لأسرهم التي أنهكها جبروت الحرب الايطالية المدمرة.

إنّ فرنسا لم تستطع بعد سنة 1913 التحكم بصورة فعلية في موضوع أسلحة المهاجرين الليبيين نتيجة الأسباب الآتية :

ــ توافد المهاجرين في فترات زمنية متقاربة

ــ اختيار بعض الجماعات من المهاجرين مسالك بعيدة عن أنظار المراقبة الحدودية

ــ انتشار المهاجرين في مناطق شتى من البلاد التونسية، وهو ما جعل أمر مراقبتهم الدقيقة في غاية الصعوبة.

وقد جاء في تقرير صادر عن الاقامة العامة الفرنسية بصفاقس بتاريخ 13 سبتمبر 1944[75]

(منذ بداية الحملة لاسترجاع الأسلحة في عام 1943، فإن رئيس منطقة قفصة قد أعلم أنّ الطرابلسيين البدو يحتفظون بأسلحة كبيرة مما يعطي الانطباع بوضعيتهم وهذا ما يجعل من الصعب بمكان أخذها منهم، ولهذا فقد استدعى شيوخ الطرابلسيين وطلب منهم أي يسلموا له الأسلحة التي يحملها مواطنوهم، وقد وعدوا كلّهم بتنفيذ ذلك، لكن الشيخ عبد الهادي زرقوم[76] وحده هو الذي بذل جهدا حقيقيا في الموضوع).

ويشير التقرير إلى أن الشرطة الفرنسية من خلال عمليّة صغيرة قامت بها في شهر أكتوبر سنة 1943، استطاعت مصادرة 37 بندقية من قبيلة الجعافرة[77]، وقد صدرت نتيجة ذلك أحكام ضد (12) مهاجرا ليبيا بتهمة حيازة الأسلحة والمتاجرة بها من طرف المحكمة العسكرية بصفاقس[78].

وأهم مصادر أسلحة المهاجرين هي تلك الأسلحة التي كان بعضها غنيمة المجاهدين الليبيين في المعارك التي انتصروا فيها ضد القوات الايطالية[79]، وأهـم هذه الأسلحـة هي

(75) أ.و.ت. س.أ. صندوق 280 ملف 1.

(76) أ.و.ت س.أ. صندوق 280 ملف 1.

(77) الجعافرة إحدى القبائل الليبية، وقد كانت جماعة الجعافرة المقيمة بالجنوب التونسي تنشط مع جماعة أولاد ابريّك في تهريب الأسلحة والمتاجرة بها عبر الجنوب الجزائري والجنوب التونسي والأراضي الليبية، وقد أفاد هذا المجهود حركة المقاومة في الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي.

(78) أ.و.ت. س.أ. صندوق 280 ملف 1.

(79) زارم أحمد **مذكرات** ص. ٣٩.

البنادق ذات الأنواع التالية، والتي استخدمت بشكل واسع في حركة الجهاد في ليبيا[80] — أبو صوّانة — أبو زمنكة[81] — أبو قوس — بومشطة.

وكانت الذخيرة لها أهميتها البالغة، إذ بدونها يصبح السلاح غير ذي بال، لذلك اجتهد المجاهدون في جمعها، سواء عن طريق ما يتمّ الحصول عليه كغنائم، أو عن طريق عمليات الشراء التي تتمّ بواسطة التهريب[82] وقد ارتفعت أسعار الذخيرة، إذ كانت تروج داخل أوساط المواطنين بأثمان باهظة بلغت (5 فرنكات) للطلقة الواحدة.

المهاجرون اللّيبيّون يحتفلون بهزيمة إيطاليا 1943.

عاش العالم ما يقارب الخمس سنوات أحداث الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945) بكل جبروتها، وقسوتها، وكانت الساحات العربية مسرحا لهذه الحرب الضروس، وقاسى المواطن العربي هول هذه الحرب، وعانى شتى الوان العذاب والجوع والتشرد (وقد تجمع في البلاد التونسية ذات الرقعة الضيقة في آن واحد خمسة جيوش هي أكبر قوّة في العالم)[83].

وبانتهاء الحرب انطفأ ذلك اللهيب الذي كاد يأتي على الأخضر واليابس، ودخلت الفرحة والطمأنينة قلوب الناس، بيد أن الفرحة في تونس كانت محدودة بسبب انتصار القوات الفرنسية الحليفة لأمريكا وبريطانيا والتي كانت تجثم على البلاد التونسية، وتسلب المواطن التونسي خيرات بلاده.

ويعزو الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب سبب عدم فرحة الشعب التونسي وعدم تفاعله مع الاعلان عن نهاية الحرب العالمية الثانية إلى خلع (محمد المنصف باي) على يد قوات الحلفاء، وهو الرجل (الذي حاول حماية شعبه في أصعب وقت عرفته البلاد)[84].

كان المهاجرون الليبيون ينتظرون نهاية الحرب، يعلقون الآمال الكبيرة على نتائجها فانتصار دول المحور يعني تكريس الهيمنة الايطالية على ليبيا، وبالتالي فقد المهاجر الأمل في

(80) **موسوعة رواية الجهاد** الجزء الثالث ص. 47.

(81) سلاح (أبو زمنكه) انتشر بشكل واسع على إثر بداية الغزو الايطالي لليبيا، حيث خاض المجاهدون الليبون العديد من المعارك ضد القوات الايطالية، وقد عمّت الفوضى في تلك الظروف البلاد، فلا حاكم ولا قانون ينظم حياة المواطنين ولا صوت إلّا صوت البنادق، وقد صور ذلك الشعر الشعبي في العديد من الصور الزجليّة نذكر منها :

كملت أيّام المحكمة والدولة اليوم (بوزمنكه) الناس ينطاعوله
كملت أيّام هنا كملت أيّام البندقة الصوانه
اليوم بوزمنكه علقو نيشانه يحكم بلا قانون جاء في أصوله
عن مذكرات أحمد زارم

(82) **موسوعة رواية الجهاد** العدد 3 ص. 237.

(83) حسن حسني عبد الوهاب **خلاصة تاريخ تونس** الدار التونسية للنشر 1983 ص. 227.

(84) **نفس المصدر** ص. 228.

العودة إلى بلاده، أو العكس، انتصار الحلفاء وهزيمة إيطاليا وهو الذي يمثل إشراقة الأمل، وتلك كانت نتيجة الحرب هزيمة المحور وانتصار الحلفاء، وبذلك عمّت الفرحة نفوس المهاجرين الليبيين المقيمين بتونس، وفكروا في إقامة حفل بهذه المناسبة نكاية في إيطاليا التي داست على كرامتهم وسلبت خيرات بلادهم.

وقد تمّ إختيار صالة الأفراح بساحة باب سويقة (البيقة) لاقامة الحفل، وقد وجهت الدعوة لحضور هذا الحفل للعديد من المدعوين[85] كما دعيت فرقة الفنانة (شافية رشدي)[86] لاحياء هذا الحفل الذي لم يلق الاستحسان في نفسية المواطن التونسي التي كانت مضطربة نتيجة الأسباب الآنفة الذكر، ومن الانتقادات التي وجهت إلى هذا الحفل من قبل الشارع التونسي، ما دار بين أحمد زارم الكاتب العام للجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية، وإحدى الشخصيات الفكرية في تونس[87] وممّا جاء في هذا الحوار[88]

(أتحتفلون بانتصار قاتلة المسلمين) ويقصد فرنسا فأجابه أحمد زارم :

(لا يا سيدي نحن نحتفل بانهيار قاتلة الليبيين)، ويقصد إيطاليا.

إن هذا الحوار يدعم الرأي الذي ذهبت إليه آنفا، وهو أن الشعب التونسي لم يكن راضيا على نتائج الحرب العالمية الثانية التي جعلت من فرنسا سيدة الموقف، الأمر الذي دعم موقفها في مستعمراتها بالخارج، ومكنها من الاستحواذ على مقدرات الشعوب ومن بينها الشعبان التونسي والجزائري، أمّا هزيمة إيطاليا التي قتلت وشردت الأطفال والنساء واستباحت الحرمات فكانت هزيمتها أمنية كل الليبيين في الداخل والخارج.

(85) زارم أحمد **مذكرات** ص. 306.

(86) الفنانة شافية رشدي من فنانات الرعيل الأوّ بتونس، أعطت للساحة الفنية والأغنية العربية كل ما تملك من موهبة وخبرة فنية رائعة، لحن لها الفنان الليبي بشير فهمي الذي كان مهاجرا بتونس العديد من الأغاني.

(87) ورد في مذكرات أحمد زارم ذكر شخصيتين أشار إلى أنّه أجرى حوارا، مع أحدهما، وهما (محمد بن حسين) رئيس تحرير جريدة الزهرة و (علي كاهية) الكاتب المعروف بوطنيته، أحد زعماء الحزب الدستوري القديم، شارك في أحداث الزلاج، ومن الذين ساهموا في مقاومة الغزو الايطالي لليبيا ماديّا ومعنويًا.

(88) زارم أحمد **نفس المصدر** ص. 306.

الخاتمة

نصل بعون الله، وتوفيقه إلى خاتمة هذه الدراسة بجملة من الاستنتاجات التي توصلت إليها، وهي في مجملها تأتي إجابة عن الاشكالية التي تمّ طرحها في المقدمة، وفيما يلي جملة هذه الاستنتاجات.

ــ كانت تونس في مقدمة الدول التي استقطبت العدد الأكبر من الليبيين، نتيجة لعدّة أسباب، أهمّها قرب تونس من المنطقة الغربية التي تعد أكثر المناطق الليبية من حيث الكثافة السكانية، وهو ما جعل الرحلة غير مكلفة من الناحية المادية للمهاجر، إضافة إلى الروابط التاريخية والعائلية، حيث يوجد للعديد من العائلات الليبية بعض الأقارب المستقرين في تونس، والتي تعود هجرتهم إلى فترات تاريخية قديمة، وهو ما شجع الكثير للالتحاق بأقاربهم في تونس.

ــ إن هجرة الليبيين من أساسها لم تتم إلّا نتيجة للضغوطات والممارسات القهرية التي سلكتها السلطات الايطالية إزاء المواطنين من سلب للأرض والممتلكات، إلى نصب المعتقلات الجماعية التي زج بها النساء والشيوخ والأطفال بلا هوادة وبأسلوب وحشي، وهتك الحرمات، وهو ما أجبر الأهالي تحت وطأة هذه الظروف القاسية إلى الهجرة بحثا عن مناطق الاستقرار والعيش.

ــ كان اندماج المهاجرين الليبيين في المجتمع التونسي تلقائيا، ودونما حواجز تذكر، ساعدهم في ذلك وحدة الدين واللغة، والمصير المشترك، ونتيجة علاقات المصاهرة، تكونت العائلة الواحدة، التي نتج عنها خلق شريحة جديدة في كلا القطرين تحمل الدم التونسي والليبي وهذه الشريحة آخذة في اضطراد مستمر نحو التوسع والنمو، فعلى سبيل المثال نذكر عينة واحدة من جملة العينات التي درستها، حالة زواج تمت سنة 1930 في تونس من رجل ليبي وامرأة تونسية، وبعد مضي 32 سنة أي في سنة 1972 أصبح لهذه العائلة 154 فردا من الأحفاد والأبناء، وهؤلاء جميعهم ــ بغض النظر عن الجنسية التي يحملونها ــ تجمعهم بالشعبين الليبي والتونسي الأمشاج والدماء التي أساسها القربى وصلة الرحم.

ــ إن الجالية الليبية عكس الجاليات الأجنبية الأخرى التي كانت تخلق لنفسها كيانات مستقلة، إذ شارك المهاجرون الليبيون إلى جانب إخوتهم التونسيين في جميع المحن التي عاشتها البلاد التونسية، تجلى ذلك في مشاركة المهاجرين في حركة المقاومة التونسية ضد الاستعمار، والنضال في صفوف الاتحاد العام التونسي للشغل، والحزب الحر الدستوري.

ـــ من العلامات البارزة في الهجرة الليبية، أن الهجرة لم تقتصر على شريحة معينة من المجتمع لكنها تميزت بالتنوع، وإن شكل العمال العاديون، والفلاحون النصيب الأكبر، إلّا أنّ الهجرة شملت كذلك رجل السياسة، والفنان، والأديب، والطالب، والتاجر، والفقيه، وإن اختلف هؤلاء في مجالات انشطتهم الحياتية والمهنية، إلّا أنّهم كانوا وحدة لا تتجزأ أمام قمع السلطات الايطالية وجبروتها، وفي الحروب عادة ما تنتفي الفوارق الاجتماعية والوظيفية، ويصبح الدفاع عن الوطن هو القاسم المشترك بين أبناء الشعب الواحد.

ـــ لقد كانت للتجارة بين القطرين تونس وليبيا مساهمات كبيرة في حركة الهجرة، حيث مكنت الكثير من التجلر من الاستقرار والعيش في المدن التي كانت لهم تجارة فيها، وقد استفاد سكان المناطق الحدودية من البضائع التي كان يوفرها لهم تجار القوافل، وللتجارة دور في حركة المقاومة، حيث كان تهريب السلاح يتم عن طريق القوفل التجارية، وهو ما أزعج السلطات الفرنسية التي اتخذت إجراءات صارمة ضد التجار الليبيين.

ـــ لا تخلو أي مدينة أو قرية في تونس من وجود عائلة ذات نسب ليبي، ولا تزال بعض الفروع لبعض القبائل الليبية مستقرة بتونس، وقد سمّيت بعض المناطق بأسماء تلك العائلات التي استقرت بها منذ القرن التاسع عشر (ورفلة ـــ العمائم ـــ قماطة.. الخ) وبحكم التقادم أصبح أولئك المهاجرون في عداد سكّان البلاد الأصليّين، مع عدم تنكّرهم لأصل ابائهم وأجدادهم، واعتزازهم بألقابهم، الطرابلسي، الغرياني، الغدامسي، الورفلي، المصراتي، الترهوني، الفزاني، الزواري... الخ).

ـــ تميز النشاط المهني والحرفي للمهاجرين الليبيين بالتنوع، من حيث نوعية النشاط والمكان فبالنسبة لنوعية النشاط، كانت الفلاحة تمثل الصدارة بالنسبة لنشاط المهاجرين، يليها العمل في الشركات والمناجم، ثم التجارة، فالصناعة، فالتعليم وبعض الأعمال الأخرى العادية، أمّا من حيث المكان فإن نشاط المهاجرين غطى أغلب المناطق بالبلاد التونسية، وذلك راجع لوجود المهاجرين بأعداد متفاوتة بمناطق الشمال والوسط والجنوب.

ـــ إنّ الهجرة كانت عامل تشتّت، وتفرّق في كيان المجتمع اللّيبي ولا تزال آثار ذلك حتى يومنا هذا.

الملاحق

وثيقة رقم (1)*

الاقامة العامة للجمهورية الفرنسية بتونس
إدارة الشؤون السياسية والتجارة
بإفريقيا والمشرق
الجالية الطرابلسية — تونس

17 نوفمبر 1938
الوزير المفوض عضو الأمانة العام
الفرنسية بتونس
معالي السيد **جورج بونان** وزير
الشؤون الخارجية — باريس

إنّ عدد الجالية الطرابلسية المقيمة بتونس بلغ في إحصاء عام 1936 ما يقارب 24.000 نسمة كما تجدر إضافة عدد اللاجئين السياسيين الذين يعيشون خاصة بالجنوب (ققصة — قبلي) وهو 4.000 نسمة، وكان حتّى بداية عام 1938 يقدر بحوالي 6.000 نسمة قبل الهجرة المكثفة نحو طرابلس خلال السنة الجارية إثر حملة قوّية من الايطاليين بتونس، وهكذا فإنّ عدد الطرابلسيّة المقيمين بالإيالة التونسية بلغ ما يناهز 28.000 نسمة.

ومهما يكن من أمر فإنّه ليس من السهل عمل إحصاء ولو بصورة تقريبية لعدد هؤلاء المهاجرين للأسباب التالية :

أولا — إنّ ليبيا التي هي بلد شبه صحراوي كانت تصدر دائما إلى خارج حدودها عددا هائلا من جاليتها التي لا تقدر على توفير الغذاء لهم ولهذا فإن عدد القبائل المتواجدة بتونس كان يضم في حدود سنة 1913 حوالي 57 قبيلة قادمة من طرابلس منذ فترة بعيدة، وقد اعتبرت هذه القبائل تونسية نظرا لأنّهم بادروا بالاعلان عن كونهم قد فقدوا كلّ صلة لهم بمواطن أجدادهم خصوصا وأنّهم قدموا إلى تونس قبل 28 أكتوبر 1912 وهو التاريخ الذي حدّده الاتفاق الايطالي — الفرنسي في 29 ماي 1914. غير أنّه من المؤكد أن بعض المهاجرين الطرابلسيين وهم كثر الذين اعتبروا قانونيا كتونسيين في نظر الاتفاق السالف الذكر، يميلون إلى عدم اعتبارهم كذلك لأنّهم احتفظوا بعلاقتهم بالبلد الأم ولا أوّل على ذلك من سفراتهم المتتالية بين ليبيا وتونس والعكس خصوصا وأنّ السلط الايطالية التي هي أشدّ صرامة من نظيرتها بتونس لم تستنكر عليهم ذلك.

---

* الأرشيف الوطني التونسي س.أ صندوق 280 ملف 1.

لذلك يمكننا أن نجزم بأن كل المهاجرين الطرابلسيين، الذين أرغموا أو سيرغمون في وقت ما، على العودة ولو لمدّة قصيرة، لذويهم بهدف زيارتهم أو التفريط بالبيع في ممتكاتهم إلى...، يحبذون عدم التصريح بأنّهم تونسيين حتى لو كانوا قانونيا ينسبون لهذه الجنسية.

ثانيا : إنّ عددا هاما من هؤلاء المهاجرين يخيرون كذلك إعتبارهم طرابلسيّين حتى ولو كانوا ينوون العودة يوما ما ولو بصفة مؤقتة إلى ليبيا نظرا لأنّهم ميسوري الحال ولا يحتاجون لأي مساعدة من السلط التونسية مثل قروض البذور، أو الإعانات، أو التسجيل في حظائر الرقابة المدنيّة، أو العمل بالحظائر البلدية أو الأشغال العامة، لهذا فهم يجتهدون في إثبات جنسيتهم الليبية ليتفادوا وأبناؤهم مساريء الالتزامات العسكرية.

إنّ المشائخ التونسيين يرتكزون في عمليّات الأحصاء لمشيخاتهم على تصاريح الأفراد وهم مضطرون لتصديقها نظرا لافتقارهم للحجج التي تثبت عكس ذلك.

ثالثا : إنّ هجرة الطرابلسيّة إلى تونس مرتبطة بأعوام الجدب أو أعوام الخير بتونس أو بليبيا على حد السواء فإذا كان الموسم الفلاحي بتونس ممتازا من حيث صابة القموح أو الزياتين فإن الهجرة تكون مكثفة وما أن تتمكن هذه الأفواج من المهاجرين الاستقرار بتونس فإنها لن تبارحها حتى تستنفذ كلّ طرق الحصول على عمل ما وقد تتراوح مدّة إقامتها بعض الأشهر أو السنوات.

وكما هو واضح فإنّه ليس من السهل تحديد بصفة جديّة، وبدقة، هويّة القادم هل هو مواطن إيطالي ليبي أو تونسي.

إنّ التحديد النهائي لهذه الجنسيّة يمثّل المشكل الأوّل الذي يفرزه الحضور المكثف للطرابلسيين بتونس لأنّ حلّه يذلّل صعوبات أخرى نذكر منها الصلاحيّة الاداريّة (وبهذا فلن يتمكن أي مواطن ليبي من أصل إيطالي من التمتع بأيّ إعانات كانت مثل : قروض البذور — أو مواطن الرزق أو العمل في حظائر الرقابة أو العلاج المجاني في المستوصفات أو المستشفيات) وخصوصا المراقبة الأمنية (الشرطة) أو السياسية أو العقوبات القضائيّة أو الأبعاد لكلّ مثير للشغب ثمّ التأكد من أنّه إيطالي.

إنّ المهاجرين الطرابلسيين القادمين إلى تونس للحصول على مورد رزق ظرفي كاف أو نهائي مهما كان حقيرا وشاقا وبأجرة زهيدة في الغالب هم من الأوساط الشعبية الفقيرة حيث أنّهم يقبلون أعمالا : تفريغ زيوت السيارات أو العمل في زوارق الصيد إلخ... على أنّنا نلاحظ أنّهم يعملون خصوصا كحراس للعقارات أو كعمال حراثة بالمزارع أو جني الزياتين وهي نسبة تمثل 3/4 المهاجرين الطرابلسيين بتونس، كما أنّ نسبة 10 % من هؤلاء المهاجرين وهي حوالي 2500 نسمة تعيش بالجنوب التونسي وتعمل في مناجم الفسفاط.

أخيرا هناك جزء ثالث مكون فقط من اللاجئين السياسيين القادمين إلى تونس في عام 1931 والمستقرين بالجنوب (قفصة) واتخذوا من العمل الفلاحي موردا للرزق ما عدا البعض منهم والذين خيروا العمل في المناجم المجاورة.

إنّ تحديد جنسية الطرابلسية المهاجرين إلى تونس، يعني وضع نظام نتجنب بمقتضاه أي خلط إداري (كعدم التعرف على هويتهم) أو قضائي غالبا ما يكون مؤسفا، على أنّ السؤال المطروح والذي يبحث عن حلّ، والذي يتعدى حتى مشكلة الجنسية هو بلا شكّ موقف الحماية تجاه الطرابلسيّة.

1 - هل يمكن تسهيل عمليّة تنزيل من قيمة المواطن — الايطالي — الليبي.

واعتبار الطرابلسية غير الراغبين في العودة لبلدهم كتونسيين؟

المسألة بسيطة في حدّ ذاتها إذ يمكن اعتبار أي مسلم تونسي الجنسية ما لم يثبت العكس وفي هذه الحالة فإن الطرابلسي مجبور على الاستظهار بجواز سفر إيطالي — ليبي. على أنّه يمكنه أن يتخلص من هذا الجواز ويعلن أنّه قادم إلى تونس قبل تاريخ 1912/10/28 وبهذا يتحصل على شهادات مزورةبأيسر السبل وتتمّ عمليّة قبوله وهكذا تسيّر الأمور.

إذ العيب في هذا التجنس التونسي وغير القانوني، ولكنه فعلي ومعترف به لدى الادارة التونسية (مثل الجزائريين الذين هربوا من الحماية الفرنسية واستقروا بتونس وهم الآن يمسكون مناصب هامة في الإيالة) هو ارتفاع عدد المسلمين التونسيين الذي تضاعف عمّا كان عليه زمن انتصاب الحماية. حيث أن إنشاء ميادين عمل للفلاحين تهدف إلى استقرار هؤلاء في أراضيهم، ودخول الأفراد من خارج الحدود ويساهم في تضخم عدد التونسيين وهو أمر غير مرغوب فيه من جهة أخرى فإن عمال مناجم الفسفاط والأشغال الفلاحية وغيرها ذوي الجنسية الطرابلسيّة، يكونون قد استولوا على مواطن عمل المواطنين المسلمين التونسيين أو القبائليين أو المغاربة بشكل نهائي وغير قابل للمعالجة مستقبلا وهؤلاء الأخيرين مؤهلين أكثر من غيرهم في نظر فرنسا للعمل بها. لهذه الأسباب كان على المراقب العام أن يتدخل شخصيا في ماي 1937 لدى المدير العام لمنجم المتلوي حتى يكون عدد العمال فيه والذي يقارب الألف (1000) من التونسيين فقط. وفي المقابل عندما يقع اندماج المهاجرين الطرابلسيين بالتونسيين فإن البلد سيحصل على عناصر أكثر قناعة وصبرا على المعاناة وأكثر إنتاجا من السكان الأصليين وهذا ما يجعلهم مرغوبا فيهم من كافة أرباب العمل حتى التونسيين منهم.

2 - هل يلزم التحرك وبكل نزاهة لتحديد، وبدقة، جنسيات كلّ الطرابلسيين الذين يعيشون بتونس تطبيقا للاتفاق الفرنسي — الايطالي في 29 ماي 1914؟

— إن صعوبات هذه العمليّة طبيعية نظرا للاندماج الكلي للطرابلسيين بالتونسيين وكذلك صعوبة التعرف على الحاملين لشهادات مزورة. وعند اتخاذ قرارات فإنّ الحكومة الايطالية تشكك في صحّتها وبالتالي فإنّه ليس من المؤكد أن تتصرّف بنزاهة وتقرّر وقف إمداد الطرابلسيّين، الذين سيعتبرون تونسيين وفقا لاتفاق سنة 1914، بجوازات سفر إيطالية.

3 - كيف التعامل مع الايطاليين الذين هم من أصل ليبي؟

— هل يعقل تركهم يتعدون الحدود التونسية عندما يروق لهم أو عندما يكون أعرافهم في حاجة إليهم للعمل.

— هل أنّ اتخاذ إجراءات رسمية أو غير رسميّة سيخفف من حدّة دخولهم إلى الإيالة وبالتالي تمكين التونسيّين بعد دراسة عاجلة من مناصب وأعمال كانت لوقت قريب حكرا على الطرابلسيّين.

إنّ السلطات القنصلية الايطالية بتونس ستأخذ على عاتقها وأحسن من أي وقت مضى مصالح الليبيين المادّية والأدبيّة وبهذا فإنّ عدد الأفراد الايطاليين بتونس سيتزايد (لأنّ الايطالي مثل الطرابلسي ولا يفرق بينهما سوى هذه التسمية : هذا مواطن إيطالي أصيل والآخر مواطن إيطالي — ليبي).

من وجهة نظر ديبلوماسيّة فإنّ حجّة تواجد عدد من المواطنين الايطاليين بتونس كما نعلم له أهمّية جوهريّة.

كذلك فإنّ أيّ إجراء يتخذه لتخفيض دخول المواطنين الليبيين للتراب التونسي سيساهم في إضعاف إحدى النقاط الهامة في وجهة النظر الايطالية وبالتالي إعادة النظر في المشكل الايطالي بتونس (أنظر بالخصوص البنود الأخيرة الواردة في «الاتحاد» والتي عرضت هذا التساؤل للرأي العام.

الوزير المفوض عضو الأمانة العامة

Il est certain que les autorités consulaires italiennes de Tunisie prennent mieux en charge qu'autrefois les intérêts matériels et moraux de leurs ressortissants tripolitains; ainsi le nombre de «citoyens italiens» vivant en Tunisie augmente (car l'Italien, comme le Tripolitains, sont «citoyens italiens», avec cette différence que l'un est «citoyen italien métropolitain» et l'autre «citoyen italien libyque»).

Au point de vue diplomatique, l'argument de nombre des «citoyens italiens» de Tunisie, a, on le sait, une importance essentielle. Aussi toute mesure destinée à diminuer l'entrée de citoyens libyques sur le territoire tunisien contribuerait-elle à affaiblir l'un des points capitaux de la thèse italienne en faveur de la reconsidération du problème italien en Tunisie (voir en particulier les articles récents de «L'Unione» qui lancent à nouveau cette question dans l'arène pulbique).

ou politique ou les sanctions judiciaires des mesures d'expulsion pourraient être facilement prises envers tout fauteur de désordre reconnu indubitablement sujet italien.

Les immigrés tripolitains viennent en Tunisie à la recherche d'un gagne-pain provisoire ou définitif. C'est dire qu'en principe ils ne sont pas d'un niveau social élevé et qu'ils acceptent de faire toutes sortes de besognes même vulgaires et pénibles pour des salaires relativement bas.

Ils seront vidangeurs, portefaix, aide-matelots, etc...

Mais nous les retrouvons plus particulièrement dans certains métiers par exemple : gardiens de propriété, défricheurs pour le compte de colons, ouvriers agricoles, cueilleurs d'olives. Les trois quarts des Tripolitains vivent en Tunisie de ces différents métiers.

Un autre lot important de Tripolitains, que l'on peut évaluer à environ 2.500 personnes, soit le 10 % de la population totale tripolitaine, vit, dans le sud tunisien, du travail des mines de phosphate.

Enfin, un troisième groupe est constitué uniquement de réfugiés politiques, venus en Tunisie en 1931. La région sud de Gafsa est leur centre d'habitant. Ils vivent de toutes sortes de travaux agricoles et, seuls quelques uns d'entre eux, ont pu trouver du travail dans les mines voisines.

Préciser la nationalité des tripolitains immigrés en Tunisie, c'est mettre de l'ordre dans ce problème afin d'éviter toute confusion administrative et judiciaire toujours regrettable.

Mais la question essentielle à résoudre, qui domine même le problème de la nationalité, est celle de l'attitude que doit avoir le Protectorat à l'égard de ces Tripolitains.

I) Doit-on faciliter la renonciation à la qualité de citoyen italien libyque et considérer comme Tunisiens les nombreux Tripolitains qui désireraient ne plus retourner chez eux? La chose se fait facile: tout musulman est présumé tunisien s'il n'apporte pas la preuve du contraire. En l'espèce, le Tripolitain doit exhiber un passeport italien visé par le Consulat français de Tripoli, s'il veut être considéré sujet italien libyque. Mais il peut cacher ou détruite ce document et déclarer qu'il est venu en Tunisie avant le 28 Octobre 1912, ce qui sera admis sans peine à l'aide de quelques faux témoignages, faciles à obtenir dans ce pays. Et c'est ainsi que les choses continuent de se passer.

L'inconvénient de cette «naturalisation» tunisienne illégale, mais effective et, finalement, valable au regard de l'Administration (voir par exemple les Algériens qui ont fui devant l'occupation française de leur pays sont devenus Tunisiens et occupent actuellement de hauts postes dans la Régence) est l'augmentation lente de la population musulmane tunisienne, déjà en voie d'accroissement considérable depuis l'installation de notre Protectorat. L'institution de l'œuvre du paysannat, qui précisément pour but de rechercher les moyens de racaser sur des terres une partie de cette population excédentaire, semble laisser supposer qu'il ne serait pas souhaitable de permettre l'augmentation du nombre des Tunisiens par des éléments venus du dehors. D'autre part, les ouvriers tripolitains des mines de phosphates et des chantiers agricoles ou autres prendraient irrémédiablement la place d'autres musulmans : tunisiens, kabyles ou marocains plus dignes que les étrangers, de la sollicitude de la France. C'est ainsi qu'il a fallu, en Mai 1937, toute l'influence et l'autorité personnelles du Contrôleur Civil de Gafsa pour que le Directeur des mines de Metlaoui embauchât parmi les seuls tunisiens le personnel dont elle avait besoin (1.000 ouvriers).

Par contre, en laissant s'incorporer à la population tunisienne les immigrés tripolitains, le pays acquiert des éléments sobres et rudes à la peine, d'un rendement au travail de beaucoup supérieur à celui des autochtones, qui les fait apprécier de tous les employeurs quels qu'ils soient, fussent-ils tunisiens.

2) Doit-on agir avec loyauté et déterminer exactement la nationalité de tous les Tripolitains de Tunisie en appliquant à la lettre l'Accord Franco-Italien du 29 Mai 1914 ?

La difficulté de cette entreprise est évidente en raison de la dissémination des Tripolitains en Tunisie et de la difficulté d'éviter les faux témoignages, ce qui entraînerait des décisions que l'Italie considèrerait comme suspectes; par ailleurs, il ne serait pas sûr que l'Italie acceptêt d'agir aussi loyalement de son côté, en décidant de cesser la remise de passeports italiens à ceux des Tripolitains qui devraient être considérés comme Tunisiens en vertu de l'Accord de 1914.

3) Quelle attitude adopter à l'égard des Tripolitains sujets italiens libyques ?

Faut-il les laisser franchir la frontières tunisienne quand bon leur semble, ou quand les employeurs les appellent? Faut-il prendre des dispositions, officielles ou officieuses, pour limiter leur entrée dans la Régence afin de permettre aux Tunisiens-après une éducation à entreprendre d'urgence d'occuper des emplois jusqu'ici accordés aux Tripolitains.

17 Novembre 1938

Résidence Générale
de la
République Française
à Tunis

Direction des Affaires
Politiques et Commerciales

Afrique & Levant

2036
D.A.C.
A.s/ des Tripolitaons en
Tunisie.

Le Ministre Plénipotentiaire, Délégué
à la Résidence Générale de France à Tunis,
à son Excellence Monsieur George BONNET
Ministre des Affaires Etrangères,
à Paris

Le nombre des Tripolitains vivant en Tunisie s'élevait lors du recensement de 1938, à 24.000 environ. Il convient d'ajouter à ce chiffre les réfugiés politiques qui vivent plus particulièrement dans le Sud (Gafsa, - Kébili) et qui de 6.000 qu'ils étaient jusqu'au début de 1938, sont descendus à 4.000 environ, en raison des départs massifs pour la Libye, constatés au cours de la présente année à la suite d'une campagne persévérante menée par les Italiens en Tunisie.

Ainsi, les Tripolitains fixés dans la Régence seraient actuellement au nombre de 28.000.

En fait, il est malaisé d'établir le recensement, même à peu près exact, de ces immigrés, pour les raisons suivantes :

I) La Libye, comme tout pays semi-désertique, a constamment déversé en dehors de chez elle le trop plein de la population qu'elle n'arrive pas à nourrir. C'est ainsi quela «Nomenclature des Tribus» de la Tunisie citait, vers 1913, 57 tribue venue de Tripoliteine depuis une date, plus ou moins oubliée. Sans doute, tous ces gens sont-ils tunisiens parce qu'ils sont les premiers à déclarer qu'ils ont perdu toute attache avec le pays de leurs ancêtres, et surtout parce qu'ils sont venus en Tunisie avant le 28 Octobre 1912, date limite fixée par l'Accord Franco-Italien du 29 mai 1914.

Il est néanmoins certain que des immigrés tripolitains considérés juridiquement comme tunisiens aux yeux de l'Accord précité ont tendance à ne pas vouloir être recensés comme tunisiens, s'ils ont conservé des attaches - et ils sont très nombreux - avec leurs pays d'origine: leur va-et-vient de

Libye en Tunisie et inversement n'est ainsi nullement gêné par les autorités italiennes, incontestablement plus sévères que chez nous.

On peut donc affirmer que tous les immigrés tripolitains qui sont ou seront obligés, à une époque quelconque de leur existence, de retourner pour une courte période chez eux dans le but de revoir des parents, de liquider des biens, etc... aiment mieux déclarer qu'ils ne sont pas tunisienne même s'ils sont juridiquement de cette nationalité.

2) Un bon nombre de ces immigrés préfère également être considéré comme tripolitain bien qu'ayant perdu toute intention de retourner un jour, même momentanément, en Libye: cesont ceux qui, relativement aisés et n'ayant de ce fait jamais rienà quémander des autorités tunisienne (en ce qui concerne les prêts de semences, les secours, l'inscription sur les chantiers de Contrôle Civil, l'embauche sur les chantiers municipaux ou des travaux publics), ont soin de se prétendre tripolitains afin d'éviter pour eux et pour leurs enfants les inconvénients des obligations militaires. Les cheikhs tunisiens font le recensement dans leur cheikhat en se basant sur les déclarations des individus et sont incapables d'apprécier par eux-mêmes la valeur des arguments qu'on leur présente en faveur de telle ou telle nationalité.

3) L'émigration tripolitaine en Tunisie est très variable suivant les années de disette ou de prospérité, soit de la Tunisie soit de la Libye. Qu'en Tunisie il y ait une belle récolte céréalière ou oléicole ou un accroissement des commandes de phosphates, et l'invasion tripolitaine sera considérable. Une fois installée en Tunisie, cette masse ne rentrera chez elle que lorsqu'elle aura épuisé tous les moyens de se procurer du travail. Son temps de séjour en Tunisie varie de quelques mois à quelques années.

Comme on le voit, il n'est pas toujours très facile - et on ne s'en est jamais donné sérieusement la peine - de déterminer avec certitude qui, des gens venus de Libye, est citoyen italien libyque et qui est tunisien.

La détermination définitive de cette nationalité est, semble-t-il, le premier problème que pose la présence en Tunisie de nombreux Tripolitains, car sa solution réglerait de plano d'autres difficultés en ce qui concerne par exemple : **la compétence administrative** (nous ne verrions plus de Tripolitains sujets italiens bénéficier de secours de toutes sortes : prêts de semences, ou de subsistance, embauche sur les chantiers de contrôle, hospitalisation ou soins gratuits dans nos dispendaires ou hôpitaux) - et surtout **la surveillance de police**

وثيقة رقم (2)*

الحماية الفرنسية
الإيالة التونسية
إدارة الأمن العام

سـرّي

من مدير الأمن العام
إلى السيد الأمين العام للحكومة التونسية

المدعو محسن ظافر

يشرفني بإعلامكم أن السيّد محسن ظافر تاجر في الآلات الصوتية 117 نهج القصبة غادر تونس في عشيّة يوم 1939/5/6، المدعو تحول إلى أهمّ المناطق المنجميّة بالبلاد وتحت غطاء عمليّة تجارية إتصل بعناصر طرابلسية. محسن بن محمد ظافر المدني[1] المولود بطرابلس 1889 الذي التجأ إلى تونس في 1915 وهو باتصال بقادة (لجنة دفاع المهاجرين الطرابلسيين) والتي مقرها في دمشق، وجلب في عدّة مرات انتباه الشرطة بالدعاية التي قام بها لدى المهاجرين الليبيين لاقناعهم للرجوع إلى طرابلس، ويعتبر لدينا شخص مشبوه فيه والذي يتصرف تجاه بلادنا لم يكن محدد بصفة واضحة والذي كان مشبوها فيه سابقا بالدعاية ضد إيطاليا التي قام بها في شهري مارس وأبريل الماضيين إثر جولة مماثلة دامت 45 يوما في الوسط ــ سوسة ــ صفاقس ــ سيدي بوزيد ــ قفصة ــ المتلوي ــ توزر ــ نفطة ــ المظيلة ــ الرديف ــ أم العرايس ــ القصرين ــ الحاجب ــ سبيطلة ــ والكاف.

وحسب تصريحه قد قام بالاتصال في جميع هذه المناطق بالعناصر الليبية ولم يتحصل على نجاح من ناحية تجارية ــ وتنقله يظهر أو يبدو لغاية الدعاية ولا للقيام بعمليات تجارية أو تحسين وضعه التجاري الذي هو متدهور.

وتجدر الاشارة للتذكير به في هذه المناسبة أن محسن ظافر اتخذ موقف ضد المدعويين.

---

* وثائق الأرشيف الوطني التونسي ص 280 م 1.

(1) كان الشيخ ظافر المدني له علاقة حميمة بالسلطان عبد الحميد الثاني، ويعد المرشد الروحي له ومن المشجعين للجامعة الاسلامية، وكانت أسرة ظافر المدني من المناهضين لسياسة الاستعمار الفرنسي، وقد شجعت رجال المقاومة التونسية انطلاقا من طرابلس لمقاومة الاحتلال الفرنسي وفقا لما أشار إليه الاستاذ على المحجوبي في كتابه انتصاب الحماية الفرنسية بتونس.

أحمد زارم
محمد شكري

الذان كونا في تونس العام الماضي منظمة تونسية تدعى (جمعية الدفاع) أهم الأشخاص الذين على اتصال بمحسن ظافر في تونس :

الشيخ محمود المسلاتي ــ تاجر بصفاقس
الحاج بوسته ــ مشرف بمنجم المظيلة
حسين فيتوري ــ مشرف بمنجم المظيلة
الشيخ الغطاس ــ مشرف بمنجم المظيلة
العربي شقلوف ــ تاجر بالرديف
محمد سليمان ــ تاجر بالرديف
محمد ترهوني ــ تاجر بالرديف
محمد بن حسين ــ بدون عمل بالرديف
محمد رحيمة ــ تاجر
الشاوش مراد ــ تاجر

محسن ظافر وقع تتبعه من طرف الشرطة وسوف نحيطكم علما بالملاحظات التي تتعلق به.

مدير الأمن العام

Tunis, le 08 Mai 1939

PROTECTORAT FRANÇAIS
REGENCE DE TUNIS

DIRECTION
DE LA
SURETE PUBLIQUE

A.S. du nommé
MOHSEN DAHFER.
Transmis à :
Résidence Générale
Secrétariat Général
S.S.T.T.
P.H.
S.B.T.
S.T.S.

Le Directeur de la Sûreté Publique
A Monsieur le Secrétaire Général
du Gouvernement Tunisien
A Tunis

J'ai l'honneur de porter à votre connaissance que le nommé MOHSEN DAHFER, marchands de phonographes, 117 rue de la Kasbah, a quitté Tunis dans l'après-midi du 6 mai courant.

L'intéressé se rend dans les principaux ces très miniers de la Régence où, sous le couvert d'opérations commerciales, il prendra contact avec les éléments tripolitains.

MOHSEN BEN MOHAMED DAHFER EL MADANI est né à Tripoli vers 1889 et s'est réfugié dans la Régence en 1915. Il est en relation avec les dirigeants du «Comil de Défense des Emigrès Tripolitains», dont le siège est à Damas, et il a attiré, à plusieurs reprises, l'attention des services de police par la propagande qu'il a menée, près de ses compatriotes, pour les dissuader de regagner la Libye.

Il s'agit cependant d'un individu suspect, dont l'attitude à l'égard de notre pays n'a pu être déterminée d'une façon précise, et qui a même été soupçonné, autrefois, de se livrer à une propagande italophile.
qu'il a déjà effectué, courant mars et avril derniers, une tournée identique de 45 jours, dans les centre suivants : Sousse, Sfax, Sidi Bou Zid, Gafsa, Metlaoui, Tozeur, Nefta, M'Dilla, Redeyeff, Moularès, Kasserine, Hadjeb El Aioun, Sbeïtla et le Kef.

Selon ses propres déclarations, MOHSEN DAHFER aurait pris contact, dans chacun des centres indiqués, avec les éléments tripolitains, mais n'aurait obtenu aucun succès au point de vue commercial.

Son déplacement semble donc être effectué plutôt dans le but de faire de la propagande qu'en vue d'améliorer sa situation commerciale actuellement peu prospère et il y a lieu de rappeler, à cette occasion, que MOHSEN DAHFER a pris position contre les nommés AHMED ZERAM et MOHAMED CHOUKRI qui ont créé à Tunis, l'an dernier, une section tunisienne du «Comité de Défense».

Les principales relations de MOHSEN DAHFER à l'intérieur de la Régence sont :
CHEIKH MAHMOUD EL M'SALLATI, commerçant à Bou-Thadi (Sfax) ;
HADJ SMAIL BEN SMALL, commerçant à Metlaoui;
ALI BOUSSETTA, caporal à la mine de M'Dilla;
HASSEN FITOURI, - d° -
CHEIKH EL GHATTAS, - d° -
LARBI CHAGHLOUF, commerçant à Redeyeff
MOHAMED BEN SLIMAN, - d° -
MOHAMED FRIHOUANE, - d° -
MOHAMED BEN HASSEN, sans profession, domicilié à Redeyef ;
MOHAMED REHIMA, commerçant à Moularès ;
CHAOUCH M'RAD, - d° -

MOHSEN DAHFER sera soumis, au cours de son déplacement, à une surveillance discrète de la part des services de police et je ne manquerai pas de vous faire part des remarques dont il aura pu faire l'objet.

Le Directeur de la Sûreté Publique.

وثيقة رقم (3)*

ــ **شكوى من الشيخ الجيلاني بن عثمان الطرابلسي إلى محمد المنصف باشا باي تونس.**

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تونس محرم الحرام 1362 و 23 جانفي 1943

من خادم البلاد الحسيني الشيخ الجيلاني بن عثمان بن الحاج حسين الطرابلسي
شيخ تراب دشرة السلوقية، خلافة تستور، عمل مجاز الباب

ضـــرر

المراقب المدني بمجاز الباب
الباش شاوش لصبايحية المجاز المسمى الناصر
المخازني، أحمد بن محمد بن عمار الطرابلسي
الرعاية بالمشيخة، الأخوة بوجمعة وعلي ابني محمد بن سلامة الطرابلسي

إلى حضرة جناب المولى الهمام العمدة الضرغام شمس دائرة الفضائل ومن افتخرت به الأواخر على الأوائل المحوط بسور السور الأني أميرنا المحبوب المنصور بالله سيدنا ومولانا محمد المنصف باشا باي صاحب المملكة التونسية سعدت بطلعته كافة الرعيّة السلام عليكم ورحمة الله.

وبعد نعرض على جلالتكم كان منذ ما يزيد عن الشهر والنصف حلّت بالمشيخة العساكر الانجليزية والأميركانية والتفت بهم جميع المعمرين والمراقب المدني بالمجاز ومن ورائه الصبايحية ومنذ خمسة وعشرون يوما (كذا) عن يوم التاريخ بينما كنت بمحل سكناي وإذا بالمراقب المدني مصحوبا بالباش شاوش والصبايحي ومعهم كاندة وقبطان وفيسان وسرجان وخمسة عساكر أحاطوا بالمحل ونودي عنّي.

* الأرشيف الوطني التونسي س.أ صندوق 280 ملف 1.

لمّا خرجت أول من سألني المراقب المدني قائلا : أين هو الجندي الألماني المخفي عندك، فأجبت لا علم لي بجندي ولا غيره، فأذن الباش شاوش والصبايحي لتفتيش البيوت ففتشوها وأخذوا منها دراهم ثلاثة وثمانون الاف فرنك وثلاثمائة 83.300 فرنك ومسوغان ذهب وفضة قيمته ما يقرب عن المائة الاف 100.000 فرنكان وفي الحين أذن للأخوة أبناء عمار بن سلامة المذكورين أعلاه ليأخوا ويسوقوا عندهم ستة رؤوس من البقر.

قد أوثقوني كتاف أنا وأخوي حسن والحسين أما الاثنان الآخرون الصادق ومحمد فروا هاربين وقادوني إلى دشرة السلوقية.

في طريقنا أجابني المراقب المدني : أين الباي الذي سمّاك شيخا : فأجبت إنّه بتونس، فقال ياحسرة عليه حكمت عليه فرنسا بالاعدام وعوضا عنك سمت شيخا آخر وهو أحد الأخوين المذكوران أعلاه المسمّى بوجمعة فأجاب هذا الأخير إنّه لا يقبل الخطة إلا إذا أعطي له السلاح لأنّه يخشى شر إخواني اللذان فرّا فأعطى له ما طلب وتسلم الخطة. ليلة إقامتي مع إخوتي والخمسة عساكر والسرجان بدشرة السلوقية سألني السرجان وقال لي إنّه محكوما علي وعلى إخوتي بالاعدام لكن إذا أعانني الله غدا التاريخ بمنعك وفعلا اليوم نرا طلب إطلاقي من الكتاف وسرنا مارّين بالطريق وبجنبتنا الباش شاوش الناصر والصبايحي أحمد بن محمد بن عمار راكبين الخيل قاصدين بلاد تبرسق وعندما نحلوا بها يقع إعدام ثلاثتنا.

وعندما بلغنا إلى مكان يعرف بخلاء إذ بطائرات ألمانية حامت على رؤوسنا فقام السرجان وأشار على الباش شاوش والصبايحي ليبعدوا منا خيفة الخطر وهنالك أشار علي لنتبعه وأخذ سلاحه وساقني قبالته.

فأراد الباش شاوش والصبايحي إتباعنا لكن السرجان صرخ عليهم بالرصاص فرجعوا على أعقابهم وصرنا نتسلكوا في الجبال ليلا ونختفي بالنهار وحتى الآن خمسة وعشرون يوما بالطريق إلى يومنا هذا حللت بالمدينة.

وقد بلغني الآن بعد إيقافي بأيّام أتت الصبايحية لتعذيب النساء والأطفال وآخر ما كان منهم أخذوا زوجتي معهم وخلفوا أطفالي باكين ولا أدري حتّى الآن هل هي حيّة أو ميّتة.

فهذا ما جرى لي عرضته على الحضرة العليّة صانها رب البرية طالبا راغبا مقابلة جلالتكم يا أمير البلاد وحامي العباد وأبكي وأشكو ما حلّ بي ولكم سديد النظر والله يحرسكم ويرعاكم والسلام على خادم أعتابكم الشريفة عبدكم الداعي المحرّر لهذا بتاريخ أعلاه.

ح الشيخ الجيلاني بن عثمان

حسن بن علي الجواني كاتب عمومي
شارع باب بنات عدد 3 تونس

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تونس في محرم الحرام و ٢٣ جانفي سنة ١٣٦٢ / ١٩٤٣

من خادم الجلالة الحسينية: الشيخ الجيلاني بن عثمان بن الحاج حسين الطرابلسي
شيخ تراب حوزة السلوقية خلافة قاستور عمل مجاز الباب

ضد

15-Fév.

المراقب المدني بمجاز الباب
الباش شاوش الصبايحية بالمجاز المسمى الناصر
الخازني. احمد بن محمد بن عمار الطرابلسي
الرعاية بالمشيخة: الاخوة بوجمعة وعلي ابني محمد بن سلامة الطرابلسي

الى حضرة جناب المولى الهمام العمدة الأفخم شمس دائرة الفضائل ومن افتخرت به الاواخر على الاوائل المحوط حماه بسور السرور والذي امرنا المحبوب المنصور بالله سيدنا ومولانا محمد المنصف باشا باي صاحب المملكة التونسية سعدت بطلعته كافة الرعية السلام عليكم ورحمة الله

وبعد نعرض على جلالتكم انه منذ ما يزيد عن الشهر ونصف حلّت بالمشيخة العساكر الانقليزية والامريكانية والتحقت بهم جميع المعمرين والمراقب المدني بالمجاز وفي ورائه الصبايحية وفي خمسة وعشرين يوما مرّت عن يوم التاريخ بينما كنت بمحل سكناي واذا بالمراقب المدني مصحوبا بالباش شاوش والصبايحي ومعهم كماندة وقبطان وقسبيان وسرجان وخمسة عساكر احاطوا بالمحل ونودي عني

لما خرجت اول من سالني المراقب المدني قائلا " اين هو الجندي الالماني المخبي عندك " فاجبت لا علم لي بجندي ولا بغيره فاذن الباش شاوش والصبايحي لتفتيش البيوت ففتشوها واخذوا منها دراهم ثلاثة وثمانون الف فرنكا وثلاث مائة
جملة ٨٣٣٠٠ فرنكات وصيوغا من ذهب وفضة قيمته ما ينوف عن المائة الالف
جملة ١٠٠٠٠٠ فرنكات وفي الحين واذن الاخوة ابناء محمد بن سلامة المذكورين اعلاه ليأخذوا ويسوقوا عندهم ستة رؤوس من البقر

قد اوثقوني كتافا انا واخواي حسن والحسين واما الاثنان الاخران الصادق ومحمد قد تجزروا هاربين وقادوني الى حوزة السلوقية

في طريقنا اجابني المراقب المدني " اين الباي الذي سماك شيخا " فاجبته [illegible] فقال يا حسرة عليه " حكمت عليه فرانسا بالاعدام لانه خائن وباعها الى الالمان ، وانت الان حكموا عليك بالاعدام وعوضا عنك فرانسا سمت شيخا اخر وهو احد الاخوين المذكوران اعلاه المسمى بوجمعة فاجابه هذا الاخير انه لا يقبل الخطة الا اذا

23 Janv.
Djilani ben Othman ben Hadj Hassine, cheikh de Slouguia de Medjez El Bab à S.A. le Bey.
J'ai l'honneur [illegible] ce [illegible] qui [illegible]
Il y a plus d'un mois et demi, les colons, Contrôleur civil de Medjez El Bab se sont [illegible] aux soldats anglais américains arrivés dans cette région. Il y a [illegible] Contrôleur civil [illegible] gné du bach-chaouch, d'un spahi, d'un commandant, d'un capitaine, de deux officiers et de cinq [illegible] venus chez moi et, que les compag[nons]

ont encerclé ma maison, il m'appela. La 1ère question qui m'a été posée était la suivante : "Où est le soldat allemand caché chez toi?" Sur ma réponse négative, le C.C. a ordonné au bach-chaouch et au spahi de faire des recherches dans ma maison. Ces deux derniers m'ont enlevé une somme de 83.300 francs et des bijoux d'une valeur de 100.000 francs. Ensuite, le C.C. a autorisé les [illegible] Djemaâ ben Mohamed ben Slama et son frère Ali, qui étaient là, à prendre 6 têtes de bovins m'appartenant. Mis en état d'arrestation avec mes frères Hassen et Hassine, nous avons été conduits au village de Slouguia. En route, le C.C. [m'a] posé cette question : "Où est le Bey qui t'a nommé cheikh ? Il a été condamné à mort par la France pour trahison et toi-même tu es condamné à la même peine. La France t'a remplacé par un autre cheikh : Bou Djemaa précité". Après une nuit passée à Slouguia, j'ai été conduit avec mes frères à Teboursouk. Mais, profitant de ce que les avions allemands mitraillaient la ville, j'ai pu avec mes frères et un sergent de l'escorte prendre la fuite en courant [illegible]
Ce fut après 15 jours que nous avons pu arriver à Tunis.
J'ai appris ensuite que les spahis de l'Oudjak avaient après mon départ, maltraité les femmes et les enfants constituant ma famille. Ma femme a été enlevée par eux. Je ne sais pas si elle est encore vivante ou non.
J'ai tenu à aviser Votre Altesse de tout ce qui m'est arrivé et je vous prie de vouloir bien m'accorder une audience.

اعطي له السلاح لانه يخشى شر اخواني الاخوان فرت فاعطي له ما طلب وتسلم الخطة

ليلة اقامتي مع اخوتي والخمسة عساكر والسرجان بحوزة السلوقية [illegible] السرجان وقال لي انهم حكموا عليّ وعلى اخوتي بالاعدام لكن اذا اعافني الله غدا ان شاء الله نتبعك وفعلا اليوم غدي طلب اطلاقي من الكتاب او سرنا مارين بالطريق وصحبتنا الباش شاوش الناصر والصبايحي احمد بن محمد بن عمار الى النخيل قاصدين بلد تبرسق وعندما تخلو بي يقع اعدام ثلاثتنا

وعندما بلغنا الى مكان يعرف بجلاد اذ بطائرات المانية حامت على رؤوسنا فقام السرجان واشار على الباش شاوش والصبايحي ليبعدوا عنا خيفة الخطر وهنالك اشار علي لنتبعه واخذ سلاحه وسافرنا قبالته

واراد الباش شاوش والصبايحي اتباعنا لكن السرجان صرخ عليهم بالرصاص فرجعوا على اعقابهم وصرنا نسلكوا بالجبال ليلا ونختفوا بالنهار ولي الان خمسة وعشرون يوما بالطريق الى يوم هذا حللت بالمدينة

قد بلغني الان انه بعد انفلاتي بايام اتت الصبايحية لتعذيب النساء والاطفال واخذوا ما كان منهم قد اخذوا زوجتي معهم وغلقوا الطفل [illegible] ولا ادري الان هل هي حية او ميتة

فهذا ما جرالي عرضته على الحضرة العلية [illegible] رب البرية طالبا اغاثة [illegible] اهل الانصاف باسم البلاد وحامي العباد وابكي واشكو ما حل بي وليكن سديد النظر والله يحرسكم ويرعاكم والسلام من خادم اعتابكم الشريفة عبدكم الداعي المحرر لهذا
[illegible]

محمد بن [illegible] بن عثمان

étrangement [illegible] écritaient

حسن بن علي [illegible] كاتب عمومي
شارع باب بنات عدد ٣
بتونس

وثيقة رقم (4).

ـــ نسخة من ولادة

ـــ عدد الختم 1453

الحمد لله، الاذن من فضيلة مولانا الامام العلامة الهمام المحترم المحقق إليه عبد الوهاب أبوبكر الكرارطي المفتي الحنفي رعاه الله تعالى ضمن تحت عدد 292 أخرجت نسخة من رسم ولادة المكرم على بن احمد واو الغدامسي المسطر بالصحيفة 32 وعدد 86 والصحيفة عدد 44 من دفتري (كذا) للاحتجاج بها لدى إدارة المستشفى الصادقي حيث أنه إدعى ضياع الأصل ونصها الحمد لله يعرف به السيدان أن علي بن أحمد بن علي واو الغدامسي معرفة صحيحة شرعيّة تامة ويشهدان مع ذلك بأنّه ولد بغدامس خلال سنة 1903 وعليه فيكون عمره الآن 32 أعوام مدة كل ما في علمهما بالمجاورة والمخالطة المفيدين للاستعلام الحال وعليه شهادتهما هنا مسؤولة من سائلهما بالاذن المضمن بعدد 10050 من فضيلة مولانا الامام العالم الشيخ سيدي عبد الرحمـٰن البناني المفتي المالكي رعاه الله بواسطة عونه الأمين علي بن ساسي وكتب هذا للاحتجاج به لدى إدارة المستشفى الصادقي حيث أنه يخدم به (كذا) بتاريخ الساعة السادسة عشيّة يوم الأربعاء الرابع عشر رجب سنة ثمان وخمسون وثلاثمائة وألف والموافق الثلاثين من أوت عام تسعة وثلاثين وتسعمائة وألف أجر كتاب تسجيله 20 فرنكات ترسيمه 18 فرنكات وتانبره 12 فرنكات (كذا).

الأجل محمد بن موسى بن محمد مقره بغدامس عمره 59 أعوام عامل يومي الساكن بنهج الباشا زنقة الناعوة عدد 5 شهد به الأول عبد الله بن محمد الغدامسي عمره 60 أعوام لا حرفة له الساكن بنهج الباشا عدد 91 ممن عرفه على (كذا) الحمد لله يعرف شهيداه المذكورين أعلاه معرفة صحيحة شرعية تامة ويشهدان مع ذلك بان كل منهما عدل ورضي ممن تقبل شهادته وترضى ويعمل بها شرعا كل ذلك وعليه أدّيا شهادتهما بهذا مسؤولية منهما لسائلهما بالاذن والتاريخ أعلاه تسديد المكرم الأجل أحمد بن محمد بن موسى الغدامسي أجير يومي الساكن بنهج الحاجي عدد 6 معروف شهد به المكرم الأجل الطاهر بن عمر بن مالك الغدامسي عمره 77 لا حرفة له الساكن بباب سعدون زنقة سحنون عدد 7 معروف (كذا) الحمد لله بالاذن والتاريخ أمامه من شهادة من أشهد المذكورين أمامه أصلا وتزكية محمد العبيدي وحسن العبيدي فهذه نسخة كذلك ممن قابلها وجرها نصا سوى بتاريخ اليوم الخامس من شعبان الأكرم والثلاثين من أفريل 1953/1372.

محمود بن علي الزنتاني	حسن بن علي
عدل بحاضرة تونس	عدل ثان

نسخة من ولادة

1452

H. BOUKHRIS
TUNIS
N°41594

1R

8969L08

وثيقة رقم (5)

الحكومة التونسية

الحماية الفرانساوية

الوزارة الكبرى

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ع ١٩٠٧ رد

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الامور اليه احمد باشا باي صاحب المملكة التونسية سدد الله تعلى اعماله وبلغه آماله الى من يقف على امرنا هذا من الخاصة والعامة اما بعد فانه بناء على طلب جناب وزيرنا الاكبر اولينا المكرم الجيلاني ابن عثمان ابن الحاج حسين الطرابلسي شيخا على مشيخة السلوقية من عمل مجاز الباب عوض من كان قبله اجريناه مجرى امثاله واوصينا برعيه واحترامه وعلى الواقف على امرنا هذا ان يعمل بمقتضاه والامر كله لله تعلى

وكتب في ٢ ذي القعدة سنة ١٣٥٨ وفي ١٤ ديسمبر سنة ١٩٣٩

وثيقة رقم (6)

الحماية الفرنساوية

العمالة التونسية

الوزارة الكبرى

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

٢٦٩٣

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الامور اليه محمد الحبيب باشا باي صاحب المملكة التونسية سدد الله تعلى اعماله وبلغه آماله الى من يقف على امرنا هذا من الخاصة والعامة اما بعد فانه بطلب من جناب وزيرنا الاكبر اولينا المكرم مسعود ابن الحاج محمد بن مسعود الطرابلسي شيخا على مشيخة السلوقية من عمل مجاز الباب عوض من كان قبله يباشر أمورهم العرفية على العادة اجريناه مجرى المشايخ امثاله واوصينا برعيه واحترامه وعلى الواقف على امرنا هذا ان يعمل بمقتضاه والامر كله لله تعلى

وكتب في ٢ رجب سنة ١٣٤ وفي ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٨

ملحق للوثيقة رقم (6)

عـــدد
الفلاحي
العدد الترتيبي ١٢٤٨ بعمل نية التدليس

الحمد لله بيان اسماء الاغبار الاتي ... ذكر اسمائهم الكائنة
بالمكي الاجل مسعود بن الحاج محمد بن مسعود الكرابلي المنتخب لمشيخة
السلوقية كونهم مستورين عمل عاز الباب وكلهم من اعيان المشيخة المذكورة ...

			٥٠٩٨
١	٥٠٣٩	٤٠٠٠٠	علي بن بلقاسم بن سليمان الكرابلي
٢	٤٨٤	٣٠٠٠٠	وصالح بن الشاذلي ... الكرابلي
٣	٥٠٠٢	٦٠٠٠٠	وبوعجيلة بن محمد بن سلامة الكرابلي
٤	٤٢٠٢	٣٠٠٠٠	وصالح بن محمد ... الكرابلي
٥	٥٠٣٧	٢٥٠٠٠	ومحمد بن علي بن سلامة الكرابلي
٦	٤٢٠	٦٠٠٠	واحمد بن الحاج محمد الصغير الكرابلي
٧	٤٨٢	٥٠٠٠	ويحيى بن الطاهر بن محمد الكرابلي
٨	٤٧٨	١٥٠٠٠	ومحمد بن احمد بن يحيى الكرابلي
٩	٤٤٥	٦٠٠٠	والحاج محمد الهادي بن خميس ابو ...
١٠	٤٧٩	٦٠٠٠	ومحمد بن الصغير سعيدان ابو ...
١١	[illegible]	٥٠٠٠	ومصطفى بن محمد الصغير الاندلسي
١٢	٤٢٤	٥٠٠٠	والطاهر بن الحاج محمد ... الدوريبي
١٣	٥٠٤٨	١٧٠٠٠	ومحمد بن الحاج حميدة بن ... ابو ...
١٤	٥٠٥١	١٥٠٠٠	والحاج محمد ... بن الحاج بوعجيلة الزيات الكرابلي
١٥	٥٠٤٢	٤٥٠٠٠	وعمار بن الحاج محمد الصغير الكرابلي
١٦	٥٢٣٢	٤٥٠٠٠	ومسعود بن صالح ... الكرابلي
١٧	٥٠٣١	٥٠٠٠٠	وعلي بن رمضان ... الكرابلي
١٨	٥٢١٨	٤٥٠٠٠	وبوعجيلة بن الحاج محمد بن محمد الكرابلي
١٩	٥٣٧	٢٠٠٠٠	وعلي بن مسعود بن محمد ...
٢٠	٥٤٠٩	٩٥٠٠٠	وعلي بن محمد الهادي بن ...
٢١	٥٤٠٠	١٣٠٠٠	واحمد بن مسعود بن الطاهر ...
٢٢	٣٣١	٧٠٠٠	ومحمد بن صالح بن ... الكرابلي
٢٣	٥١٣٧	٢٠٠٠٠	ومحمد بن بلقاسم بن ... الكرابلي
٢٤	٥٠٣٨	٢٠٠٠٠	ومحمد بن صالح بن عمر الكرابلي
٢٥	.....	٩٠٠٠	ومحمد بن محمد بن الحاج ...
٢٦	.....	٢٠٠٠٠	ومحمد بن خميس ...

١٤٤٤٠٠٠

العدد الترتيبي		قيمة المكاسب ١٤٤٤٠٠٠	
٢٧	٥١٥٢	٨٠٠٠٠	وعبد الحميد بن عبد الله ... الاندلسي
٢٨	٤٥٠١	٤٠٠٠٠	ومحمد بن الحاج عمار الكرابلي
٢٩	٥٢٤٠	٢٥٠٠٠	ومحمد بن الحاج علي بن الحاج محمد ...
٣٠	٥١٢٠	٥٠٠٠	ومحمد بن الحاج محمد الهادي بن خميس ...
٣١	٤٤٢	١٢٠٠٠	ومحمد بن الحاج علي بن ...
٣٢	٢٤٩٠	٢٥٠٠٠	وبلقاسم بن صالح ...

الحمد لله حضر لدى جناب ... الاجل ... وطلب ... الاغبار المذكورين ... كل منهم ... الدولة ... المكي الاجل مسعود بن الحاج محمد بن مسعود الكرابلي من اعيان المشيخة المذكورة ... ومشيخة السلوقية المذكورة ... الدولة ... فبه شهد ...

عدول بالسلوقية

وثيقة رقم (7).

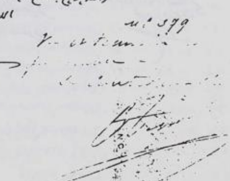
الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

العروسي بن الحاج البشير الكاهية ابليس العلاقي النائلة بالحاضرة

١٦٦
عدد

جناب الصدر المصلح العماد الاوفى امين الامين ا. سيدي محمد العزيز بوعتور
الوزير الاكبر ادام الله اجلاله ومحروس لبنه كماله اما بعد اهداء اتم السلام
دائما. واجب التوقير والاحترام فيقرر شيخ كتاب جنابكم الصادر
المؤرخ في ٢٧ جمادى الثانية ١٣٢٠ و ٢٨ سبتامبر ١٩٠٢ عدد ٦٦٦٠ في الموافقة
على حل مشيخات وتعويضها بمشيختين وما تضمنه من الاذن بانتخاب
شيخ لمشيخة الكاهية ابليسه المحدثة بالتي تيب المذكور علماء ومقتضاه
انتخبنا المذكور اعلاه نظرا الكونه من اعيان بني نفه الكاهية ابليسه والمعرفة
الكتابة ولين في اللهجة ابليسه سواء كانوا بالحاضرة اوباحوازها ولم يكن
اختير ضمان عليه ممن ذكر حيث كانوا لا يستحقون وبلكان غالب البلاد لم يكن
بينهم من تعوض اهل اليسار ولم استحسن اختيار منهم حيطة للمصلحة
الضرورة وغاية ما امكنني عمله ان حررت جمع اتفاق من غالب
رؤساء عائلة الاين في المختلفة واخترت على المنتخب خاتما من ثقته
من عين اهل المشيخة وهم امليا، ووجهته مجمة مع مجتبى الا تعالى في
حمية هنا والواصل لجناب سيدي ان المذكور من تمكن استقامة خدمة
المشيخة معه والمعلم فاضيه بولاية مثله والنظر السديد وراء ذلك
والله يديم بقائكم ويحرس مجدكم والسلام من مقبل ركاب محكم في نقل في عامل
الاحواز عفي عنه وكتب في ٢٨ شوال و ٢٧ جانفي ١٣٢٠ ١٩٠٣





وثيقة رقم (8)•.

برقية رقم 249 في 18 مارس 1924

ـــ المهاجرون الطرابلسيّون

وزير الشؤون الخارجية
إلى سفير فرنسا في روما

أرسلت لك عن طريق البريد وبالأرقام البرقية التي وصلتني في 17 من هذا الشهر من المقيم العام الفرنسي في تونس بموضوع دخول عدد من المهاجرين الطرابلسيين، وكانوا في أسوأ حالات البؤس إلى أرض الحاضرة.

لأسباب إنسانية لم يكن ممكنا طرد هؤلاء الأشخاص وموقف من هذا القبيل يمكن له أن يكون مؤشر غضب محميينا التوانسة.

إذا استفسرتك الحكومة الايطالية في الموضوع، أنا مطالب بتوضيح بأنّه ليس لنا نيّة سياسيّة، وكلّ ما صار هو عمل إنساني. ولا نشكّ أنّ الحكومة الملكيّة كانت تصرفت بنفس الطريق إذا وجدت نفسها في موقف مماثل.

• أرشيف المركز القومي الجامعي ـــ تونس.

BUREAU DU CHIFFRE

EXPÉDITION · RÉCEPTION

BUREAU DU 56 .... 1 MARS 1934 A.S.

P-12-2

MINISTÈRE DES AFFAIRES ÉTRANGÈRES

DIRECTION POLITIQUE

AFRIQUE

à Chiffrer et par poste

249

ANALYSE

[illegible]grés tripolitains.

Télégramme

18 mars 1934

Le Ministre des Affaires Étrangères

à Ambassadeur de France à ROME.

Je vous ai communiqué par la poste et en chiffre le télégramme que j'ai reçu le 17 de ce mois du Résident général de France à Tunis au sujet de l'entrée sur le territoire de la Régence d'un certain nombre d'émigrés tripolitains qui se trouvent dans le plus grand état de misère.

Pour des raisons d'humanité, il n'a pas paru possible de procéder au refoulement de ces individus; une mesure de ce genre aurait risqué de produire sur nos protégés tunisiens la plus fâcheuse impression. Je vous serai obligé, si le Gouvernement italien venait à vous entretenir de cette affaire, de lui exposer que nous n'avons aucune arrière-pensée politique et que nous n'avons obéi qu'à des considérations d'humanité. Nous ne doutons pas que le Gouvernement Royal n'eût agi comme nous s'il s'était trouvé dans un cas analogue./.

[signature]

وثيقة رقم (9).

الى حضرة جناب مولانا الامير الجليل سيدنا احمد باشا باي تونس ابده الله عزا ونصرا امين

le 10 JANVIER 1936

Série A 280 1

سيدي ومولاي دام الله عزه وسروره وجعله الله بقدر رتبتين وعلى عرشكم شرعا معونا وبعين العناية ملحوظا بحرمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

يعني لا يخفى سيادتكم من الحالة الحاضرة من اشتدت ازمتها وما احتوت عليه من المصاعب الشديدة . وعاجزكم لم [illegible] من حطام الدنيا [illegible] لا ناقة ولا جمل لا مال بقين نستعين. حيث اني احد مهاجرين طرابلس غرب [illegible] ومتاعنا وما لنا وما ينتسب بتركنا كل ما لدينا وجو ملجأ لنا بصار بلد غيرنا [illegible] . [illegible] ونحن [illegible] الصبر على البقاء واتين الى هذه الديار لمدة خمسة سنين ونحن نتقلب من حالتي [illegible] وحيث اشتد بنا الحال وتعسرت المعيشة وعجزنا عن ما هو واجب علينا من كسوة العيال [illegible] ما هو [illegible] .

[illegible] انظارنا [illegible] حول عرشكم [illegible] وشهامته وجودكم وكرمكم الموصوف بالجود والنعم الكاملة وندعوا [illegible] بطول البقاء عز سيادتكم ويزيدكم سرورا بالانس الشامل لعائلتي العائلة [illegible] عزا ونصركم نصرا عزيزا

[illegible] نلتمس [illegible] الزهيد العبد من نشيع عنا حيث تجاسرت بتقديم هذا الاعتابة [illegible] نقبل انا ملكم [illegible] الكرام وعاطر التحية وازكى السلام سيدي

٢٥٩ [illegible]

Janvier 1936 عبدكم [illegible] خادم ركابكم الشريف

احمد [illegible] الحاج علي [illegible]

Echerif Ahmed [illegible]

Rassim [illegible]

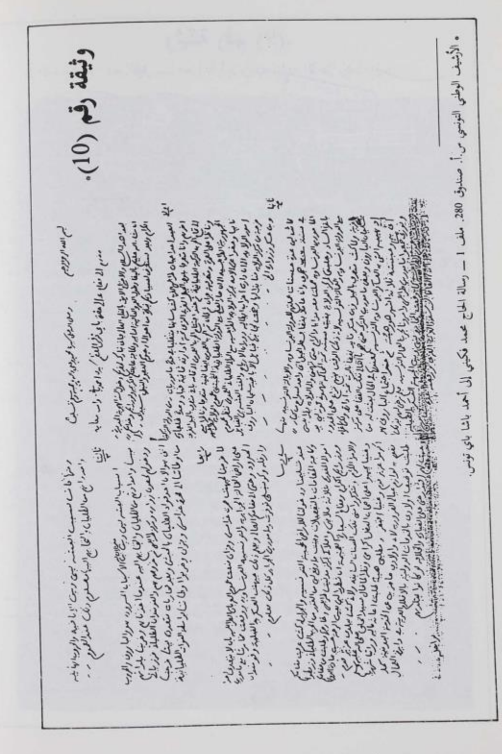
Ali Trabelsi El Gharani demeurant à Hajeb el Aioun

S.A. le Bey

Indigent, sans métier et dépourvu de tous biens, d'origine tripolitaine, il demande un secours./

[illegible]

R. 280 1



وثيقة رقم (10).

• الأرشيف الوطني التونسي س.أ. صندوق 280. ملف 1 — رسالة الحاج محمد فكيني إلى أحمد باشا باي تونس.

وثيقة رقم (11).

ــ رسالة محمد حسن المشاي إلى أحمد باشا باي تونس

إلى حضرة جناب الشهم الغيور سعادة أحمد باشا باي تونس، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته من الشعب الطرابلسي المظلوم، لما كانت خدمة الوطن فرضا على كل من له حساسات وشعور وطنية، أجابة لرغبة لأجل الاطلاع على أحوال أمتنا والدفاع عن مصالحهم بدون خشية وملل، وحرصا على التحقيق والرغبة في إنهاض الشعب بطرق مفيدة ووسائل مناسبة لدرجته إلى مستوى العز ونقف مرفوع الرأس غير خاجل قبلت أن أقوم بهذه المشورة لأجل الاطلاع مهما اضطرت الدولة العثمانية وسعت لعقد الصلح مع الدولة الايطالية وتركت البلاد وشأنها وأخذوا الايطاليون ينشرون النشرات ويعلنون أنهم ما جاؤا إلى تلك البلاد إلا لترفيهها ونشر المدنية فيها مع المحافظة على التقاليد الأهلية وتعاليمهم الدينية فهدت الحالة مدة وجيزة رجعت النفوس للطمأنينة بعد الخوف الذي ملأ جوانحها فصغت للراحة، ولكن عندما تغلغل جيشهم في داخل البلاد قلبت للأهالي ظهر المجن، وأخذوا يسومونهم سوء العذاب ولا يبالوا بقتل الأبرياء من الشيوخ والأطفال والنساء ولا يفقهوا للمروؤة معنا ولا يعرفوا للانسانية قدرا ويقتلوا النفوس البريئة ويرتكبوا عارا تحمر له وجوه الانسانية واحتلوا البلاد واستباح مالها ودماها ليسترقوا رقابا خلقت حرة وينهبوا حقا ليس لهم فيه مثقال ذرة، وحدثت هذه الوقائع وما يتبعها من الوجائع والفجائع والعالم الطرابلسي بمعزل عن ذلك ولا يعرف شيئا عم يلاقيه من أنواع المصائب، حيث أن الأمة الطرابلسية أمةٌ عربية لا تتحمل الظيم وتأبى المذلة والهوان نهضت للقتال مرة ثانية وحاصرت الجيوش الايطالية في أماكن عديدة واستولت على حصونهم، وأخذوا منهم ألوف من الأسرى مع ما كان بيدهم من الأسلحة والذخائر الحربية... إذ الجيوش الايطالية ضلت تدافع من رواء الجدار المحصنة إلى أن انتهت الحرب العالمية ولما علمت الحكومة الايطالية غير قادرة على إخضاع أمتنا بالقوة ركنت إلى طرق التضليل والتمويه فوضعت قانونا سمته القانون الأساسي، وأعلنته للملأ، ومع أن هذا القانون غير ضامن لحقوق الأمة جنحت للسلم وقبلته على حالاته حقنا للدماء ورغبة للسلم ووقفت تنتظر من الايطالية حسن النية والعدالة ولكن نبذته وراء ظهرها، ورفضته تحت أقدامها وصارت الحكومة الايطالية وأخذوا ينشرون من وراء الحجب جرائم الفساد والشقوق بين الأهالي ليفرقوا بين الوطن وبنيه والأخ وأخيه وكادوا يدخلونه رغباتهم ومقاصدهم السيئة حتى وقع بين الطرابلسيين وأوقدوا نار

* الأرشيف الوطني التونسي س.أ صندوق 280 ملف 1.

الفتنة إذ بجيوش الحكومة تفاجىء العباد فأوقدوا نار الحرب امتلأت ليبها من الحدود التونسية إلى الحدود المصرية ولا يزال القتال مستمرا ولا تزال هذه الأمة هدفا للقنابل والقذائف النارية والصواعق الجهنمية فصارت هذه الأمة تستغيث فلم تجد مغيثا وتصرخ لم تسمع مجيبا فقد تقطعت بين الأسباب وعوزتها الوسائل وسدت في وجهها السبل وعدوها الجائر يتربص بها الدوائر وأمطرت عليها سحاب الظلم بل هي الحكومة الجديدة الايطالية على الحق بمعزل ليس عندها سياسة ولا عدالة مثل الدولة الثانية ومع أنّه إذا أمنت خانت وإذا عاهدت نقضت ولا عندها كلمة شرف ومن جملة غرايبها مجلس ورئيسه انتيبورنار وأرسلوا : الجندرمة يجلبوا في الرؤساء والمشايخ والوجهاء والأعيان والأغنياء وغيرهم من الأبرياء ويدخلونهم في السجن حتى مسكوا ألوفا من الناس الطرابلسية عندما يريد يبغوا يفعلوا بأحد يجلبوه من السجن ويجعلوا له شهود من أوباش العرب ويعطوه بعض من الدراهم حتى يشهد على أخيه بالكذب ويجعل أبوكات من أولاد ايطاليا من تلك المجلس المذكور أعلاه ويحكموا على ذلك الرجل وهو طارق رأسه يضيق صدره ولاينطق لسانه بل هو تحت التهديد فيحكم ذلك المجلس انتيبورنار على ذلك الشخص وهو لم يشعر تارة بالشنق وتارة القتل بالبارود وتارة بالتأبيد في السجن وتارة بثمانين سنة، وينقص ويزيد في المدة ويغصبوا كافة مخلفات ذلك الرجل ويبقوا النساء والأطفال يتلاوذون حفاة عراة هكذا فعلوا أمة كثيرة وكيف يتميز الحق من الباطل والمسألة وقعت بهذه الصورة فعلى هذا أوجب على أمتنا الفرار بالنفس والأبناء والحريم وتركت مسقط رؤوسها العزيزة وتدخل تحت حميّة ثانية شرعا وطبعا وقانونا وللضرورة أحكام في سنة 1925 انتقلت ناس كثيرة وهاجرت إلى مصر ودخلت تحت حميّة الانقليز وباشروهم بما يسرهم واليوم في أرغد عيش وبقينا نحن مساكين في بقاع : الفيفاء والقفارات الخالية وكابدنا شدائد كثيرة برهة من الزمان حتى سنة 1927 فتحت العاجز المكاتبات مع الدولة الفرنساوية بحكومة الدزاير ورجعوا إلى ما يسر القلوب ونزد الانسان نشاط وفي سنة 1928 بعثت وفد تحت رئاسة إبني واجتمعوا مع أحد رجال دولة فرنسا : بحدود الدزاير في مركز يقال له ليز وكتب لهم جواب مع ما تذاكر شفاهيا فتح لنا السوق حتى ناسنا تسوقت تطاوين وحين وصول الوفد لنا حضرت عموم الناس وقريت عليهم الجواب المرسول من طرف الحكومة وصار ذلك اليوم كيوم العيد وأيضا في سنة 1930 فاجئنا عدونا بالطيّارات وصاروا يضربوا في الناس والابل حتى ماتت ناس كثيرة وإبل وأما الجرحى كثيرون مدّة شهرين والطيارات مداولات علينا بالضرب فأمرت الناس بالرحيل فرحلت وصاروا يتبعوا فينا ويضربوا مسافة خمسة عشر يوما حتى بلغنا حدود دولة فرنسا الفخيمة والطيارات يضربوا فلما شاهدهم الفسيان بالحدود بين الدرابوات فبطلوا الطيارات من الضرب ورجعوا واجتمعت العاجز مع القبطان ديبرحاكم جانت وملعقاتها تكلم مع سعادة المقيم العام بالدزاير بالديبش فأعطاه الأمر بالدخول بعموم المهاجرين وسلمنا كل ما بيدينا في الحدود بشرط بأن نفرق عموم الناس لتكن مع بعضها بعض فباشرت في إجراء أوامر الحكومة حسب الأمر وبعد برهة من الزمان بعث لي الكومندة حاكم ورقلة والقبطان

المذكور أعلاه اجتمعت بهم بمركز الزاوية الكحلة وكلموني على انسا كبانية المتلوي وكبانية صهيل يطلبون الخدامة وأعطيتهم الكلمة في الرحيل إلى جهة تونس فرحلت الناس في زمن الصيف وماتت منها ناس كثيرة والعطش وكل من له بعير أكله لحما وبقت الناس صفر اليدين من حطام الدنيا حتى وصلت ورقلة فسلمت لها حكومة الدزاير مقنطرة من التمر والشعير والحنطة حتى منعت الناس من الموت ولله الحمد وكثر خير الحكومة واليوم عموم الناس وصلت في حدود تونس تخدم : وإلى حد الآن لم يفيدها شيئا إلا كفاية عن الموت من كثرة العايلات وكثرة الأيتام الذين هم أبناء الشهداء وأبنائهم واليوم متشكرين كثير من الدولة الفرنساوية التي هي منجي ملجا سابقا ولاحقا ومنعتنا وحفظتنا من مكر الدولة الايطالية التي هي يشهد لها كافة العالم والظلم والجور اليوم تنفطر حزنا مما صنعته بيدها العادية ويشهد لها كل من هو حر الضمير بما ذكر أعلاه بل بزيادة إنما الكتابة جعلتها باختصار بحماية الملة الاسلامية إن هذه الأمة المظلومة المسكينة التجأت إليكم وترفع هذا النداء يصل إلى عنان السماء وشاخصون أبصارهم ومادّون أيديهم ومستنجدين بكم ويستشرون عطفكم وغيرتكم أن ترحموا هذه الأمة بجميع الوسائل التي تنوبها وهي في حيز أمامكم ويناسب فكركم الصائب ونظركم الشامل ليستروا عوراتهم وتمنع النفوس من الموت بالجوع وتخلص الديون التي تراكمت عليهم إمّا بصدقة أو بسلفيّة وأجركم على الله إنّ الله لا يضيع أجر المحسنين ولأجل إعلامكم والبيان لكم حرر هذا وللضرورة أحكام ولا على المريض حرج ودمتم ودامت لكم السعادة والسلام 11 رمضان 1349[1] من خديمكم محمد بن الحاج حسن المشاي رئيس أعراش المهاجرين.

(1) - مارس 1931.

SECRÉTARIAT GÉNÉRAL
DU GOUVERNEMENT TUNISIEN
14 FEVR 1931
CABINET

ARRIVÉE
le 5 MARS 1931
N° 111
Série A Carton 3

le 11 ramadhan 1349.

Mohamed b. el Hadj Hassen el Machaï chef des Tripolitains emigrants en Tunisie à S. A. le Bey.

1931
CABINET

Il expose les atrocités que les Italiens leur ont fait subir. Il remercie les Autorités françaises des secours qu'elles leur ont donnés.
Il supplie S. A. de vouloir bien accorder à ces pauvres emigrants des secours pour pouvoir vivre. /.

Suite
G. J.

وثيقة رقم (12).

ــ خطاب من أعيان الصيعان المهاجرين بتونس إلى الوزير الأكبر

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي

الشهم الهمام الأعز الأمجد الأسعد الصدر العالي أمير الأمراء مولانا الشيخ سيدي يوسف جعيّط الوزير الأكبر دام حفظه السلام عليك ورحمة الله وبعد فإن المصحّحين أسفل هذا مع جملة عرشهم أولاد سلام صيعان لمّا دخلت دولة إيطاليا إلى عمالة طرابلس وشهدنا منها ما أحدثته بالأهالي التي بقوا تحت نظرها فأقشعرت جلودنا ممّا شاهدناه عيانا فاغتنمنا فرصة الدخول إلى العمالة التونسية تحت ضلّ الدولتين الحامي والمحميّة لما لهما من العدل والانصاف الذي عاش في ظلّها كل من التجىء إلى احترامها وإن كنّا نحن في الحقيقة سابقا استقرينا بتراب تونس وأصحاب أملاك به منها عدّة غابات بنفزاوة وعدّة أبيار ماء أنشيناها وأراضي محراث لزراعات بعمل ورغمة ولنا جالية كثيرة تسكن الآن بالسواسي الذين كانوا مقيدين بعمل مدنين وعليه فإنّنا راغبين من جناب الدولتين المذكورتين صدور الإذن لنا بالدخول للعمالة التونسية والاستيطان بها في المحل الذي تعينه لنا الدولة والدخول تحت جميع المأموريات مثل أهل العمل لأنّنا لا نقدر على الرجوع ولا (كذا) سوى ملكنا التي بنفزاوة راغبين من مراحمكم إغاثتنا وإجابة مطلبنا وندعو لكم بطول البقاء وزيادة الأرقا، ودمتم بخير والسلام من مشايخ الصيعان وأعيانهم في جمادى الثانية 1331 هـ.

التوقيعات

الشيخ نصر بن الحاج	الشيخ سعد محمد	الشيخ سلام بن محمد
الشيخ حامد بن نصر	الشيخ عبد الله بن مرزوق	محمد الصغير
الفقيه عبد الله بن الحاج	حمد بن عبد الله	سلام بن عثمان
الحاج خليفة بن عطيّة	أحمد بن عبد الله	نصر بن عثمان
محمد بن خليفة		

* الأرشيف الوطني التونسي ص. 280 ــ م 3.

وثيقة رقم (13).

21 JUIL 1936

SECTION D'ETAT ARRIVÉE 5 AOUT 1936

1 AOUT 1936 ARRIVÉE

10 juillet 1936

S 280 1

• الأرشيف الوطني التونسي س.أ. صندوق 280. ملف 1.

— رسالة موجّهة إلى أحمد باشا باي بتاريخ 1931/7/31 من أحد المهاجرين اللّيبيّين بتونس عمر بن الحاج خليفة بن الحاج عمر بن مؤمن الطرابلسي البالغ من العمل (75 سنة)، ومقيم (بمرسى بلاج) بتونس، وتوضح الوثيقة الظروف الصعبة التي عليها هذا الشيخ والذي ليس له من يعوله بتونس.

وثيقة رقم (14).

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

من محمد الطاهر بن الحاج الصالح بن هارون وابن أخيه محمد بن الحاج عبد الله إلى الأجل الأفضل أخينا محمد بن بلقاسم بن عبد الحميد ألف ألف سلام عليكم ورحمة الله مع البارك فإن سألت عنا فنحن في خير وعافية وأنتم مثل ذلك إن شاء الله ولا زاد عندنا خير نعلمكم به سوى الخير وعافية بعد جوابنا إليك سابقا وقد ورد علينا جوابك وقريناه وفهمناه وأحمد الله على عافيتكم دامها الله علينا وعليكم آمين وإن سألت عن خبر غدامس فقد ورد علينا أحمد المانع وعبد الله بن عثمان وعبد الله بن المصطفى ولا أخبروا لها الخير وجميع أهل الشارع في خير وعافية فاعلم يا أخينا ما ذكرت ما عندهم أحد في غدامس يلزمه مراوح بالعجل وبلغ سلامنا إلى جماعة بني درار.والسلام تاريخ سبع من ربيع الثانية سنة 1297.

• وثائق الأرشيف الوطني للحكومة التونسية خزنة (24) صندوق 232. ملف 459.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

من محمد الطاهر بن الحاج الصالح بن هارون وابن اخيه محمد بن
الحاج عبد الله (?) الى الاجل الافضل اخينا محمد بن بلقاسم بن عبد
الحميد الف الف سلام عليكم ورحمة الله مع البركة فان سا
لتم عنا فنحن في خير وعافية وانتم مثل ذالك ان شاء الله
ولا زاد عندنا خبر نعلمكم به سوى الخير وعافية بعد جوابنا
اليك سابقا وقد ورد علينا جوابك وفرحنا به وفهمناه
واحمدنا الله على عافيتكم ادامها الله علينا وعليكم امين
وان سالتم عنا خبر غدامس فقد وردوا علينا احمد المانع
وعبد الله بن عثمان وعبد الله بن المصطفى ولا اخبروا الا
الخير وجميع اهل الشارع في خير وعافية فاعلم يا اخينا
ما ذكرت لنا امر البشير بن الحاج محمد بامتيطا (?) يا اهل
مروح ام لا وتعود بنفسك ما عندهم احد في غدامس
يلزمه مرواح بالعجل ويبلغ سلامنا الى جماعة بني دراز (?)
والسلام تاريخ سبع في ربيع الثاني سنة 1297 (?)

وثيقة رقم (15)*

الحمد لله من أخيك قاسم بن عبد الحميد بن بلقاسم إلى أخينا سيدي محمد بن عبد الحميد ألف سلام عليكم ورحمة الله فإن سألتم عنا فنحن طيبون وعنكم سائلون جعل الله أحوال الجميع بخير وعافية أدامها الله لنا ولكم في الدارين آمين. أما بعد فإذا سألت عن البنات وأخواتنا وجميع ناسنا تراهم في خير وعافية الحمد لله على ذلك ولا زاد عندنا خير نعلمكم به بعد الجواب الذي كتبن لكم سابقا سواء الخير وأمّا صعر البلاد غال (1) ناقص الطعام اسبليه ونصف وناقص شعير قرش عربي وحدوف زيت خمسة اسبليه ونصف والسمن سبعة اسبليه للحروق وموجودين والمطر ياسر من طرابلس إلى غدامس سيل واحد وربنا اكمل علينا بالخير إن شاء الله وأيضا أراه العسل الذي وصيتك عليها فلابد منها مع الأول يعني مع طير الطاير وكذلك الزرارع بالك تنساهم وأيضا المرجان بالك تنساني من كل بد ولابد فلابد بالك تخليني على الجميع الوصية من كل بد ولابد والسلام إليك كثيرا ابن عمك محمد الصغير بن محمد أحمد أبي بكر اوائل ربيع الثاني سنة 1297.

---

* وثائق الأرشيف الوطني للحكومة التونسية خزنة 24 صندوق 232 ملف 459.

(1) يقصد بذلك ارتفاع الأسعار في غدامس.

الحمد لله من محبكم قاسم بن عبد الحميد بلقاسم الى اخينا السيد محمد
بن عبد الحميد الف سلام عليكم ورحمة الله وان تسالوا عنا فنحن
بخير وعنكم سائلون جعل الله احوال الجميع بخير وعافية
آمين امهاتنا وبنات واخواتنا وجميع ناسنا نرجو في خير وعافية والحمد لله
على كل حال ولا زال عندنا خبر نعلم لكم به بعد الجواب
...

وثيقة رقم (16)*

رسالة أحمد زارم الكاتب العام لجمعية الدفاع عن طرابلس وبرقة بتونس بتاريخ 1939/4/22 إلى محمد عباس عضو الجمعية بخصوص التحضير لعقد مؤتمر للمهاجرين الليبيين بتونس والذي وجد معارضة من قبل السلطات الفرنسية.

جمعية الدفاع عن طرابلس وبرقة بتونس

* شعبة الوثائق والمخطوطات بمركز الجهاد — طرابلس م 62 و 10.

جمعية
الدفاع عن طرابلس وبرقة
بتونس

[illegible]

* شعبة الوثائق والمخطوطات بمركز الجهاد طرابلس م 62 و 10

وثيقة رقم (17)*

كتاب مفتوح

الى عموم الجالية الطرابلسية بالقطر التونسي

بعث لنا رئيس اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية بكتابه المفتوح الآتي، فبادرنا الى نشره بحروفه وهذا نصه:

— يا اخواني الافاضل! ...

لا يخفى على حضراتكم ان الوقت الشريف الذي وقفته الامة الطرابلسية البرقاوية منذ ثماني عشرة سنة وهي تجاهد في سبيل نيل حريتها بجهاد الابطال مستمدة من الله في نضالها الى ان تظفر بنيل حقوقها المشروعة ولما [illegible] العالم الاسلامي بمعزل عما يحدث في تلك الارجاء، ولم يسمع بالآلام [illegible] الامة الطرابلسية البرقاوية من مظالم الدولة الايطالية التي لا ترحم طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا بل تنزل انواع الغلب والظلم والاستبداد بكل من لا يخضع منه [illegible] ولا يعد بعد التقيد كأنما قطعت على شعب فيها بالا لا تبقى على شيء ابدا في جميع القطر من الوجه الى العباد من الزمن الذي تطورت فيه الامم واصبحت تتفكك فيه القيود وتحطم فيه الاغلال وتتباهى فيه الشعوب بشوق الحرية والاستقلال. [illegible] من اخوانكم المهاجرين في هذه الجهات على القيام بما يحتمه الواجب الوطني لخدمة القضية الطرابلسية البرقاوية [illegible] وبما هو حاصل في حيز اوطانهم واسسوا لجنة تنفيذية لتقوم بمطالبة حقوقنا المهضومة وحريتنا المسلوبة وبسط النكبة الطرابلسية البرقاوية على منصات المؤتمرات في سائر الاقطار الاسلامية.

ونحن من [illegible] الجهاد اليوم اصبح لا [illegible] السيف ونعتقد بل لا بد له من الكلام [illegible] وآراء تؤيده، ولذلك فان اللجنة التنفيذية منذ تألفت اخذت على عاتقها الدفاع عن حقوق الامة الطرابلسية البرقاوية والمطالبة بتحقيق (الميثاق الوطني) المتضمن حقوقنا وهو:

١ — تأليف حكومة وطنية تحت سيادة قومية
٢ — دعوة جمعية تأسيسية لسن دستور للبلاد
٣ — انتخاب الامة مجلسا نيابيا حائزا على الصلاحية التي تخولها الدستور
٤ — اعتبار اللغة العربية لغة رسمية في دواوين الحكومة وفي التعليم
٥ — المحافظة على شعائر الدين الاسلامي وتقاليد القطر في جميع انحائه
٦ — اعادة الاوقاف وادارتها من قبل لجنة اسلامية منتخبة
٧ — العفو العام عن جميع المشتغلين بالسياسة داخل القطر وخارجه
٨ — تحسين العلاقات والمصالح بين الامة الطرابلسية البرقاوية والدولة الايطالية بمعاهدة يعقدها الطرفان ويصدقها المجلس النيابي.

وبما ان القيام بهذا الواجب يتحتم على كل فرد من افراد الامة الطرابلسية البرقاوية داخل القطر وخارجه فاني [illegible] اخواني [illegible] المهاجرين في القطر التونسي وادعوهم الى مساعدتنا ونصرتنا في هذا الامر الجليل وارغب اليهم [illegible] ونوحد مساعينا [illegible] على [illegible] واحدة في [illegible] والسلام عليكم.

رئيس اللجنة التنفيذية
للجاليات الطرابلسية — البرقاوية
« بشير السعداوي »
دمشق: المهاجرين حي ابو رمانة رقم

* صورة طبق الأصل للبيان الذي نشرته جريدة الصواب التونسية بعددها رقم 596 بتاريخ 18 أكتوبر 1929، والصادر عن رئيس اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية — البرقاوية بدمشق، الأستاذ بشير السعداوي. المصدر مركز التوثيق القومي بتونس.

وثيقة رقم (18)*

مطالبة المهاجرين الليبيين بأخذ الجنسية التونسية لكي يتمكنوا من امتلاك الأرض.



المملكة التونسية
الوزارة الكبرى
القسم العقاري
856
DÉPART
16 FEV 1939
S.F. N° 1264

من الوزير الأكبر إلى العامل [illegible]

DIRECTION GÉNÉRALE DE L'INTÉRIEUR
SECTION D'ÉTAT
BUREAU FONCIER

MINUTE

Tunis, le 17 [illegible] 1939

Le PREMIER MINISTRE

à Monsieur le Caïd [illegible]

Vous trouverez ci-joint en communication les lettres de [illegible]

Je vous prie de faire connaître aux pétitionnaires, que [illegible]

★ الأرشيف الوطني التونسي س.أ ص. 280 م 3.

وثيقة رقم (19)*

طلب اختيار الجنسية الليبية يقدم من قبل المهاجر الذي يرغب في الحصول على الجنسية الليبية والذي ينتسب لأصل ليبي ويشترط أن يعرف به أحد أقاربه في ليبيا.



المملكة الليبية المتحدة

وزارة الخارجية

ادارة الجنسية

طلب اختيار الجنسية الليبية

١ — اسم الطالب: سالم الطرابلسي

٢ — هل يعرف الطالب باسم آخر؟ لا — تاريخ الولادة 1926 مكانها [illegible]

٣ — اسم الوالد: العجيلي بن أحمد بن حسين الطرابلسي

٤ — محل وتاريخ الميلاد: [illegible] 1886

٥ — اسم الوالدة: هنا بنت الحطاب المرواني

٦ — مكان وتاريخ الولادة: [illegible] 1890

٧ — اسم الجد: أحمد بن حسين الطرابلسي

٨ — اسم العائلة: [illegible]

٩ — اسم القبيلة: أولاد سعيد بن صولة [illegible]

١٠ — الاوصاف والعلامات المميزة

١١ — مهنة الطالب: سائق [illegible]

١٢ — الديانة والمذهب: مسلم — [illegible]

١٣ — هل للطالب طلب سابق خاص بالجنسية؟ لا

١٤ — وما الجهة التي قدمها لها؟ لا — وتاريخ تقديمه: لا

١٥ — ما هي الجنسية التي يحملها الطالب: التونسية

١٦ — هل ينوي التنازل عنها؟ نعم

١٧ — هل صدرت ضد الطالب احكام في ليبيا؟ لا — تاريخها لا — وانواع التهم لا

١٨ — مكان الاقامة الحالية: نهج سيدي العابد ع 7 [illegible] تونس

١٩ — بدء الاقامة خارج ليبيا: [illegible] 1890

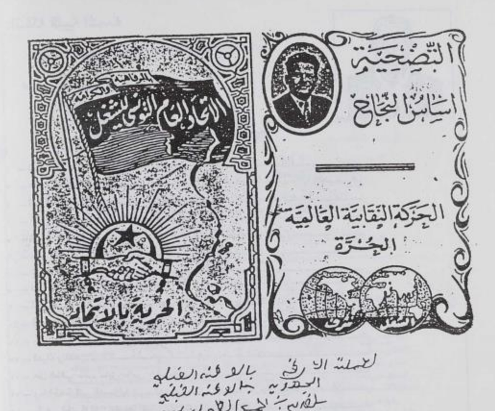
٢٠ — سبب اقامته في الخارج

٢١ — اذا كان الطالب مولودا في الخارج، فمن من الابوين او الاجداد ولد في ليبيا؟ أحمد بن حسين الطرابلسي

٢٢ — من هم اقرباء الطالب في ليبيا وما عناوينهم: [illegible] — عبد السلام بن مصباح [illegible]

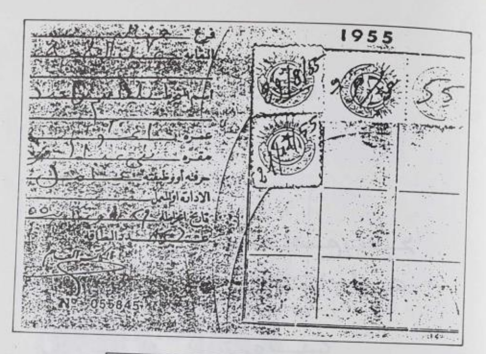
★ أرشيف القنصلية الليبية — تونس.

وثيقة رقم (20)*



* تفضل الحاج بلقاسم أحمد الطرابلسي بإهدائي هذه النسخة من وثائقه الخاصة وقد كان أحد عملة الفلاحة بالوطن القبلي بتونس.

والوثيقة تبين انخراط المهاجرين الليبيين في صفوف الاتحاد العام التونسي للشغل والحركة النقابية العالمية الحرة (س.ج.ت).



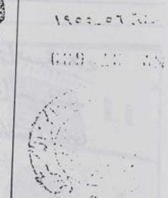


بيد اخينا محمد بن بلقاسم بن عبد
الحميد الغدامسي سلمه
الله امين

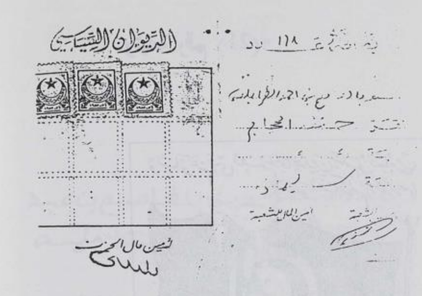
بلغ هذا الجوابات لاربابهم في تونس

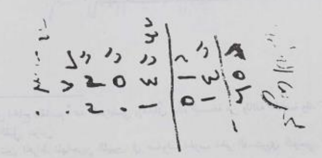
وثيقة رقم (21)*



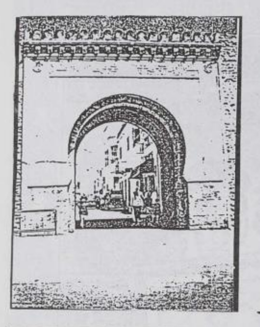


★ تفضل الحاج بلقاسم أحمد الطرابلسي بإهدائي هذه النسخة من وثائقه الخاصة وقد كان أحد عملة الفلاحة بالوطن القبلي بتونس.
والوثيقة تبين انخراط المهاجرين الليبيين في صفوف الحزب الحر الدستوري التونسي.

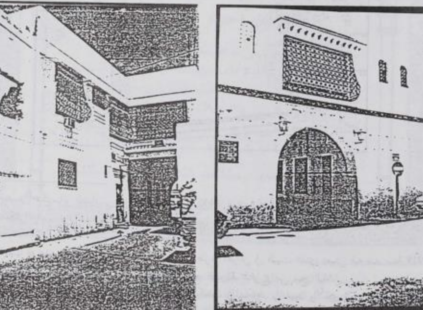




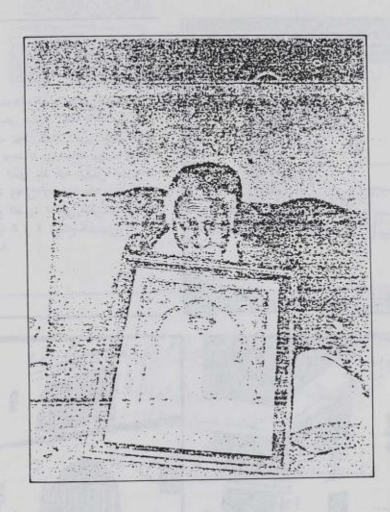
وثيقة رقم (22)*



التقطت هذه الصور بنفسي أثناء زيارتي للمنستير بتاريخ 1990/4/27 وقد مكثت يوما كاملا بحيّ الطرابلسيّة الذي يوجد به منزل عائلة بورقيبة، وهو المنزل الذي ولد فيه الرئيس السابق بورقيبة وعاش فيه فترة حياته الأولى. توضح الصورة 1 حي الطرابلسيّة أمّا الصّورة 2 و 3 توضح منزل آل بورقيبة.



وثيقة رقم (23)*



---

* محمد أحمد سانو الغدامسي من مواليد غدامس 1900 عمل ممرضا بمستشفى الرابطة بتونس ويحمل وسام المملكة التونسية من الصنف الرابع نتيجة الجهد الذي بذله في مقاومة (الوباء) الذي تعرضت له مدينة تونس سنة 1930.

التقطت له هذه الصورة يوم 1990/1/19 بينما كان طريح الفراش في البيت الذي يعيش فيه منذ سنة 1918، وهي الدار التي كانت تعرف (بدار الجماعة) بنهج غرنوطة المتفرع من نهج الباشا.

وقد ورد اسم محمد أحمد سانو في القوائم المنشورة بكتاب (المهجرون والمنفيون والأسرى الذين لم يعودوا لأرض الوطن) تحت رقم 8516 والذي أصدره مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي سنة 1988.

وثيقة رقم (24)*



المملكة التونسية

الحمد لله وحده عدد ٢٧٢٠

[illegible] عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الأمور اليه

[illegible] باشا باي صاحب المملكة التونسية

الى المكرم [illegible] محمد بن احمد سنو المستخدم بالمستشفى الصادقي

اما بعد فانه بمقتضى مطلب وزيرنا كاتب الدولة للامور الخارجية [illegible] لكم من الشان

البسناكم هذا النيشان المظهر رسميا وهو من الصنف الرابع من نيشان الافتخار

في رسمنا فالبسه بالهناء والعافية وكتب بسراية الحكومة

في [illegible] رمضان سنة ١٣٤٨ وفي [illegible] فيفري سنة ١٩٣٠

---

* محمد أحمد سانو الغدامسي أحد المهاجرين الليبيّين من مدينة غدامس، هاجر إلى تونس سنة 1916 وقد عمل في التمريض بمستشفيات العاصمة التونسيّة ضمن مجموعة من الغدامسيّين العاملين في التمريض وشارك في حملة ضدّ (الوباء) شهدته البلاد التونسية سنة 1930 ونظرا لما أظهره في هذه الحملة من جدّ وحماس نال هذه الشهادة والوسام من ملك تونس أحمد باي الثاني.

وثيقة رقم (25)*

ذكرى عمر المختـــــــــــــــــار

شهيد الامة العربية

في مثل هذا اليوم الموافق ١٦ ايلول سنة ١٩٣٢ اعدم البطل المغوار السيد عمر المختار صلباً على اعمدة المشنقة .

في مثل هذا اليوم سطت القوة الغاشمة الفاشيستية على ذلك الشيخ الجليل والمجاهد الكبير ونفذت فيه حكم الاعـــدام ، ولم تراع شيخوخته ولا مكانته في قلوب المسلمين

في مثل هـــذا اليوم اضاف الفاشيست الى تاريخهم المملوء بضروب العسف والجور صحيفة سوداء تعرب عن منتهى العار واعظم الشنار .

لم يحدثنا التاريخ ولا اساطير الاولين ان اسيراً يقع في ميدان الحرب وهو شيخ في العقد التاسع من عمره يعـــدم الا في عهد الفاشيست الذي أنسى العالم مظالم القرون المظلمة .

تردد هذه الذكرى في هـــذا اليوم ونفوسنا تفيض بالحزن والالم الشديد على ذلك البطل الشهيد الذي سطر بسيفه آيات من الشجاعة والبسالة في تاريخ الامة العربية . وجاهد في سبيل الدفاع عن وطنه جهاداً يورث المجد والفخر الاثيل .

ان عمر المختار قد كافح جيوش الاستعمار عشرين سنة وكان لا يخشى الموت ولا صلصلة الحديد الى ان كبا به جواده في معمعة القتال فامتـــدت اليه ايدي الظالمين .

فيالشناعة ويا للعار من تلك الجريمة التي تحمر لها الوجوه وتتحاشاها الوحوش .

وتئن ذمة التاريخ برتت ذمة الانسانية من تلك الفعلة البربرية التي اقدم عليها الفاشيست وهم يعدون انفسهم في مصاف الامم الراقية والاقوام المتمدنة .

انا لن ننسى ما حيينا تلك الفعلة الفظيعة التي ادمت منا القلوب وفتتت منا الاكباد

ظن الفاشيـــست ان اعدامهم عمر المختار يمكنهم من اغتصـــاب تلك الديار ولكن خاب ظنهم وطـــاش سهمهم .

فان ارواح الشهداء هي الشعلة الازلية لاذكاء روح الوطنية في قلوب الشعوب الحية .

ان شهيد الامة الطرابلسية البرقاوية لن يموت لانه ترك لقومه اثراً خالداً في البطولة والاقـــدام يتوارثها الاحفاد جيلا بعد جيل الى يوم التناد .

ان هذه الذكرى الاليمة التي ولدتها ايدي الفاشيست الاثيمة ستبقى ما تعاقبت السنون والاعوام يتجدد هولها ويزداد خطبها لمـــا في القلوب من جروح بليغة وآثار دامية

تبت ايدي الظالمين الذين لم يرقبوا شيبة ذلك الشيخ الجليل ولم يحترموا بطولته ولا شجاعته التي اراهم من آياتها العجب العجاب .

ولكن انى لهم ان يعرفوا تلك المزايا معنى او يقدروا لها قـــدرا .

ان توالي الايام وتعاقب الاعوام لن يخفف من هول تلك الجريمة التي جرحوا بها قلوب العرب جمعاء والتي ستبقى ابد الدهر وصمة في تاريخهم الملطخ بدماء الابرياء من نساء ورجال وشيوخ واطفال .

فيا ايها الشعب الطرابلسي البرقاوي ! ردد ذكر هذا اليوم الذي اصبت فيه باكبر فاجعة واعظم مصاب . احفظ هذه الذكرى واستعرض روعتها على عائلتك في كل لمحة وحين وخذ منها عبرة لمستقبلك لتعرف كيف تثأر لشهدائك الابرار .

ان في هذه الذكرى لعبرة تثير في النفوس روح الاقدام وتحرك ما كمن في الصدور من حب الانتقام ممن اغتصب بلادك وسلبك كل حق من حقوقك وقضى على نخبة من رجالك بالقتل والتشريد والظلم الذي ما عليه من مزيد .

انا في هذا اليوم ندعو الامة العربية ورجالها الاحرار ان يشاطرونا الاسى في ذلك المصاب الذي تردد ذكراه اليوم

فعمر المختار لم يكن شهيد الشعب الطرابلسي وحده بل هو شهيد الامة العربية جمعاء . ان آيات البطولة والشجاعة التي كان يتلوها على جيوش الفاشيست هي مفخرة للعرب على اختلاف اقطارهم ، وما الشعوب العربية الا كالجسد الواحد تشاطر بعضها الاسى والمسرة في كل حال فهذه الحقيقة يجب ان تفهمها للغربيين بتضامننا وتكاتفنا . ان هذه الذكرى يجب ان لا تنسى بل تحفظ في طيات القلوب الى ان يأتي يوم تحاسب فيه الامة العربية ارباب القمصان السود الحساب الشديد على تلك الفعلة الفظيعة التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ الامم

اذكروا يا رجال العرب يا اباة الضيم والحيف شهيدكم الذي اعدم بعد الاسر اذكروا ذلك البطل الذي رفع راية المروءة وجدد مجـــد اسلافكم الكرام

اخيرا ذكرى هذا اليوم لكي يعلم الفاشيست انكم لن تصبروا على الاذى ولن تنامو على القذى وانكم امة متضامنة لا تتحمل الاستهتار التي يوجهه اليكم غواة الاستعمار

وانتم ايها الفاشيست يا ارباب القمصان السود بيننا وبينكم يوم نحاسبكم فيه الحساب الشديد ذلك اليوم الذي ترونه بعيداً ونراه قريبا يوم نسألكم عن دم عمر المختار وشهدائنا الابرار . ان للباطل جولة وللحق صولة وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون

«جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي»

---

* أحد المناشير التي كانت تصدرها اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية.
* تفضل الأستاذ المنجي خزندار بإهدائي هذه الوثيقة التي كانت ضمن وثائق والده محمد الشاذلي خزندار شاعر تونس.

وثيقـــة رقم (26)*

أحد المقالات التي كان ينشرها أحمد زارم الكاتب العام للجنة الدّفاع عن طرابلس وبرقة في الصحافة التونسيّة.

الفضائع الاستعمارية

طرابلس برقة

الى العالم عموما

[illegible]

ح — ز — طرابلس مهاجر

---

* جريدة النهضة التونسيّة بتاريخ 1931/5/6.

وثيقة رقم (27)*

رثاء البطل المغوار المجاهد عمر المختار الطرابلسي

لله أنت هو المختار يا عمر — حيث الشهادة مختوم بها العمر
يا ليث برقه والحامي الذمار بها — يحييك بالذكر فيها الصارم الذكر
عقدان في الدهر بل في جيدي ملحمة — حبات سلكيهما الطعنات لا الدرر
عشرون عاما ولما حيث ما فتئتا — تقرىء غياهبها غاراتها الضرر
هي البسالة في الأبطال مستند — ما للضراغم إلا الناب والظفر
في ذمة الله ما ذابوا وما درأوا — ولا عليهم اذ قاموا بما أمروا

...

نلت الشهادة فيما نلت محتسبا — يا ابن العروبة وليشهد لك الأثر
أبيت الا الوفاء بالعهد مصطبرا — بشراك في الخلد فالحق بالأولى صبروا
ان صلبوك ليشفوا فيك غلهم — فالأخذ بالثار مقرون بها الظفر
ذرهم وما اقترفوا فالنار كامنة — والريح في ضمنها ما هبت الشرر
تحفز الشرق فالنهضات تالية — بعضا لبعض وأخرى اثرها أخر
كل مشى بما يغضبه موقفه — من حيث يجري قضاء الله والقدر
لسنا كما عهدوا فيما مضى وانقضى — فلا أعيدت لياليها ولا النهر
فيك ابن رومة يخزي من مشارقها — وفيك يلتهان البدو والحضر
ما أسطيع قتلك لولا القدر أوصلهم — إلى اقتناصك فاغتالوك وافتخروا

* هذه القصيدة بخطّ الشاعر محمد الشاذلي خزندار قالها بمناسبة إعدام شيخ الشهداء عمر المختار عام 1931 وقد تفضّل بإهدائها لي ابنه الأستاذ المنجي خزندار عضو اللّجنة الثقافيّة ببلديّة حلق الوادي.

ملحق للوثيقة رقم (27)

رثاء البطل المغوار المجاهد عمر المختار الطرابلسي

لــلّـه أنت هو المختــار يا عمــر — حيث الشهــادة مختــوم بها العمــر
يا ليث برقه والحامــي الذمــار بها — يحييك بالذكــر فيها الصارم الذكــر
عقدان في الدّهر بل في جيدي ملحمة — حبّات سلكيهمـا الطعنات لا الدرر
عشرون عامــا ولما حيث ما فتئتــا — تقــرىء غيــاهبها غاراتها الضرر
هي البسالــة في الأبطــال مستنــد — ما للضراغــم إلّا النــاب والظفــر
في ذمّة الله ما ذابــوا ومــا درأوا — ولا عليهم اذ قامــوا بما أمــروا
نلت الشهادة فيمــا نلت محتسبــا — يا ابن العروبة وليشهد لك الأثر
أبيت الا الوفــاء بالعهــد مصطبرا — بشراك في الخلد فالحق بالأولى صبروا
ان صلبــوك ليشفــوا فيك غلّهــم — فالأخذ بالثار مقــرون بها الظفــر
ذرهم وما اقترفــوا فالنــار كامنــة — والــريح في ضمنها ما هبّت الشرر
تحفــز الشرق فالنهضات تاليــة — بعضا لبعض وأخرى اثرهــا أخــر
كلّ مشى بما يغضبــه موقفــه — من حيث يجري قضاء الله والقــدر
لسنا كما عهدوا فيما مضى وانقضى — فلا أعيــدت ليــالها ولا النهر
فيك ابن رومة يخزي من مشارقها — وفيــك يلتهــان البــدو والحضر
ما أسطيع قتلك لولا القدر أوصلهم — إلى اقتناصك فاغتالوك وافتخــروا.

ر.ش رقم (28)

تاريخ المقابلة : 1988/1/24
الاسم : الفقيه أحمد زيدان العريفي
الجنسية : ليبيي
تاريخ ومكان الولادة : 1908 غريان ــ العرايفة
العنوان : شارع النصر ــ طرابلس ــ ليبيا
الوظائف السابقة : فقيه[1]

★ نصّ المقابلة ★

ــ هاجرت مع أسرتي إلى تونس بعد دخول الطليان لليبيا عام 1911، وكانت أسرتنا تتكون من والدي الفقيه زيدان العريفي ووالدتي وإخوتي محمد وعبد الوهاب والهادي.

ــ تعلمت أنا وإخوتي الثلاثة القرآن الكريم على يد والدنا رحمة الله عليه في الكتاب الذي كان يعلّم فيه والدي (بطرياقة) بمنزل شاكر بصفاقس، وعند وفاة والدي استمر أخي الفقيه الهادي في نفس خطّة والدي (مدّب) بمنزل الهادي شاكر بينما أنا وإخوتي الآخرين انتقلنا إلى أماكن أخرى، حيث استقريت أنا أعلم القرآن في (كتّاب) بمنطقة البكباكة (بمرناق).

ــ كان هناك الكثير من الطرابلسيين في صفاقس وزعوان وبوفيشة وخنقة الحجاج وماطر ومجاز الباب والحبيبية، والدخلة، وغيرها من المناطق وكان لنا من بينهم بعض الأقارب في تلك المناطق، وأغلبهم يشتغل في الفلاحة تربية الحيوانات، وكانت المعيشة صعبة.

ــ عدد تلاميذي في الكتاب الذي كنت أعلّم فيه يترواح بين 20 و 40 تلميذا لأن استمرار التلميذ كان مقتصرا على عدد قليل لأن ولي الأمر أحيانا يتراجع بعد أن يستمر إبنه شهر أو شهرين في الكتّاب أن يكلفه بمساعدته في الفلاحة والرعي، وسبب ذلك يعود لعدم وجود القناعة بأهمّية العلم بسبب الأمّية المتفشّية لدى أولياء الأمور، ويكفي هناك من استمر وختم القرآن.

---

(1) الاسم الشائع للفقيه في البلاد التونسية، وعلى وجه الخصوص في الأرياف (المدّب) وإظهار الاحترام وتقديرا للفقيه يسمّونه (سيدي المدّب) استمر الفقيه أحمد زيدان العريفي يعلم القرآن الكريم بتونس إلى سنة 1962 وهو تاريخ عودته إلى طرابلس.

ــ كان يتردد على الكثير من الناس (أصحاب عقيدة) ونكتب لهم على بركة الله بما هو شفاء للناس وسكان البادية والأرياف في تونس أهل عقيدة وطيبون يحترمون الفقهاء وحفظة القرآن.

ــ وجدنا قبلنا بأرض تونس طرابلسية قدماء لهم عشرات السنين ومنهم من لا يزال بتونس حتى الوقت الحاضر، وأذكر على سبيل الذكر، كانوا جيراني من ترهونة ويعرفون (بالمناصرية) نسبة إلى جدهم الأول المنتصر ولهم أكثر من مائة وخمسون عام بتونس ولا زالوا إلى الآن، ولهم أبناء تعلّموا القرآن على يديّ، وهم الآن في وظائف بالحكومة التونسية ولهم أملاك.

ر.ش رقم (29)

تاريخ المقابلة : 1988/1/20
الاسم : الحاج امحمد محمد عبد الله البنيني
الجنسية : ليبيي
تاريخ ومكان الولادة : الأصابعة ــ غريان 1917
العنوان : محلة الشرق ــ الأصابعة ــ غريان ــ ليبيا.
المهنة : فلاح

★ نصّ المقابلة ★

ــ عندما هاجرت عائلتنا كان عمري لا يتجاوز الثلاثة سنوات تقريبا، وعشت بتونس فترة طويلة من حياتي حيث تزوجت وأنجبت كل أبنائي بتونس، ورجعت إلى طرابلس في عام 1958.

ــ كانت رحلة المهاجرين من طرابلس إلى تونس صعبة والوسيلة الوحيـدة هو (المرحول) على الابل والدواب، وكثيرا من الناس قتلها العطش والمرض في الطريق قبل أن تصل إلى تونس.

عندما وصلنا تونس وجدنا مهاجرين ليبيين قدماء في تونس، منهم ترهونة، ورفلة، ورشفانة، ومارغنة، العجيلات وغريان ومصراته.

ــ المناطق التي عشت فيها كان فيها كثير من المهاجرين، بنزرت، ماطر، تونس، زغوان، الحبيبيّة، صفاقس، وبئر المشارقة، الدخلة، خنقة الحجاج، وادي الرمل، بوفيشة، وكل الناس الذين عاشوا في هذه المناطق يعملوا في الفلاحة لأن الأرض أرض فلاحية.

ــ شاركنا مع إخوتنا في تونس في مقاومة الاستعمار الفرنسي، وقد دخل شقيقي في صفوف الجيش التونسي الذي كان يعرف (بعسكر الباي) وناضلت أنا في صفوف الحركة النقابية، وكنت في خنقة الحجاج بقرنبالية مسؤولا نقابيا أحد الضيعات الفلاحية التي كانت على ذمة أحد المعمرين الفرنسيين، وكان ذلك في عهد المناضل فرحات حشاد الذي وقف ضد سياسة المستعمر الفرنسي الذي يريد أن يستغل عرق وجهد العمال، ونتيجة ذلك

حكمت المحكمة لصالح المستعمر الفرنسي وطردت حتّى من عملي، وتمّ إبلاغ كافة الفرنسيين الذين كانت بيدهم أغلب فرص الشغل بتونس، وقد تضررت عائلتي ولحقتها الخصاصة من جراء ذلك، وعلى الرغم من وقوف الحركة النقابية إلى جانبي إلّا أنّ الحكم في ذلك الوقت كان بيد فرنسا.

ــ من النقابيين الذين اشتغلت معهم الأخ عمارة الهمامي وهو مناضل وإنسان مخلص ويمثل الاتحاد التونسي للشغل بالفرع الجهوي بقرنبالية.

من المسؤولين النقابيين الذين أعرفهم من أصل ليبي الأخ (عزيز ربيع) وهو مسؤول نقابي على مكتب الاتحاد التونسي بخنقة الحجاج وهو من بلدة (هون) في ليبيا.

كنا نتابع أخبار الوطن، وكانت الرسائل قليلة التي تأتي من طرابلس عندما تأتي رسالة لأحد المهاجرين فإننا نسمع بها وخاصة الذين يعيشوا في منطقة واحدة، ومن خلال تلك الرسائل نتعرفوا على الأحوال العامة بالبلاد، أما الزيارات فإنها لم تنقطع، وكان عندما يأتي ضيف من طرابلس فإنه يكون ضيف لكل المهاجرين، ونفرحوا به، ويحل ضيف في أغلب بيوت المهاجرين حتى الذين لاتربطهم به صلة القرابة، هذا يدل على مكانة الوطن في نفوسنا.

ر.ش رقم (30)

تاريخ المقابلة : 1989/12/8
الاسم : الأستاذ محمد البشير محمد الصالح بن مراد
الجنسية : تونسي
العمر : 70 سنة
والده : الشيخ محمد الصالح بن مراد (شيخ الاسلام) في عهد المنصف باي.
الوظائف السابقة : من قدماء الزيتونة، اشتغل بالتدريس، عضو سابق ببعثة جامعة الدول العربية في باريس.

★ نصّ المقابلة ★

من خلال المقابلة التي أجريناها مع الأستاذ بشير محمد الصالح أفادنا بأنه من خلال معايشته للمهاجرين الليبيين في مدينة تونس احتفظ بتسجيل العديد من الملاحظات في (كنشه الخاص) وقد تفضل مشكورا بمدّنا بهذه الملاحظات الآتية : •

كان التونسيون لا يلفضون بكلمة ليبيا بل يسمونها طرابلس فقط، ولا يقولون مثلا هي طرابلس الغرب تفرقة بينها وبين طرابلس الشام، والطرابلسيون عادة أناس مسالمون خيرون، جديون، شأنهم شأن أنفسهم، ويغلب عليهم الجدّ، وندر أن ترى مبتسما بينهم فما بالك بالضاحك، تراهم وقد اعترضوا طريقك في أحد شوارع العاصمة وكأنهم مهمومون، ولم أذكر أنّي رأيت مرّة واحدا منهم منشرحا أو مظهر السرور والفرح إلا رجل واحد من بين جماعتهم كان على عكس الأكثرية لا تراه إلا مبتسما وهو رجل ربع القامة أسمر اللون يلبس اللباس الوطني الشاشية والسروال والحرام وكان هذا الرجل رحمه الله قد أقرأنا ونحن صغار بالمدرسة القرآنية الأهليّة الواقعة بنهج سيدي بن عروس بالعاصمة. علمنا اتقانا كيفية الآداء وحبّبنا آي الذكر الحكيم.

وآخر أيضا وهو طويل القامة خفيف الحول لا أدري ما اسمه وكان طويل القامة أسمر اللون يلبس أيضا الزيّ الطرابلسّي علمنا الخط الشرقي بالمدرسة القرآنية أيضا جالسا في قهوة سوق الربع وأنا راجع للبيت ومن مشهور أمرهم أنهم كانوا يحبّون الشاي كثيرا يطبخونه

بطريقة خاصة وحتى يصير لونه داكنا ويشربون منه إلا النوع المعروف بالتاي الأحمر ومن غريب الأمر أنهم يشربونه في كؤوس صغيرة من بلور عادي تعرف عند أهل تونس (الكأس الطرابلسي) وهي زهيدة الثمن ولعلهم كانوا العامل الأصلي في تعميم شرب الشاي الأحمر بالعاصمة، وليس معنى هذا أن التونسيين يجهلون شرب الشاي أو أن الطرابلسيين هم الذين أدخلوه إلى تونس ذلك أن التونسيين يشربون الشاي منذ أزمنة بعيدة، ففي أواسط العهد الحسيني كان شرب الشاي منتشرا وإن كانت القهوة أقدم شربا وأعمّ وإنّما الطرابلسيّون حبّبوا فيه الطبقات الشعبيّة وعمّموا شربه بينهم خصوصا على طريقة طبخهم بل وكان من لوازم عُدّة العامل إذا انتقل من بيت إلى بيت آخر أو إلى عمل آخر أن يصحبه البراد والكانون والكأس الطرابلسي.

بل وندر أن لا تعثر في أدباش عامل خصوصا الطرابلسي منهم على (التاي).

الكثير من الطرابلسيّين كانوا يضطلعون بصناعة الخبز في تونس (خبازة) وإن لم يشتهروا عندنا بالاختصاص في شيء ما، وهم عند أهل العاصمة غير ما يعرف عندهم بالغدامسيّة وهؤلاء حتى وإن كانوا أصيلي ليبيا فإن التونسي يعتبرهم وكأنهم غير ليبيين ثم هم يختلفون في الصناعات.

حركة الجهاد في ليبيا ومساهمة التونسيين فيها :

أوّل من توجه إلى الواجهة سنة 1911 عند الحرب التركية الايطالية بسبب عدوان إيطاليا على طرابلس كان الشيخ صالح الشريف وجرح رحمه الله في ذراعيه وبقي مدة في المعالجة وكان متصلا في الواجهة بأنور باشا. ولما كان بطرابلس كان متصلا بأركان الثورة التونسية وعلى رأسهم مصباح بريبش اليزيدي الذي كان يتردد بين تونس وواجهة طرابلس ويشارك مع إخوانه الليبيين في الحرب.

كان مقر القيادة التركية بطبرق وكان مصطفى كمال في القيادة. والشيخ صالح الشريف كان أوّل من دخل طرابلس سنة 1911 طريق برقة، تسلّل مع مصطفى كمال من الحدود المصرية.

كان الوطنيّون الطرابلسيّون يجتمعون عند الشيخ مختار كاهية بنهج الباشا بتونس ومنها إلى الحدود التونسية، ولما ضايقت إيطاليا الحدود الليبيّة والمصريّة والتونسيّة مع فرنسا وانقلترا جلب المجاهدون المؤونة والسلاح عن طريق الصحراء الجزائرية والليبيّة فوقع الاختيار على الشيخ صالح والأمير علي ابن الأمير عبد القادر ورصدت فرنسا العيون وأحبطت الخطة ويقال أن

خليفة الحامة محمد بودبوس الزواري هو السبب في الخيانة. بقي الشيخ صالح بطرابلس سنة ونصف محركا للثورة بشمال افريقيا.

كانت تعقد اجتماعات في المدرسة الأهليّة القرآنية بنهج سيدي بن عروس خلال (العشرينات) لدراسة أوضاع حركة الجهاد في ليبيا يحضرها الشيخ محمد مناشو مدير المدرسة القرآنية الأهليّة والمشائخ محمد بوذينة والناجي بن مراد ومحمد صالح بن مراد وعبد العزيز الباوندي.

ر.ش رقم (31)

تاريخ المقابلة : 1988/1/22
الاسم : محمد أحمد القصعاني الجلاصي
الجنسية : تونسي
تاريخ الميلاد : 1915 القيروان
المهنة : فلاح — بئر المشارقة — ولاية زغوان

★ نصّ المقابلة ★

أنا أصيل منطقة سيدي علي بن نصر الله، بالقيروان، ومنذ عشرون سنة انتقلت بسبب ظروف المعيشة إلى بئر المشارقة، وها أنا أملك والحمد لله هذه الأرض منها المشجر ومنها الأرض البيضاء التي نستغلها في زراعة القمح.

— ذكرياتي طيبة على المهاجرين الطرابلسيين، وعشت معاهم أحسن عشرة، ونذكر لك منهم بعض العلائلات الذين كانوا جيراني في القيروان بسيدي علي بن نصر الله وهم أولاد بوعائشة منهم، الحاج فرج بن بوزيد وإخوته محمد بن بوزيد وفرج بن بوزيد، وقد عاد هؤلاء إلى طرابلس، والآن أيضا جيراني في بئر المشارقة من أصل ليبي ويعرفون (بالمزاوغة) وعشرتنا معهم طيبة اليوم مثل أمس.

— كان والدي رحمه الله يحدّثنا دائما عن غومة المحمودي وعلي بن غذاهم، وكيف استطاعوا أن يجمعوا العروش والقبائل ويحاربوا بكلّ شجاعة، وغومة عاش في الجنوب التونسي، وناصروه أهل الجنوب وهذا يأكّد نحن أخوة في الجهاد حتى قبل ما يأتي الفرنسيّين والطليان، ويحفظ والدي قصيدة قالها غومة المحمودي أيّام كان بالجنوب التونسي.

ميـــلتها من كلّ جهـــة مالت ومهبول من قال الحياة مازالت

ــ وفي قصيدة أخرى كان والدي رحمه الله يردّد بعض أبياتها ويبدو أنّ غومة قالها عندما عاش بالجنوب ووجد المساندة والعون من الأهالي ولم يرضخوا لتهديد جيوش الباي، بل استمرّوا في وقوفهم إلى جانب غومة المحمودي، الذي قال :

تريس باديه بسـلاحهـم بنداقـة.

فراسيـــن لـــدار القحيــر غبــــاره[1].

ــ المعروف على الطرابلسية أنهم أغلب الشيء ناس فلاحة، اشتغلوا في (الفيرمات)[2] مع المعمرين الفرنسيين، وبعضهم ملك الأر والحيوان.

ــ العروش الطرابلسيّة المعروف أن يكون من بين كل عرش مدب أو اثنين يعلمون القرآن الكريم، وفي القيروان كان يوجد بعض الفقهاء الطرابلسية وحتى يومنا هذا لايزال مدب يعيش في القيروان يعرف عند السكان (المدب الليبي).

(1) مما يؤكد الموقف النضالي لسكان الجنوب التونسي ذلك الموقف النضالي الذي تجسد في ثورة 1915 بقيادة خليفة بن عسكر ضد الاستعمار الفرنسي والايطالي. إضافة إلى مؤازرتهم والتحامهم مع انتفاضة غومة المحمودي خلال القرن التاسع عشر بالجنوب الذي يقول عنه الأستاذ محمد الهادي الشريف : ظهر غومة في الجنوب التونسي كقائد وفارس لامع تجمعت فيه صفات النبل والأصالة العربية.

(2) تعني المزارع التي كانت على ذمة المستعمرين الفرنسيين الذين استوطنوا الأرض التونسية من 1981 إلى 1956.

ر.ش رقم (32)

تاريخ المقابلة : 1988/2/15

الاسم : الاستاذ الصادق محمد المقدم

الجنسية : تونسي

تاريخ ومكان الولادة : جربة ــ 1914

العنوان : المنزه الأول ــ نهج أبوفراس رقم 11 ــ تونس

الوظائف السابقة : عضو بالحزب الحرّ الدستوري التونسي، والديوان السياسي، ورئيس سابق لمجلس النواب في تونس.

★ نصّ المقابلة ★

ــ عندما كان عمري (17) سنة كنت تلميذا بمعهد (كارنوا)، وقد تلقينا سنة 1931 خبر إعدام عمر المختار من قبل السلطات الايطالية بكلّ أسى وأسف، وقد أحدث ذلك تحرشات داخل المعهد الذي كانت تسيطر عليه وتديره الحكومة الفرنسية، وبصفتي منخرطا في صفوف الحزب الدستوري، وكان للحزب تضامن مع الشعب الليبي في تلك المحنة.

ــ من بين المواقف الرائعة لتضامن التونسيين مع حركة المقاومة في ليبيا ما شاهدته بنفسي وأنا صغير في جربة، حيث النساء يقمن بعمل (البسيسة) بالطريقة التقليدية، وترسل في شوالات إلى طرابلس لمساعدة المجاهدين الليبيين الذين يصارعون القوات الايطالية.

ــ من خلال جلساتي الخاصة مع الرئيس الحبيب بورقيبة أذكر أنّه لم يتنكر لأصله حيث يذكر بأنّه ينحدر من أصل طرابلسي من بلدة (مصراته)، وقد أشار إلى ذلك في بعض خطبه الرسميّة.

ــ علي الزليطني هو أحد المناضلين، تولى رئيس جامعة تونس والأحواز في الأربعينات وحتى 1952 وقام بزيارة ليبيا في الخمسينات.

ــ ما يمكن أن أرشدك إليه في موضوع أطروحتك أن تراجع الصحف الآتية : مرشد الأمة، الزهراء، الوزير، العالم العربي، ودراسة الأشعار الشعبية، وفي مقدمتها ما كتبه السيد محمد المرزوقي.

ر.ش رقم (33)

تاريخ المقابلة : 1988/1/15
الاسم : الفقي محمد ميلود الأصيبعي
تاريخ ومكان الولادة : الأصابعة 1924
العنوان : الحي الصناعي ــ طرابلس

★ نصّ المقابلة ★

ــ بدأت تعليمي في زاوية عبد السلام الأسمر بزليطن، ونظرا لوجود بعض الطلبة من بلدتي الأصابعة يدرسون في زاوية المحجوب بمصراته، قرّرت الالتحاق بهم، وكانت ظروف الأقامة بزاوية المحجوبّ أفضل من غيرها، حيث كانت تقدم لنا الزاوية وجبة أكل رئيسيّة، إضافة إلى تخصيص (خلوة) للاقامة.

ــ نظرا لظروف الحرب الايطالية قرّرت أسرتي الهجرة إلى تونس، وبقيت أنا في مصراته أواصل تعليمي. وبعد أن تقدمت في دراستي، وحفظت قسطا هاما من القرآن الكريم، قرّرت الالتحاق بعائلتي المهاجرة في تونس.

كانت ظروف التنقل بين طرابلس وتونس خلال فترة الأربعينات صعبة وشاقة، ممّا اضطررت إلى قطع تلك المسافة مشيا على الأقدام وبطريقة المراحل، حيث مكثت في (بنقردان) مدّة ستة أشهر، اشتغلت فيها بتعليم القرآن عند أحد سكان منطقة بن قردان. وكان هذا الشخص رجل فاضل عاملني معاملة طيبة، ومكنني من توفير مبلغ مالي لمواجهة مصاريف الرحلة.

ــ بعد التحاقي بعائلتي في الفحص بدلْت أبحث عن مكان أقوم فيه بتعليم القرآن، وكانت مهنة (المؤدب) مطلوبة في تونس، وخاصة في الأرياف، وقد استقر بي المقام عند أحد الفقهاء الطرابلسيين الذي كان يدرس القرآن الكريم بمنطقة (فندق الجديد) وهو الفقي محمد المرابط، وقد اكتسب هذا الفقي شهرة كبيرة ممّا جعل التلاميذ يتوافدون عليه من مختلف المناطق، إضافة إلى معالجة المرض بعمل الأحجبة.

ــ وعندما توفي الفقي محمد المرابط، على إثر حادث في جهة قرنبالية، توليت المهمة بعده، وقد ساهمت في تعليم الكثير من أبناء تونس القرآن الكريم واللغة العربية، وأهل تونس وخاصة في الأرياف ينظرون إلى حامل القرآن (المدب) نظرة احترام وإكبار.

ــ في سنة 1951 قرّرت العودة إلى طرابلس، وكانت الرحلة شاقة أيضا، حيث تعرضنا إلى التفتيش، والتوقيف، وفي منطقة الحدود زج بنا في السجن، نظرا إلى أنّ فرنسا كانت تقوم بحملات ردع ضدّ الثوار.

ــ كان المهاجرون الليبيون يسعدون كثيرا عندما يأتي أحد الضيوف من طرابلس، حيث تتاح لهم الفرصة للسؤال عن أخبار الوطن والأهل وكان المهاجرون موزعون في العديد من المناطق التونسية، ولا تخلو أي منطقة من ليبيا، وخاصة المنطقة الغربية التي لا يوجد لها مهاجرون بتونس.

دليل الوثائق *

الرقم	موضوع الوثيقة	مصدرها	موجهة إلى
1	وضع الجالية الطرابلسية في تونس	الاقامة العامة الفرنسية بتونس	وزير الخارجية الفرنسي
2	الاتصالات التي قام بها محسن ظافر بالمهاجرين	مدير الأمن الفرنسي	المقيم العام الفرنسي
3	شكوى من الشيخ الجيلاني بن عثمان الطرابلسي	شيخ تراب دشرة السلوقية	المنصف باشا باي تونس
4	قرار تعيين الجيلاني بن عثمان الطرابلسي شيخا على السلوقية	الوزارة الكبرى	—
5	إصدار وثيقة بمثابة شهادة ميلاد باسم علي واو الغدامسي من قبل عبد الوهاب الكرارطي، المفتي الحنفي	أهداها لنا الأخ الهادي واو الغدامسي وهي من وثائقه الخاصة	—
6	قرار تعيين مسعود إبن الحاج محمد الطرابلسي شيخا على السلوقية	الوزارة الكبرى	—
7	أعيان الطرابلسيين الضامنين في شيخ السلوقية	محمد الصغير عدل بالسلوقية	—
8	تعيين شيخ الطرابلسية	عامل الأحواز	الوزير الأكبر
9	أوضاع المهاجرين الطرابلسيين	وزير الخارجية الفرنسي	سفير فرنسا بروما
10	الوضع الاقتصادي للمهاجرين الليبيين	أحمد راسم كعبار	أحمد باشا باي
11	ظروف إقامة محمد فكيني بتونس	محمد فكيني	أحمد باشا باي
12	ظروف إقامة المهاجرين الليبيين بالجنوب التونسي	محسن حسن المشاي	أحمد باشا باي
13	ظروف إقامة عرض الصيعان	أعيان الصيعان	الوزير الأكبر
14	شكوى أحد المهاجرين الليبيين	عمر بن الحاج خليفة الطرابلسي	أحمد باشا باي
15	رسالة من غدامس	قاسم بن عبد الحميد	محمد عبد الحميد الغدامسي
16	مؤتمر اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية	أحمد زارم	محمد عباس المصراتي
17	بيان لعموم الجالية الليبية بالخارج	بشير السعداوي	جريدة الصواب تونس
18	إقامة المهاجرين بتونس	الوزير الأكبر	عامل الهمامة
19	طلب إختيار الجنسية الليبية	وزارة الخارجية المملكة الليبية	—
20	عضوية الاتحاد العام التونسي للشغل	فرع الاتحاد بقرنبالية	—
21	عضوية الحزب الحر الدستوري التونسي	جامعة سليانة	—
22	صورة لمنزل الحبيب بورقيبة بحي الطرابلسية	عمل الباحث	—
23	صورة أحمد سانو الغدامسي	عمل الباحث	—
24	شهادة تكريم أحمد محمد سانو	أحمد باشا باي	
25	منشور اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية	جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي	إلى عموم الجالية
26	أحد مقالات أحمد زارم	جريدة النهضة بتاريخ 1931/5/6	—
27	رثاء عمر المختار	الشاعر محمد الشاذلي خزندار	—

فهرس الأعلام

— ت —

— ث —

— ج —

— ح —

— خ —

— ر —

— ز —

— س —

فهرس القبائل والجماعات البشرية

فهرس الأماكن

قائمة المصادر والمراجع

أ ــ المصادر :

1 ــ وثائق أرشيف الحكومة التونسية ــ القصبة.
2 ــ وثائق مركز التوثيق القومي التونسي.
3 ــ وثائق المركز الجامعي للتوثيق ــ شارع فرنسا.
تقارير المقيمين الفرنسيين بتونس.
4 ــ وثائق مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي ــ طرابلس.
5 ــ وثائق دار المحفوظات التاريخية ــ طرابلس.
6 ــ وثائق أرشيف المحاكم الشرعية ــ غريان.

ب ــ المراجع :

بالعربية :

ــ ابن أبي ضياف (أحمد).
اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تونس ــ كتابة الدولة للشؤون الثقافية والارشاد 1964 (ج2).

ــ ابن غلبون (محمد خليل).
التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تعليق وتصحيح الطاهر الزاوي ط. 2 ــ مكتبة الفرجاني ــ طرابلس 1967.

ــ أغسطيني (هنريكو)
سكان ليبيا ــ القسم الخاص بطرابلس الغرب خليفة التليسي دار الثقافة ــ بيروت 1975.

ــ **أشغال المؤتمر الأوّل لتاريخ المغرب العربي وحضارته** : (بالعربية والفرنسية) ــ مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، ج 2 تونس 1979.

ــ **الانتفاضات الشعبية والحركات التحريرية في تونس 1800 - 1952** ملتقى علي بن غذاهم ــ الشركة التونسية للنشر تونس 1979.

ــ **الاستعمار الاستيطاني في ليبيا سنة 1911 - 1970** (أعمال الندوة العلمية التي عقدها مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي بمناسبة عيد الثأر في السابع من أكتوبر سنة 1983) تحرير الدكتور إدريس صالح الحريري.

— البرغثي (يوسف) : **المعتقلات الفاشيستية بليبيا — دراسة تاريخية.**
مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي 1985.

— بروشين (ن.أ.) : **تاريخ ليبيا في نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969** ترجمة الدكتور عماد حاتم — منشورات مركز الجهاد — طرابلس 1988.

— بن اسماعيل (عمر) : **انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا**، مكتبة الفرجاني — طرابلس 1966.

— بن حميدة عبد السلام : **تاريخ الحركة النقابية الوطنية للشغيلة بتونس 1924 - 1956** دار الحامي — صفاقس و تونس 1984.

— بن قفصية (عمر) : **أضواء على الصحافة التونسية 1860 - 1970**
دار بوسلامة للطباعة والنشر — تونس 1972.

— بن موسى (تيسير) : **كفاح الليبيين السيـــاسيين في بلاد الشام — 1930 - 1950** منشورات مركز الجهاد — بطرابلس
المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية — حلب 1983.

— البوري (عبد الحافظ) : **الغزو الايطالي لليبيا** — الدار العربية للكتاب — تونس /ليبيا 1988.

— بوذينة (محمد) : **مشاهير التونسيين** — شركة فنون الرسم والنشر والصحافة — تونس 1988.

— **تاريخ القوات المسلحة التركية — الدور العثماني — الحرب العثمانية الايطالية**
— ترجمة محمد الأسطى و د. علي عزيزي، منشورات مركز الجهاد — طرابلس 1988.

— التليسي (خليفة محمد) : **معجم معارك الجهاد الليبي 1911 - 1931** — دار الثقافة — بيروت.

— التميمي (عبد الجليل) : **الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وليبيا وغرب إفريقيا خلال العصر الحديث.** منشورات المجلة التاريخية المغربية — تونس 1981.

— التميمي (عبد الجليل) : **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي تونس — الجزائر — ليبيا من 1816 - 1871** — الدار التونسية للنشر 1816 - 1871 — الدار التونسية للنشر 1972.

— تشايجي (عبد الرحمن): **الصراع التركي — الفرنسي في الصحراء الكبرى** ترجمة الدكتور علي اعزازي منشورات مركز الجهاد — طرابلس.

— التيمومي (الهادي) : **النشاط الصهيوني بتونس بين 1897 - 1948**
التعاضدية العمالية للطباعة والنشر 1982.

— الثعالبي (عبد العزيز) : **تونس الشهيدة**، تعريب حمادي الساحلي دار الغرب الاسلامي 1984.

— الجابري (محمد صالح) : **يوميات الجهاد الليبي في الصحافة التونسية 1912 - 1932** — الدار العربية للكتاب 1982.

— جوليان (شارل أندري) : **تاريخ إفريقيا الشمالية — تونس — الجزائر — المغرب من الفتح الاسلامي 1830** تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة ج2 — الدار التونسية للنشر 1985.

— جوليان (شارل أندري) : **المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي** تعريب محمد المزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر والتوزيع 1985.

— الجيلاني بن الحاج يحيى والمرزوقي محمد : **معركة الزلاج** — الشركة التونسية للتوزيع 1974.

— حسن (الفقيه حسن) : **اليوميات الليبية**، تحقيق محمد الأسطى وعمار جحيدر
— مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي — طرابلس 1984.

— الحبيب بورقيبة وحياته وجهاده : كتابة الدولة للأخبار والارشاد — تونس.

— الحداد (الطاهر) : **العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية** دار بوسلامة للطباعة والنشر — تونس.

— حقي (إحسان) : **تونس العربية** — دار الثقافة — بيروت.

— الحشائشي (محمد عثمان التونسي) : **رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895** تقديم علي المصراتي دار لبنان للنشر 1965.

— ديبوا (جان) : **الاستعمار الايطالي في ليبيا طرقه ومشاكله** ترجمة هاشم حيدر
— دار بنغازي 1987.

— الذوادي (رشيد) : **رواد الاصلاح طبعة ثانية — مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله تونس** 1983.

— روسي (أتوري) : **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911** تعريب خليفة التليسي طبعة أولى — دار الثقافة بيروت 1974.

زارم (أحمد) : **مذكرات** — الدار العربية للكتاب

— زارم (أحمد) : **حتى لا يضيع التاريخ** — دار الحرية للطباعة — طرابلس 1972.

— الزاوي (الطاهر) : **جهاد الليبيين في طرابلس الغرب** — دارف المحدودة لندن 1984.

— الزاوي (الطاهر) : **جهاد الأبطال في ديار الهجرة من 1924 - 1952** دار الفرجاني — طرابلس 1976.

— الزاوي (علي) : **رسائل أحمد القليبي بين طرابلس وصفاقس — المتحف الوطني للفنون والأثار — صفاقس 1982.**

— الزاوي (رضا) : **تسرب الرأسمالية إلى تونس في عهد الحماية** — التعاضدية العمالية للطباعة والنشر — تونس 1982.

— الزيدي (علي) : تاريخ النظام التربوي للشعبة العصرية الزيتونية 1951 - 1965 — منشورات مركز البحوث في علوم المكتبات والمعلومات — تونس 1986.

— الكعاك (عثمان) : **محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر** — القاهرة معهد الدراسات العربية العالمية 1958.

— الكعاك (عثمان) : **التقاليد والعادات التونسية** — الدار التونسية للنشر 1987.

— الكيب (نجم الدين) : **فصول في التاريخ الليبي** — الدار العربية للكتاب تونس — ليبيا 1982.

— كورو (فرانشسكو) : **ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني** — تعريب خليفة التليسي — طبعة أولى (دار الثقافة — بيروت 1975).

— المحجوبي (علي) : **انتصاب الحماية الفرنسية في تونس** — تعريب عمر بن ضو — حليمة القرقوري علي المحجوبي — سيراس للنشر تونس 1986.

— المحجوبي علي : **الحركة الوطنية في تونس بين الحربين** — منشورات الجامعة التونسية 1986. (سيراس للنشر — تونس 1986).

— المحروق عطية محمد وآخرون : **المهجرون والمنفيّون والأسرى والذين لم يعودوا لأرض الوطن** — منشورات مركز الجهاد — طرابلس 1988.

— المرزوقي (محمد) : **محمد الدغباجي** — الشركة التونسية للنشر والتوزيع.

— المرزوقي (محمد) : **مع البدو في حلهم وترحالهم** — الدار العربية للكتاب 1984.

— المرزوقي (محمد) : **دماء على الحدود — ثورة 1915** — الدار العربية للكتاب (ليبيا — تونس 1975).

— المرزوقي (محمد) : **عبد النبي بالخير داهية السياسة وفارس الجهاد** الدار العربية للكتاب (ليبيا تونس 1978).

— المرزوقي (محمد) : **صرع مع الحماية** — دار الكتاب الشرقية — تونس 1973.

— المصراتي (علي مصطفى) : **رسائل أحمد القيلبي بين طرابلس وتونس — الدار العربية للكتاب (تونس ليبيا 1976).**

— المصراتي (علي مصطفى) : **مؤرخون من ليبيا مؤلفاتهم ومناهجم عرض ودراسة** الشركة الوطنية للنشر طرابلس 1977.

— المعموري (الطاهر) : **جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهد الحفصي والتركي** الدار العربية للكتاب 1980.

— **المنفيون الليبيون إلى سجون الجزر الايطالية** — منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي — طرابلس 1989.

— **موسوعة رواية الجهاد** : جمع خليفة محمد الدوبي، منشورات مركز الجهاد — طرابلس 1985.

— سنتاريللي إينزو وآخرون : **عمر المختار وإعادة الاحتلال الفاشي لليبيا**، ترجمة عبد الرحمن العجيلي — منشورات مركز الجهاد — طرابلس.

— الشركسي (محمد مصطفى) : **لمحات عن الأوضاع الاقتصادية في ليبيا أثناء العهد العثماني** — الدار العربية للكتاب 1976.

— الشريف (محمد الهادي) : **تاريخ تونس** — المطابع الموحدة — تونس 1985.

— الشريف (البشير بن الحاج عثمان) : **أضواء على تار ' تونس الحديث - 1824 1881** — دار بوسلامة للطباعة — تونس 1981.

— الصفاقسي (محمد مقديش) : **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار** — (مخطوط) تونس 1903.

— عارف (جميل) : **مذكرات عبد الرحمن عزام** — المكتب المصري الحديث.

— العامري (محمد الهادي) : **تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون من الازدهار والذبول من القرن السابع إلى الثالث عشر. هـ** — الشركة التونسية للنشر والتوزيع.

— عبد الوهاب (حسن) : **خلاصة تاريخ تونس** — الدار التونسية للنشر 1983.

— عبد الله (الطاهر أبوالقاسم) : **تاريخ الحركة الوطنية في تونس** — دار الطليعة بيروت 1974.

— عقير (محمد الطاهر) : **المنستير عبر مواقع التجذير والتحرير في النصف الأول من القرن العشرين** — المطابع الشريعة المندمجة بالمنستير — 1989.

— فيرو (شارل) : **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي** — تعريب د. محمد عبد الكريم الوافي — المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان — طرابلس 1975.

— القيرواني (أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم) : **طبقات علماء إفريقيا وتونس** — تقديم علي الشابي ونعيم الباقي — الدار التونسية للنشر 1968.

ـــ القصاب (أحمد) : **تاريخ تونس المعاصر 1881 - 1856** ـــ تعريب حمادي الساحلي ـــ الشركة التونسية للنشر والتوزيع 1986.
ـــ القشاط (محمد سعيد) : **خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام** ـــ دار المسيرة ـــ بيروت 1978.
ـــ القشاط (محمد سعيد) : **سوف المحمودي حياته وشعره** ـــ دار الطباعة والنشر 1969.

ـــ أطروحات أكاديمية لم تطبع بعد :

ـــ أبو القاسم (ابراهيم أحمد) : **المهاجرون الليبيون بالإيالة التونسية 1861 - 1881** (شهادة الكفاءة في البحث) كلّية العلوم الانسانية والاجتماعية ـــ تونس 1988.
ـــ بحيرة (سعيد) : **الاضرابات العمالية بتونس من خلال الصحافة 52 - 55** (شهادة الكفاءة في البحث) كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ـــ تونس 1983.
ـــ ليسير (فتحي) : **الاستعمار الفرنسي وقبائل أقصى الجنوب التونسي ـــ مثال الودارنة 1881 - 1918** (شهادة الكفاءة في البحث) كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ـــ تونس 1987.

ـــ المجـــلات :

المجلة التاريخية المغربية ـــ مركز الدراسات العثمانية والموريسكية والتوثيق ـــ زغوان.
مجلة البحوث التاريخية ـــ مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي ـــ طرابلس
مجلة الوثائق والمخطوطات ـــ مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي ـــ طرابلس
مجلة الشهيد ـــ مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي ـــ طرابلس
مجلة اليوم السابع ـــ أكتوبر 1989
المجلة الفرنسية (عيون العالم) ـــ «Les yeux du monde» 12ème année N° 564 - 4/1/1939

ـــ الصحـــف :

ـــ الصواب التونسية 1929
ـــ الفجر التونسية 1990
ـــ الصباح التونسية 1989
ـــ لسان الشعب التونسية 1931
ـــ النهضة التونسية 1947 - 1930
ـــ الرسالة التونسية 1952
ـــ طرابلس الغرب 1954

فهرس الموضوعات

المؤلـف



ابراهيم أحمد أبو القاسم، من مواليد سنة 1948، ينحدر في الأصل من بلدة الأصابعة بمنطقة الجبل الغربي بالجماهيريّة اللّيبيّة، تلقّى تعليمه في البداية في الكتّاب، ثمّ دخل المدرسة الابتدائيّة بالأصابعة، وبسبب إنتقال أسرته إلى مدينة طرابلس تحوّل إلى مواصلة دراسته حيث تقيم أسرته. وفي سنة 1970 تحصّل على الشهادة الثانويّة العامّة، وفي سنة 1974 تحصّل على شهادة ليسانس تاريخ من كلية الآداب بجامعة قاريونس ببنغازي ومنذ تخرّجه ارتبط عمله بالشؤون العربيّة، وبالعمل العربي المشترك، ومقاطعة العدوّ الصهيوني، ونتيجة إقامته في مدينة تونس بسبب عمله في جامعة الدول العربيّة، انتهز هذه الفرصة لمواصلة دراساته العليا، حيث تحصّل سنة 1988 على شهادة الكفاءة في البحث، وفي سنة 1991 تحصّل على شهادة دكتوراه المرحلة الثالثة من كلية العلوم الانسانية والاجتماعيّة بالجامعة التونسيّة. له بعض المؤلّفات، والدراسات التي نشر بعضها، كما له العديد من الكتابات الصحفيّة ببعض الجرائد اللّيبيّة والتونسيّة.

من اهتماماته، قضيّة الصراع مع الاستعمار والامبرياليّة التي تهدف إلى إبادة الوجود العربي وتهجيره من أرضه، وجعل المنطقة العربية بكل ما تملك من خيرات تحت الهيمنة الاستعماريّة.



مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع

تونس 1992

ر.د.م.ك: 6 - 17 - 707 - 9973